مهرجان الحروف العربية

رواية شعرية

مهرجان الحروف العربية

الدكتور الشاعر

عبد الكريم الشويطر

الطبعة الأولى

2020م

دار كفاءة المعرفة

طباعة . نشر . توزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2020/7/2421)

813.03

الشويطر ، عبد الكريم عبدالله

مهرجان الحروف العربية/ عبد الكريم عبدالله الشويطر.- عمان، دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع ، 2020.

(   ) ص

ر.إ: 2421 /2020/7

الواصفات: الروايات العربية// الشعر العربي// العصر الحديث

978-9923-39-002-3

لوحه الغلاف للفنان المبدع / خالد الساعي

Copyright ©

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

دار كفاءة المعرفة
طباعة • نشر • توزيع

kafaat.almaerifa kafaat.almaerifa@gmail.com
+962796803670 +962799291702 +962796914632

الإهداء

إلى كل عربي:

لا يزال يتدفق في عروقه ذلك النبض، المملوء، رغبةً وهيبةً، غيرةً وطمعًا، حبًا وشجنًا، إجلالًا واحترامًا، نخوةً وحسرة.. خصوصًا عندما تخطر على قلبه فكرة الوطن.

والى كل أولئك الذين تسري في أوصالهم تلك النشوة المتجددة، والنـزعة القوية المتجذرة في أعماقهم، والتي تجعلهم يفخرون بانتمائهم العربي في زمن قل فيه شعور الانتماء ومدّ أخطبوط العولمة أطرافه ليبتلع الجميع، وإلى أولئك الذين يقدسون لغتهم العربية ولا يستطيعون مجرد التخيل أنهم ينتمون إلى أمة أخرى أو يتحدثون ويفكرون بلسان غير العربية، أغلى ثرواتهم على الإطلاق.

المقدمة

شغفًا بالحرف العربي، كتابة ورسمًا ونطقًا وإيقاعًا منذ الطفولة الباكرة، قررت خدمة هذا الحرف الجميل بكل ما أستطيع، بدءًا من فنون الخط إلى الرسم التشكيلي إلى الشعر وأخيرًا إلى عمل روائي متواضع يجسد الحرف تجسيدًا ويصوغه بقالب إنساني متحرك يعيش بيننا ويسعى ويتجدد وينمو كما شأن الإنسان.

ولئن كانت الأقدار قد رمتني في أحضان الحرف اللاتيني لإكمال دراستي الجامعية فهذا هو ما زاد من تمسكي به وعقد المقارنات بين أحرفنا العربية والأحرف الأخرى وتحسس مواطن الضعف والقوة والغوص إلى عمق الوجدان في تلك الأحرف التي تبدو وكأنها رموز مجردة والحقيقة أثبتت لي عكس ذلك، فهي شخوص تعيش في أعماقنا وتجول وتتحرك وتفكر بنا ونفكر بها وتلازمنا ملازمة الجسد للروح.

ولست أول من يخدم هذه الأحرف النورانية، فلقد خدمها قبلنا جهابذة أفذاذ من جميع الوجوه وبكل الوسائل التي نستطيع تخيل البعض

منها، ونعجز عن تخيل البعض الآخر.. حتى وصلت لنا أطباقًا شهية من الحلوى والفاكهة،لذة للآكلين.

ولم تخطر لي فكرة إخراج هذه المحاولة الأدبية بشكل روائي ـ ولستُ روائيًا، إلا بعد أن فرغتُ من إكمال المجموعة الشعرية التي أسميتها (رحيل في أبعاد الأبجدية).

حيث أدركت أن كتابة هذه الأشعار قد هطلت عليَّ كالغيث في لحظة فراغ وجداني كبير، الأمر الذي جعلها كثيفةً في صورها وأخيلتها الشعرية ومشحونةً بالرمز والبعد الفلسفي الذي يحتاج إلى تأمل ونقد وتحليل من القارئ الكريم.

كما أن تتابع الأفكار وتداخلها وتنقلاتها السريعة من فكرة إلى أخرى قد حملني إلى عمل استراحات نثرية مبسطة، تنطق بلسان العامة،مجردة من التفنن البلاغي، ترسم صورة فسيفسائية للعالم العربي،كما نراه من الداخل، وكما يراه غيرنا من الخارج، بتناقضاته، وإشكالياته، في محاولة لسبر أغوارها، والخلوص برؤىً تمهد لطرح الحلول العلمية والعملية لهذه الأمة العظيمة، ألتي تمثل مهد الرسالات، والحضارات الإنسانية كلها.

أما الحوار والمداولات التي وردت في الرواية، فقد جاءت وفقًا لما أتخيله مجرد التخيل عن شخصية المتحدث، أو وفقًا لما لديَّ من خلفية ثقافية متواضعة عن هذا المتحدث أو ذاك وليس ذلك تهربًا من طرح فكر بعينه بقدر ما هي عملية سداد ومقاربة للخلوص إلى تشخيص عام لإخفاقاتنا وإحباطاتنا ومحاولة الكشف عن أسباب النكوص، التي قد يعرفها القارئ بشكل أدق وأكثر تفصيلًا وإدراكًا ومنهجية.

إنها محاولة لطرح وجهات نظر نشأت عن تشابك أو تقاطع قناعاتنا أو ظروفنا الفكرية والحياتية والسياسية بل وحتى تداخل وتشابك أساليبنا اللغوية وفكرنا الذي هو نتاج لهذا التداخل الفهمي أو اللافهمي بلغتنا العربية الواحدة.

ولعلني لا أميل إلى تحليل فكر التآمر والمؤامرات ومن أين تأتي، كما أنني لا أتشبع بفكر سياسي من هذه الأفكار الموضوعة أمامنا على الطاولة بقدر ما هي الرغبة في تتبع جذور الالتقاء وربط ذلك بالموروث السياسي العام الذي نظل نعتبره جميعًا خلفيتنا الفكرية والسياسية والعقائدية والتي تشكل الذات أو الهوية لنا حسيًّا.. منطلقًا من فرضية جامحة تقول بأن كل فكر سياسي مطروح لم ينشأ إلا لوجود مبررات لوجوده، وأنه مهما كان

يحمل في طياته وبلا شك أشياء يمكن الاستفادة منها أو الاستعانة بها للوصول إلى تبني استراتيجية عامة للأمة بكاملها وأيدلوجية أبعد من مدى البصر ومجال رؤيتنا الحالية.

أما الرؤية للاختلاف فهي رؤيا إيجابية، يمكن تسميتها، نسبة الاختلاف، التي هي إحدى سنن البشرية، والتي هي روح المشاركة والتواصي في كل كيان على حدة مشفوعة بنـزعة الأنا التي هي صفة بشرية غالبة تعزز موقف الإنسان من أقرانه، وتنصب له قامة في زحمة الآخرين وتتيح له فرصة إبراز مواهبه وقدراته التي جُبل عليها.

لعل جميعنا لاحظ ويلاحظ غالبية الإصدارات التي تدور في الساحة، أو التي يراد لها أن تدور.. سيجدها بالطبع على غرار قول على قول أو تهافت التهافت وهكذا أفكار تهدم أفكارًا وجدل يعقبه جدل، دون طرح أو تبني البديل أو عدم وجود طرف ثالث يجمع من كل قطر أغنية ويصوغها نشيدًّا وطنيًّا تنشده الأمة بكاملها.

غني عن الذكر أن هذه الرواية ليست عملًا فكريًا أو مبحثًا أكـاديميًا بقدر ما هي مساهمة إنشائية، لِما قد يفيد القارئ من وجهة نظر خاصة، تم تكوينها عن طريق الاستقراء والملاحظة الذاتية لواقعنا المثير للجدل، ولا

يمثل هذا الطرح هجومًا على كتاب بعينه أو رأي محدد من دون أن نقدم وجهة النظر البديلة.

وحيث إنّ لنا هويتنا وثقافتنا الخاصة، التي هي نتاج أو محصلة لحضارات عديدة منذ فجر القدم، وديانات سماوية تكاد تكون في مجملها على أرض هذا الواقع الذي نعيشه، فنحن ملزمون اليوم بالتحرك وفق هذا الإطار بموازاة هذا التيار الغربي المتمدن.

ولا يجدر بنا بناءً على ذلك تبني نفس الشعار الذي تبنّوه في مرحلة الثورة الصناعية (دعه يمر، دعه يعيش) لتفجير الطاقات الفردية وإذكاء روح التنافس، إلا أننا قد نفكر بشيء (دعه يفكر، دعه يقول) كمدخل، ونحن على ثقة كاملة من أنه لن يستقر في الأذهان إلا ما هو مفيد ويحمل ضوءًا جديدًا ورؤية تعود بالنفع على الجميع (فأما الزبد فيذهب جفاء).

كما أنه وبحسب رأي ابن خلدون (لن يتأتى للناس تأسيس الممالك العظيمة إلا خلف نبؤه، أوفلسفة متميزة، أو (دعوة حق) مدركين أن الوسيلة للأمرين كلاهما ليست إلا الكلمة الطيبة الصادقة.

ولعل البعض لا يكاد يطلع على رأي ما حتى يدس إصبعه على الورقة مشيرًّا إلى أن هذه أفكار غربية أو شرقية، بصرف النظر عن نوعية ذلك الرأي أو فائدته متناسيًا بأن الحكمة والحقيقة ضالة المؤمن ... !.

كل هذا هو ما جعلنا ولفترة أكثر من قرنين من الزمان ندخل في مهاترات لم تزدنا إلا خسارا بل على العكس ربما أفاد منها خصومنا الإفادة الكاملة.

أكد ذلك حضور(الأنا العربية) بشكل لافت، وقوي،قد يرجع إليها السبب في كثير من حالات النكوص والإحباط، ولكن هذا قد يحتاج إلى دراسة نفسية، اجتماعية، سياسية، مستفيضة،على يد الخبراء في هذا المجال.

ولم يكن للإنصاف كل ما طرح سلبيًّا تمامًا، فقد كانت هناك آراء سديدة وصائبة إلا أنها لم تلق أي شكل من أشكال التبني والتفعيل لا رسميًّا ولا جماهيريًّا، وما ذلك إلا لأنه في مامضى أو حتى إلى الآن لا يزال العمل الكتابي نوعًا من البذخ والكماليات، لا يستطيع ملامسة قلوب أصحاب السلطة وأصحاب القرار.

ولعل منا من لا يزال يضع الكتاب ناهيك عن الفنون الأخرى، في خانة مواساة بعضنا بعضًا حتى نصبح أكثر قدرة على تحمل أوجاعنا النفسية وتضمين صراحتنا، وليست هذه نظرة تشاؤمية، بل خلل نفسي وعقلي وظيفي لغوي كبير، تعكس جهلًا واسعًا وثقافة متردية وآفة تواكلية فوضت أمرها إلى الغير، وحكمت على نفسها بالانغلاق والعزلة، موقنة أنه مهما بلغ هذا الغير من الشأن فإن مصيره مصير عاد وثمود، الذي لا نعرف عن طبيعة البغي والفساد الذي كانوا عليه، مهملين بذلك قانون (دفع الناس بعضهم بعضًا) الذي هو أحد السنن الإلهية والملزمة لنا على وجه التحديد.

نقطة أخرى جديدة بالارتكاز عليها سواء من حيث التعامل فيما بيننا أو مع الآخرين مهما كانوا، هي الدعوة إلى كلمة سواء.. دون تحميل سياسي أو ديني متشدد، فهناك العديد من الموضوعات المهمة في الحياة، لا يجب أن تقرأ سياسيًّا ولا دينيًّا، وإن كانت تتطرق بشكل عابر لذلك، من باب تداخل الأمور.

كما أن الفكر أيضًا قد يتداخل، كما تتداخل العلوم المادية الإنسانية على سبيل التأثير والتأثر، كتداخل علوم الطب والهندسة والرسم، أو علم

الأحياء والبيئة والرياضيات، ولذا فالمهم هنا أن نخرج بفكرة جامعة لما نريد قوله بوضوح، أو ما نريد فعله ويعود بالنفع العام، ولا مانع بعدئذ أن تُحقق هذه الفكرة وتُمحَّص بإعمال التفكير البنَّاء وتقييم الفكرة سلبًا أو إيجابيًّا، والترفع عن السقطات الكلامية الجزئية، والتي تذهب الوقت والجهد وتضيع الفكرة المنشودة.

ولعله قد يكون من المحزن أن نرى كاتبًا يرمي بمقالة أو حديث ينسف فيه جميع أعمال جيل كامل من الرواد في فكرة سلبية واحدة، ذلك ما حصل مع زعماء الإصلاح والتنوير في مطلع القرن العشرين مثل أفكار رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني والغزالي وغيرهم.. يأتي على كل تلك الجهود وينسفها نسفًا دون أي محاولة على الأقل للإشارة إلى ما فيها من إيجابي ليضيف له شيئًا ما، ودون الإشارة إلى طبيعة الثقافة التي كانت سائدة آنذاك والظروف المحيطة وموقف السلطات منها، وليس الحديث هنا عن تلك الشبهات التي مست العقيدة في صميمها والتي معظمها جاء على يد المستشرقين وتعكس ثقافتهم، إن الإشارة إلى تلك العبارات التي وردت بين سطور أولئك الصالحين انطلاقًا من صدمة الذهول الحضاري

التي رافقت اطلاعهم الأولي على ثقافة الغرب ومدنيته وإنجازاته والتي اعتبرها بعض الكتاب تمثل جذور الانحراف الفكري.

إنما نوردها ونحن في خِضَّم هذا المنـزلق السياسي الوخيم، وهذا التردي والجمود الفعلي واللامبالاة التي تسيطر على جميع شرائح المجتمع.

نورد هذا في محاولة البحث عن بؤرة الجرثومة الأولى، التي فاجأت هذا الجسد القوي الصحيح ومزقت كيانه دون أن يتمكن كائن من كان، سياسي أو ثقافي أو فقيه من تشخيصه. والآن باتت هذه هي حالنا وحال الأمة بكاملها.

إن هذا الجدل حول أين يكمن الخلل في المجتمع أم في أنظمته السياسية، بغض النظر عن نمط الحكم، هذا الجدل أصبح مملًا ويدور في حلقة مفرغة، فمَنْ نحن ومن قادتنا ؟ فَمِن مسألة الخروج على الظالم، ليحل محله آخر قد يكون أكثر استبدادًا ! إلى مسألة أن لا يتغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالحقيقة أن كلا الأمرين مطلوب ولكن في نفس الوقت واللحظة، وقد علمتنا التجارب أنه يكاد يكون مستحيلًا تغيير الأنظمة العربية دفعة واحدة وفي نفس الوقت إحداث ثورة ثقافية شاملة موحدة تصوغ المجتمع كله في قالب فكري واحد خالي من التناقض

والازدواجية، وبمنأى عن كلما يتسرب إلى العقول والأذهان من ثقافة الغير.

أضف إلى هذا أننا لسنا بحاجة فعلية إلى ابتداع منهج ثقافي جديد، فثقافة الأمة هي الإسلام وهي راسخة في جذور الجذور وهي تمتلك في الوقت الحاضر الذات والهوية والجنسية والصورة التي يعرفنا بها الغير، وكلما يربطنا بجذورنا حضرية كانت أو بدوية قد انقطع تمامًا فليس لدى اليمنيين مثلًا ما يمكنهم تسميته ثقافة حميرية أو المصريين ما يُشير إلى أنهم أو بعضهم لا يزالون تحت تأثير الثقافة الفرعونية وحتى الفرس لا نجد في ثقافتهم ما يدل على تأثير الزرادشتيه أو المانوية أو غير ذلك.

وحيث إنّ جوهر الحديث هو عن مشروع نهضوي تحديثي، ولماذا سبقتنا الأمم وتقهرنا إلى هذا الحد، فهناك لا بد من طرح أكثر من سؤال. من أهمها هل النهضة الصناعية والمدنية الإنشائية هي التي تفضي إلى قوة المجتمع وتماسكه أم لا، وهل القائد الملهم ـ ولا ندري من صاحب الحق في تسميته هكذا ـ هل هذا القائد هو الذي يحرك المجتمع ويبنيه، أم أن المجتمع الناهض هو الذي يعزز هذا القائد ويخوله الصلاحية، وهل الديمقراطية والدساتير النافذة والقوانين التي أجمع الناس على ضرورة

تطبيقها جاءت بها الأنظمة السياسية أم أنها هي التي صنعت الأنظمة السياسية وأطّرتها في كيان فاعل.

وللإجابة على هذه الأسئلة أو التساؤلات، لا بد من العثور على المدخل الذي يؤسس لذلك كله، وهو هنا قوة المجتمع، وإذا كانت قوة المجتمع لا تأتي إلا من رسالة مقدسة أو دعوة حق، فنحن لدينا الاثنان معًا.. فما الذي افتقدناه ؟ خصوصًا وأنه قد خضنا تلك التجربة بنجاح هائل يشهد له التاريخ في صدر الإسلام، فما الذي اختلف إذًا ؟ أو بعبارة أخرى كيف توالدت السلبيات وتنحّت الإيجابيات وتشكلت تلك الجرثومة التي استفحلت في هذا الكيان المتين وأصابت تفكيره وسلوكياته العميقة في مقتل.

وهنا هل يمكن تكرار الصورة حرفيًّا كما يعاد مشهد أحد الأفلام التاريخية ؟ طبعًّا لا قد يمكن الإعادة ولكن في إخراج آخر جديد، يمتلك نفس الإرادة ونفس النَفَس،والوضع في الحسبان كلما يحيط من ثقافات صار غزوها أصعب بكثير من غزو ثقافات الأمم السابقة، ونفوذها أكثر بكثير ،ليس بالإمكان ذلك طبعًا،ولكنه ليس مستحيلًا.

ولو ركزنا على الوسائل التي تخدم ذلك وهي الوسيلة التي لا تزال بأيدينا وكانت بأيدي السلف الصالح لوجدناها اللغة ونغمة لغة الخطاب الديني الثقافي، اللغة الواعية الصادقة التي تذكي حماس الآخرين الذين يشملون الأمة بكاملها وتخلق القادة القادرين على تحمل المسؤولية في نفس الوقت ومن بين صفوف الأمة.

وهذا ما فعلته الأمم الأوربية في العقود الأولى لنهضتها، وما فعلته أمم أخـرى كالصين واليابان وغيرها وعلى أيدي مفكريها وأدبائها وشعرائها ورساميها وموسيقييها، حتى وصل الأمر إلى اختراع لغات متكاملة على أسس لهجوية قديمة وصياغتها، بوحي من اللغات الأم وإخراجها إلى حيز التوصيف الفعلي، وقد شهد ذلك تنافسًا قويًّا بين الأعراق المختلفة، شمل هذا التنافس مصداقية التوجه وتحري الدقة في البناء اللغوي الذي هو الأساس الفكري والثقافي، والذي يصبّ آخر المطاف في تكوين الفكر السياسي، وأسماء مؤسسي ذلك العصر كثير يعرفها الناس ولا يتسع المقام لسردها.

هذا ما كان الحال عليه، عندما نزل القرآن الكريم بوحي من السماء على رسوله الكريم، وبلغة وخطاب جديدين، مفهومين كل الفهم، الأمر

الذي ولّد القناعة والإيمان عند جميع أفراد المجتمع رؤساء ومرؤوسين ولم يتداخل معه آنذاك أي خطاب آخر، مما أدى إلى ذلك البعث العظيم، وقد اكتفى الجميع بهذا المصدر اكتفاءً تامًّا، ولم يأت الحاجة إلى تدوين الحديث الشريف كما هو معلوم إلا بعد ذلك عندما ظهرت المستجدات في الواقع السياسي بعد الفتوحات العظيمة، والتي لا يمكن لأحدٍ أن يقلل من نزاهة وورع وتمحيص الرواة العظام الأوائل، الذين جمعوا الحديث، وأسسوا علم الأصول، الأمر الذي جعل من تلك الحقبة تكاد تكون أكبر ثورة ثقافية وتدوينية لم يشهد لها التاريخ مثيلًا.

الجدير بالإشارة هنا إلى أن في تلك الفترة، وبحسن نية طبعًا، وبهدف تعليم الحديث للأجيال كادت تكون الصدارة لفقه الحديث ،و بطبيعة الحال على حساب علوم القرآن ودقة تفهم معانية، مما أدى إلى ظهور المذاهب المختلفة والنـزاع المتواصل والذي يفهمه البسطاء والعوام بطريقة أقل حذرًا من الأئمة الكبار.

لذا فنحن الآن ملزمون بالعودة للمنبع وإعطاء علوم القرآن ولغة القرآن مركز الصدارة في مناهجنا التعليمية، واستنباط الدلالات اللغوية استنباطًا سليمًا محكومًا بالمرجـع لأن سوء استخدام اللغة وتشوه الدلالات

ينعكس على الفكر ويؤدي إلى تزعزع الثقة واضطرابات التفكير ومصداقيته أو انتكاسته، وحدوث ما يسمونه(الفصام الثقافي).

ونسوق إن شاء الله أمثلة في هذا الكتاب على سوء الاستخدام في محاولة الوقوف على فداحة الخلل اللغوي الفكري الذي أدى إلى هذا الشلل في معظم مناحي حياتنا الثقافية والاجتماعية، العربية الإسلامية، لكن أهم النقاط التي أود طرحها في البداية وأشير إلى أن ما يتجدد من أفكار تأتي في سياق المشهد الروائي قد تعكس طبيعة هذا المشهد أو تصورنا التخيلي لفكر المتحدث بها.

والله الموفق

المؤلف

د/ عبد الكريم الشويطر

الفَصْلُ الأَوَّل

حيثيات انعقاد المهرجان:

الجلسات التشاروية والتحضيرية:

الفعاليات:

حيثيات انعقاد المهرجان:

١ ـ لم يزل ذلك القوس الجميل المتعدد الألوان (قوس قزح) يبشر بالخير والنماء ويَعِدُ بني البشر جميعًا بعدم تكرار الطوفان، ذلك الذي حدث في عهد سيدنا نوح عليه السلام.

إلا أن الجميع فوجئ بطوفان جديد ومن نوع آخر، هذه المرة ليس بأمر من السماء، وإنما على أيدي البشر، أولئك الذين تناسوا أو نسو طوفان سيدنا نوح وما يفعله بأولئك الظالمين المكذبين.. كان هذا الطوفان البشري قد جاء من الغرب الأمريكي المتمدن ـ أو بالأحرى الذي يدّعي التمدن والتحضر، كان ذلك على شكل موجه هائلة تكتسح العالم بأسره وتنصبُّ على منطقة ما يسمونه الشرق الأوسط بالتحديد، محدثًا دمارًا وتخريبًا لم يسبق له نظير في تاريخ الغزو والغزاه.

لم تأخذ هذ الموجات شكلًا حربيًّا وعسكريًّا فحسب، فقد صاحب ذلك دويٌّ سبقه وتبعه غزو فكري وإعلامي موجّه، وتسويق ثقافي يتخذ من العولمة شعارًا، لكي يخفي طبيعة الأمركة التي هي المسمى الحقيقي، وليسطو على كل ثقافات العالم القديم والحديث على حد سواء .

إن الشكل العسكري الذي كان أكثرها فتكًا ربما قد جاء كرَد فعل لانتكاسة الغزو الفكري والهيمنة الإعلامية والسياسية، هذا الفكر الذي انتقى من جميع قنوات الفكر الإنساني ما رأى أنه الأمثل، ورمى بجميع متعلقات تلك الأفكار وصَاغ نظرياته السياسية والأخلاقية وفقًا لذلك وبدأ ينشرها على العالم ـ لإنقاذه من الضلال والتخلف، معتمدًا على التفوق التكنولوجي والدعم المالي واللوجستي لأصحاب المصالح الكبيرة والمتطرفين اليمينين الذين يدّعون الانتماء إلى أحد الأديان، الذين وضعوا على عاتقهم إصلاح خطأ الرب جل وعلا. هذه الانتقاءات الفكرية، والخيارات، التي مورست، إنما تمت على ذلك الوجه ليس رغبة في البحث عن الحقيقة المجردة المطلقة التي هي شأن الانسان من بدأ الخليقة، وإنما ليخدم ضرورة التوجه الرأسمالي، الذي لا يقبل التراجع ولا حتى مجرد الاستراحة، والتقاط الأنفاس، لأن ذلك يعني الانهيار الاقتصادي والدخول في حرب أهلية، ولأن الغرب قد تورط في هذه اللعبة وأصبح وكأنه في وضع الغريق الذي يتحكم به التيار، فلا بد حينئذ أن يجُرَّ معه كل ما يستطيع الإمساك به ليغرق الجميع فتعود الإنسانية بذلك إلى ما كانت عليه في العصر البدائي، هذا إن بقيت للإنسانية بقية.

لم يكن أحد يتخيل مدى بشاعة ووحشية تلك الهجمات التي أرجعت مسألة الاحتلال الاستعماري العسكري إلى نقطة البدء، خصوصًا من بلد هاجرت اليه ألمع العقول العربية والعالمية، الباحثة عن الحرية والديمقراطية.

لقد انتهى ذلك إلى مسلسل حروب عدوانية مفتعلة، وحروب استباقية تضمن لترساناتهم المتطورة الاستمرار والنمو، لحماية مكتسباتها الاقتصادية وسيطرتها على أسواق النقد.

في تلك الحملات العسكرية لم يتورع الغزاة من استعمال الأسلحة الثقيلة، إلى أسلحة الدمار الشامل والبيولوجي والكيميائي واليورانيوم المخصب موجَّهًا بأحدث التقنيات كالحاسوب والليزر والاقمار الاصطناعية، ولم يستهدف القصف الدول التي بدأت تعمل على تطوير أسلحة الدمار الدفاعية، وإنما شمل ذلك حتى ما هو محظور عليها سلفًا من تطوير أنظمة دفاعية تقليدية، إضافة إلى إرغامها على شراء العتاد المتقادم الذي لم تعد هي بحاجة إليه، ولم يترك لها العدو حتى صلاحية صناعة سفينة واسعة، تحمل فيها من كل زوجين اثنين إذا حمي الوطيس ودارت رحى التدمير والإبادة.

٢ـ لم يكن من العسير حينذاك أن نتخيل جماهير الحروف العربية وهي تتطاير شذرًا مذرًا وتتناثر في كل حدب وصوب، وقد مُزِّقت كل ممزق، وأصبحت مجرد أحاديث، كما حدث لأصحاب الجنتين في سبأ، ولقوم عادٍ وثمود،من قبل ذلك.

من تلك الحروف من حفر لنفسه خندقًا، ومنها من لجأ إلى جبل يعصمه من القصف، ومنها من دفن رأسه في الرمال ، وظلت مؤخرته المقوسة بارزةً على السطح مثل نبات الفطر.

ذلك لأن بعض الحروف العربية ـ كما هو معروف مقوسة المؤخرة أو منحنية بشكل يزيد أو ينقص، ومن الطريف أن ذلك الانحناء والتقوس والتقعر لم يكن ليخف إلا عندما تربط الحروف بعضها بعضًا مشكلة كلمة واحدة،ذات معنى أو جملة مفيدة الامر الذي يعكس حرفيًّا واقع المجتمعات العربية وما شهدت وتشهد من أحداث.

لم يكن ذلك الهروب العظيم سهلًا على أيٍّ كان من الحروف كل على حدة، فكل حرف عربي لديه عدد من الخدم والحشم وما ملكت اليمين، لا يستغني عنها حتى ولو كان بمفرده على ورق الكتابة، فما بالك إذا كان وحيدًا تائها في الصحراء٠

فكل حرف لا بد له من فتحات وكسرات وضَمَّات، إضافة إلى السكون الذي غالبًا ما يلجأ إليه إذا وقع في موقع صعب أو غير معروف. أضف إلى ذلك التنوينات والشدّات بأنواعها.

ولذا فقد كان عبء الهروب والاختفاء شاقًا خصوصًا على تلك الحروف المرفهة والتي تحمل عددًا من النقاط، إما فوقها أو تحتها، والتي من دونها لا تساوي شيئًا.

أصبح مصير الجميع بعد ذلك مجهولًا، حتى ظن الكثير من المراقبين أنها قد تعرضت لحملات إبادة عرقية وأصبحت في عداد الأموات، أو أن أغلبها قد دفن في مقابر جماعية. سواء بسواء كما حصل للهنود الحمر بعد غزو الرجل الأبيض والذي يقال أن عددهم كان يساوي عدد السكان في أمريكا الان + ١٠٪.

بيد أن الوقائع التي حصلت بعد ذلك أثبتت أن أحدًا لم يمت من تلك الحروف لحسن الحظ لقد حصل لها جميعًا كسور وكدمات ورضوض وتعذيب على شاكلة ما حدث للسجناء العراقيين في أبو غريب أو سجناء جوانتنامو، لكنها سرعان ما استرددت عافيتها. إلا أنها كانت في حالة تشرد، وظلت تائهه تعيش في غربة ذاتية مُضنية. والأكثر من ذلك أنها

حتى لم تفكر بالهجرة والرحيل عن موطنها الأصلي والتجنُّس بجنسيات أخرى، بل ظلت مختبئة ومتخفيه في وطنها الأصلي، أو المجاور ماشاء الله من الزمن.

٣ـ ليس من المعروف لنا حتى الآن، مَن مِن بين تلك الحروف الثمانية والعشرين، هو الذي كان صاحب الفكرة الأولى في إعادة جمع الشمل والبدء بالبحث عن أشقائه الحروف التائهة

وإن كانت بعض المصادر ترجح أن حرف الضاد الذي يحظى بمنـزلة خاصة عند الجميع ويمثل هويتها وموقعها المتميز بين جميع لغات العالم،هو صاحب الفكرة.

كما أنه ليس من الجليّ أيضًا كيف بدأت عملية البحث، فالبعض يقول إنها كانت على طريقة شيبوب،عندما بدأ يبحث عن أخيه عنترة، بعدما وقع في الأسر، والبعض يقول إنها كانت على طريقة الملصقات والكلمات المشوهه التي ترسمها بعض الكيانات على الجدران للدلالة على موقع أعضائها، ولعل أكثر الأفكار قبولًا أنها لجأت للطرق البدائية، مثل إشعال النيران والحمام الزاجل، وقرع الطبول وخلافه. خصوصًا أنها هجرت المدن الكبرى غير الآمنه وتفرقت في الأرياف والفيافي البعيدة.

المهم في الأمر، أن بعض الحروف بدأت تتلاقى بصورة سرية، لاتصل إليها أعين ولا أجهزة الرقابة والاستخبارات المنتشرة في كل مكان.

ومن الجدير بالذكر أن تعارفها على بعضها، لم يكن بالأمر السهل أيضًا، فقد غيّرت سحنتها وزيها وأشكالها التي كانت تعرف بها أيضًا، ففيها من صار يلبس البذلة والكرافته ومكشوف الرأس، ومنها من لبس على رأسه عِمّه أو مشدّة، والقليل منها ظل متمسكًا بالعقال والدشداشة، وإن تم تغيير معالمها بشكل يزيد أو ينقص، أما الزي الأغرب فقد كان للتي تاهت في الصحراء الكبرى، حيث كان لباسها أقرب إلى الزي الإفريقي أو البربري أو زيّ قبائل الطوارق.

هذا فيما يخص الملبس، أما السحنة فقد تغيرت إلى حد كبير، فبعضها أطلقت اللحية، وبعضهاصارت حليقة الذقن والشارب والبعض حليق، إما الذقن لوحده، أوالشارب لوحده، وأخرى قصّت من اللّحى، التي أخذت أشكالًا متعددة، بعضهم لأنها تناسب سحنته وثقافته، والبعض التزامًا بفكر سياسي معين أو تيار، لإظهار الحرص والتميز وتحدي الآخر، أوبما معناه، أنا موجود.

أما الأغلبية فقد اكتفت بوضع شارب كثيف تحت الأنف فقط، باستثناء اللحية (السكسوكة) بشكل رقم ٥ التي عُرفت بها بعض الحروف المالكة.

ومهما حدثت من طُرف ومفارقات أثناء التلاقي، فقد أثبت الصوت والنبرة الصوتية أنها الفصل في التعرف على هذا الحرف أو ذاك والوسيلة العملية لقطع الشك باليقين، حتى مع وجود لكنات مختلفة.

بعد تلك العملية الشاقة، في البحث واقتفاء أثر المفقودين، والتي كانت قياسية في السرعة، بعد ذلك تكامل الأعضاء، وتم التعرف على مواقعهم الثمانية والعشرين جميعًا، إلا أن منهم من تم العثور عليه بجميع لوازمه الآنفة الذكر، ومنهم من كان لا يزال بحاجة إلى المساعدة لاستكمال طاقمه وتوابعه كاملة، ولكنها، وحتى هذه اللحظة، لم تجتمع تحت سقف واحد أو في إطار واحد رغم أنها ظلت في حالة تواصل مستمر.

الجلسات التشاروية والتحضيرية:

من خلال اللقاءات الثنائية والثلاثية أحيانًا، برزت بحدّة ضرورة عقد مؤتمر أو لقاء موسع أو اجتماع طارئ إلى حيز الوجود.

ولم يأخذ هذا من الوقت اليسير، بل استمر الجدل والنقاش والمشاورات والمراسلة ردحًا من الزمن، حتى تم الاتفاق أخيرًا على عقد مهرجان كبير يحضره الأعضاء جميعًا بدون إنابة يلقي فيه كل حرف خطابًا أو بيانًا موجزًا، مسلطًا الضوء على ما صادفه من ابتلاء، وما تجرعه من محن، كما يتعرض للأحداث، وما استخلصه منها من عِبر، معلقًا بذلك كلٌ على طريقته أو بأسلوبه الخاص. حتى يتم التعرف على هوية، وفكر، وأيدلوجية الحروف جميعًا، وما تحمل من رؤية في مرحلة الانعقاد هذه، وما تتصوره لمستقبلها إن كان القريب أو البعيد، على أن يخلص المهرجان من هذا كله إلى رؤية جماعية، وقرارات حاسمة، تشمل وضع استراتيجية عامة، تُعيد للحرف مكانته وأمنه واستقراره الذي كان عليه، إذا لم نقل التي يستحقها بين أمم العالم، ووضع الضوابط الكفيلة بعدم تكرارمثل هذه المذلّة التي حدثت مؤخرًّا.

لقد شملت الأفكار التشاورية أيضًا ضرورة إيجاد موقف واحد تجاه العولمة الثقافية والفكرية التي شنّها الحرف اللاتيني، المهيمن حاليًّا على الساحة الدولية، والتصدي بحنكة وحكمة ووضوح لسياسة القطب الأوحد الذي انفرد بالوصاية على العالم، خصوصًا بعد سقوط الحرف الروسي اللاتيني الأصل، ألمحرف كتابة ونطقًا، والذي كان، ولا يزال، يعتبر نفسه الوجه الآخر للحروف الآرية العريقة، وكذلك الوضع بالحسبان تلك الحروف التجريدية القالب في الشـرق الصيني والياباني، التي تتنامى بصورة خرافية،مما يجعل لها مكانه عالمية هامة في المستقبل المنظور، وربما تكتب لها السيادة يومًا ما،على جميع الحروف.

ما إن تم الاتفاق في الجلسات التشاورية التحضيرية على عقد هذاالمهرجان الخطابي، حتى برز الجدل عن من سيتولى رئاسة هذا المهرجان، والمكان الذي سيعقد به، وهنا تفاقمت وتعارضت الآراء وظهر الهرج والمرج وبدأ الصراخ يعلو وتوالت الاتهامات، والشتائم،كما هي العادة٠

الأمر الذي جعل البعض من العقلاء الحاضرين يرفع عقيرته بضرورة ضبط النفس، لأن الوضع لا يزال غير آمن، كما أن العدد الكامل لم يتكامل بعد، وإن كان يستوفي النصاب القانوني.

ذكّرهم أحد الأعضاء بخطر التنابز بالألقاب والمبارزة الكلامية، مشيرًا إلى المقارنة ببعض المواقف التافهة، وغير المسؤولة، ألمشابهة التي حدثت في الماضي، في مؤتمرات القمة، والتي كان من نتائجها استمرار القطيعة، والتشرذم، الذي آل إلى ذلك المصير المفجع، كما ذكرهم ببعض مشاهد الفتنه الكبرى، وما لحقها من ثورات، والتي أدت جميعها إلى إجهاض الحضارة الإسلامية في مهدها، منوّهًا إلى الفارق الكبير بين ظروف انعقاد تلك الاجتماعات وهذا الاجتماع البالغ الخطورة، وغير المسبوق.

عنصرالترهيب، والتخويف هذا،للحاضرين، أصاب كبد الحقيقة، وتماشى مع نفسية الحروف العربية ونزعاتها، فقد وضع حدًا على الفور لذلك الضجيج.

هدأت أعصاب المتجادلين، واقترح أحدهم بهدوء أن يرأس الحفل حرف الضاد الكبير، لأنه شيخ العربية وأكبرها سنًّا، فيما رفض البعض ذلك، مدعيًّا أنه مفضولٌ، لكنه ليس الأفضل للمرحلة، ولم يقف عند هذا

الحد، فقد شكك بصحة قدم هذا الحرف أصلًا، والأهم من ذلك أن الضاد نفسه، والذي كان حاضرًا قد التـزم الصمت، وانسحب من هذه التزكية، وفضل الحضور والمشاركة كمستمع.

انطلق صوت حاد، من آخر القاعة، وكأنه غير آبهٍ بما يحدث، وتفوح من أصدائه رباطة الجأش والإقدام، ومن وقفته الانفعالية، وتعابير وجهه المتّقدة، ولحيته التي ظهرت على شكل تجمعات شعر خفيف أسود اللون، تبين للحاضرين، وقد لووا رؤسهم إلى الخلف جميعًا أنه سيقول الكلمة الفصل.

صدع قائلًا، إني أرشح الياء.. رئيسًا...،

سرت همهمة وغمغمة، وتلفت كل واحد إلى الذي بجانبه رافعًا يده بعلامة التعجب.

فأردف قائلًا: أيها الأخوة والأشقاء، وقد خفف من نبرته قليلًا، كلكم تعرفون، أن الياء هو حرفٌ منا وإلينا، وجزء لا يتجزأ من أبجديتنا العظيمة، وبرغم حداثة سنه بالنسبة لنا جميعًا فهو حرف ندائنا الأول الذي به نفتتح النداء والدعاء والتعجب، كما أنه في سن العطاء وعنفوان

الشباب، الأمر الذي سيجعل منه أكثر حماسة وإقدامًا، ونحن في هذه المرحلة أحوج ما نحتاج إلى الجرأة والحماس لإخراجنا مما نحن فيه، ثم بدأبسرد قصيدة ابن عشرين السنين غلامُ، إلاّ أن الجميع قاطعوه قائلين كفى، فهذه نعرفها جميعًا ... فأردف:

خصوصًا ونحن نمر في ظروفٍ عصيبة كهذه، وأوضاع غير عادية. فلماذا لا نجرب ذلك ونترك له فرصة مثل هذه. وإلا فمن منا يستطيع التضحية والفداء بالنفس إذا لزم الأمر غير شبابنا الواعد، من أمثال هذا العنصر المتمرس، ومن غيره يستطيع أن يتقدم الصفوف عندما يداهم خطرٌ محدق جديد أو نتعرض لمحنة أخرى.

وتذكرون جميعًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عقد اللواء لأسامه ابن زيد وسار خلفه الأبطال الفاتحون العظام.

أضف إلى هذا، أن أخانا الياء قد أتى هذه المرة من اليمن، وهي أصل عروبتكم ومنشأكم الأول.

وإذا كانت اليمن قد تأخرت عن ركب العديد من الأقطار العربية والعالمية، إلا أنها قد اختزلت تجربة واسعة من جيرانها، كما أنها ظلت أقل الأقطار العربية تأثرًا بثقافة الاستعمار الأمر الذي قد يحسب لصالحها.

كما أن توحيد الشطرين عام ١٩٩٠م وتبنيها للديمقراطية، المستوحاة من تراث شعبها وثقافتها الإسلامية الحضارية، قد جعلنا نثق بأنها قد بدأت ربما البداية الصحيحة على طريق النهوض الخالي من الشوائب والمتجرد من الاختراقات. كل هذا قد يجعل منها مزكزًا هامًا لفكر نهضوي حديث، ومنطلقًا لتبني العديد من التغيرات الهيكلية في الثقافات العربية المتباينة ومدخلًا لسياسة متوازية مع جميع القوى المهيمنة في العالم.

خيم على الجميع صمت حقيقي، مما شجع المتحدث على الاستمرار قائلًا:

وبناءً عليه وبعد موافقتكم، واختصارًا لوقتكم الثمين، أقترح عليكم التصويت برفع الأيدي على ترشيح الياء رئيسًا لهذا المهرجان ... فارتفعت الأيدي عالية بنسبة تصل إلى نحو ٧٠٪ من الحضور، بما فيها يد الحرف المرشَّحِ نفسه، ويد الضاد، ويد المتحدث أيضًا.

انطلق تصفيق حاد وسريع بعد إعلان نتيجة التصويت،قاطعه صوت قوي من القاعة سمعه الجميع صائحًا يتساءل:

ولكن من سيحدد لنا الزمان والمكان الذي سينعقد فيه المهرجان..؟؟

رد الصوت المتحدث الأول (الذي فاتنا أن نذكر أنه كان أحد الحروف الحلقية)، سنجعل ذلك من صلاحية الحرف المنتخب.

فأقر الجميع ذلك.

فعاد التصفيق مرة أخرى، حتى قطعه بصوته الأجش ذلك الحرف الذي جرى للتو انتخابه قائلًا:

شكرًا.. شكرًا، لكم جميعًا، وأحب التنبيه أولًا إلى عدم ضرورة التصفيق تقديرًا للظروف التي نمر بها مع احترامي وتقديري لكم جميعًّا.

أحسّ الياء أن الحضور يودون المزيد من الاستماع إليه، حتى يكشف لهم ذلك عن شخصيته وطبيعة توجهه، فقد ظلوا جميعًا متطلعين إليه، مما أفهمه أنهم يريدون منه الاستمرار في التحدث، فتقدم إلى أمام الحضور وقال.. بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول الأعظم:

إنه لشرف عظيم أن أرأس هذه الفعاليات الهامة، والتي تعقد في ظروف هي أدق ما تكون والتي لم يسبق لها مثيل في تاريخنا العربي بكاملة، وأنا على ثقة أن هذا الحدث الكبير لن يكون ناجحًا، إلا بتعاونكم الخلاق والجاد والموضوعي.

وإني اقترح عليكم أن يعقد المهرجان في آخر يوم من هذا العام، وفي مكان كذا ... وسمى بلدةً صغيرة تقع بين جبلين، وتطلُّ على مضيقين، وعلى الحدود بين دولتين.

كما وعد بإعداد جدول الأعمال لهذه المناسبة، وأمر الجميع أن يُعدّ كل واحد منهم أطروحة أو مداخلة، موضوعية واستقلالية، بنَفَس شخصي، لاثراء هذه التظاهرة، والتي لأول مرة تعقد على هذا النحو. وشريطة أن تخلو من أي إشارة إلى نزاع قديم، أو خلاف سياسي أوفكري، مسلطًّا فيها ما أمكن، كل حرفٍ على موقعه من الحروف العربية، وهيئته ونسبه في شجرة اللغة العربية وتراثة اللغوي والثقافي المعهود، وذكر أن لا مانع بأن يتعرض من خلال ذلك إلى ما يريد طرحه من قضايا وهموم أو أفكار تخدم الفكرة العامة وتؤدي إلى الهدف المنشود.

الفعاليات:

في اليوم المحدد في الجلسات التشاورية السابقة، بدأت الفعاليات فعلًا، وفي نفس المكان دون أن يطرأ على المكان والزمان أي تغيير.

بدأت الوفود تتدافق إلى ساحة الاحتفال، ولم تكن الفوارق من وصول أولها وآخرها سوى ساعات قليلة، ولعل بعد المسافة، ووسائل النقل هذه المرة كانت هي السبب، ومن نافلة القول، أن أ يًّا من هذه الوفود، لم يصل بطائرة الجامبو أو الأيرباص الخاصة،كما كانت تجري العادة، إنما على ظهور الإبل، والأحصنة، وحتى الحمير أيضا.

كانت القاعة التي أعدت لهذه المناسبة، عبارة عن خيمة كبيرة، عربية الطراز رفيعة العماد ترتكز على ثلاثة أعمدة خشبية قوية،يبدو أنها من خشب الأرز الذي يوجد في جبل لبنان٠

زينت من الداخل بألوان زاهية، وطرِّزت بنقوش إسلامية آية في الجمال بفن الأرابسك المصري الطابع، مما جعلها تبدو كالسرايات الضخمة التي تنصب للمناسبات الكبيرة.

كان اتساعها كافيًا ليضم الحروف العربية كاملة مع وفودها المرافقة، والتهوية والإضاءة جيدة،من البوابة الواسعة من جهة، ومن النوافذ المصممة مسبقًا في جدرانها القماشية،من جهة أخرى، أما الكراسي الخشبية المعدة للجلوس فقد وضعت بإتقان على شكل هلالي، أمام واجهة المسرح التي كانت مرتفعة ورائعة، ومفروشة بالبساط الأخضر، وفي قلبها طاولة متواضعة للرئيس، وعلى الركن الأيمن منها وُضعت منصة خشبية مطعّمة بالصدف الشامي للخطابة، أما في خلفية المسرح فقد وضعت لافتة كبيرة،كتب عليها بخط الثلث(واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا).

أما منظر القاعة ومن فيها من الوفود فقد كان بديعًا وأخاذًا، مما جعل الكثير من الحضور يتبادلون الحديث قبل جلوسهم، ويشيرون بأصابعهم إلى هذه الناحية أو تلك والإعجاب واضح في عيونهم، وكأنهم لأول مرة يرون مثل هذه القاعة.

أما لو ركزنا النظر على المجتمعين لرأينا مشهدًا لا نظير له في الروعة والجمال والجلال، فقد كانت الحروف متراصة وبترتيبها المعروف،مَظهرها كالبنان أو كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا، ولعل أبرز الحاضرين كان الألف الذي كان في الصف الأمامي، وفي الطرف على يمين الناظر إليه من

المسرح، حيث بدا وكأنه أطول الحاضرين قامة بزيِّه الثلُثيُّ البديع، يعتمرُ على رأسه قلنسوة مثلثة الشكل تميل على جبينه السامق، بشكل آخاذ.

وخلفه كوكبةٌ من حروف الألف تضم فيمن تضم:

الألف النسخي، الذي يعتمد على رأسه عِمامة جميلةً، في ناصيتها جوهرة ثمينة (لعله يحمل حقيبة الخارجية)، يليه الألف الرِّقعي، بقامته القصيرة السمينة، التي تدل على دماثة خلقه وحيويته التي تنبض بالنشاط، يليه الألف الفارسي بقدّه الأهيف السمهري الرشيق، ثم الريحاني ذو القوام المياس والذي يعتمد على رأسه عقال مضلع ذهبي جميل، ثم التاجي القريب الشبه من رفيقة الريحاني. أما الألف الكوفي فقد أتى مجللًا بوشاح يحتوي على أجمل روائع الفن الاسلامي، وعلى كتفهِ العديد من النياشين، كأنها ترمز إلى أنه يحمل حقيبة الدفاع أو رئاسة الأركان العامة، والجدير بالملاحظة أنه لم يكن هناك أي تنافر بين ذلك الزي العربي الإسلامي والنياشين الملونة المرصوصة في صدره، بل على العكس فقد شكل ذلك لوحة فنية رائعة.

وهكذا كل حرف رئيسي اتخذ موقعه، كان يقبع خلفه كوكبةٌ من بني جنسه بشكل كرنفالي متناسق وآخاذ.

ومما يثير الغرابة، ويبعث على التساؤل وجود عدد من أحرف الإعلانات التجارية المتنوعة الأحجام والأشكال،مندسَّة في كل بعض المجموعات، وهي متباينة المظهر والزي واللون، وهي ما تسمى بالأحرف الكلشيهية، أو أحرف الإعلانات، والتي لم تظهر إلاّ قبل الأحداث الأخيرة بزمن قصير، الأمر الذي يشكك بنجاح السرية التامة التي تبناها المحضرون لهذا الاجتماع.

احتمال آخر، حتى لا نطعن في نزاهة الاجتماع، هو أن تكون هذه الحروف هجينة جاءت بفعل العلاقات الدبلوماسية، والمنح الدراسية إ، وحركة الاغتراب التي ازدادت نشاطًا قبيل الأحداث الأخيرة، إلى مختلف بقاع العالم والتي ازدهرت في العقود التي سبقت الطوفان.

صعد الياء، بخفة ونشاط إلى صدر القاعة، ليترأس الحفل.

وقد كان مظهره يدعو إلى الإعجاب والتندُّر، فقد جاء بزي كرنفالي جميل، وهندام عربي أصيل يذكرنا بأجواء هارون الرشيد وفرسان ألف ليلة وليلة.

يعتمد عمة دائرية الشكل صغيرة على رأسها بعض الريش الملون، كأنه الطاووس، الأمر الذي جعل عمَّته أشبه ما تكون بالتاج على ذلك العنق الطويل، سوى فارق بسيط، حيث كان هناك ذيلٌ يتدلى من خلف الرأس، وهو ما يسمى في بلاد اليمن بالعذَبَة، كـرمـز للإمامة أو السلطان والادارة، ولم يدرك أحدًا بعد لماذا بدت عنق الياء طويلة هذه المرة كأنها عنق البط أو النعام، لعل ذلك له علاقة بكبرياء المنصب الذي تقلده، أو أنها فرحة ذلك اللقاء العربي المهيب، ومن الطريف ان نذكر أن الكُرتان التي كان يقف عليها الياء قد كانتا أقدامه فعلًا، وقد أُلبستا حذائين بيضاويين جميلين، مما أثار دهشة الحاضرين، وظهرتا للبعض شبيهة بحذائي الطنبوري، أوحذائي قنُـبَرْ، الأسطوريتين.

وقف الياء إلى جوار الدكّـة الوثيرة التي أُعدّت في صدر القاعة، وعليها المُتّكئات الأسطوانية الجميلة، وقبل أن يجلس جال بنظره على الحضور جميعًا بثقةٍ وابتسامة ناصعة، وحيّا بيدهِ اليمنى، وأشار للجميع وللمساعدين بجواره بالجلوس كل في المكان المخصص له، رغم أن بعضهم كان قد جلس قبلًا.

وللمزيد نوضح هنا أن القاعة كانت قد أُثثت بطريقة متواضعة وبصنع محلي مستعجل، بعيد كل البعد عن ذلك الأثاث الفاره المستورد، الذي تعودت عليه الحروف قبل النكبة، بيد أنه لم يكن هناك أي تذمر، الأمر الذي يبعث على التفاؤل ويجزم بأن اللقاء يحظى بالجدّية والحماس وحسن الطوية.

تنحنح الياء مرتين، ودق إصبعه مرتين، على الجهاز المكبر للصوت، الذي كان من النوع اليدوي البسيط وجهر بصوته قائلًا:

بسم الله الرحمن الرحيم نفتتح الجلسة، أرجو من الجميع الآن الوقوف وقراءة الفاتحة على أوراح الشهداء العرب والمسلمين في كل مكان، شهداء فلسطين والعراق ولبنان، وشهداء أفغانستان والبوسنة والشيشان.

نهض بعد ذلك مقدم البرنامج، والذي لم نتمكن بعد من معرفة هويته إلى الآن ولا من أي الحروف كان، ولكن لعل ذلك لا يفيدنا الآن، فأعلن بدء البرنامج بآيٍ من الذكر الحكيم، ولم يعلن عن اسم المقرئ، واكتفى بتسميته بأحد الحاضرين.

تدافع متهالكًا إلى المنصة حرفٌ مركّب كسيح، يحمل عكازين، وما إن التفت مواجهًا الجمهور حتى قيل هذا حرف اللام ألِف (لا)، ألذي ينكر البعض وجوده ضمن عشائر الحروف العربية الأصيلة، ويعتبرونه هجينًا أو مُولدًّا ذلك لأن نَسَبهُ لا يرتقي إلى أنسابهم، وإن كان يحمل مورثات الألف من جهة الأب، واللام من جهة الأم، إلا أنه لا يتمتع بنفس الجاه والنفوذ الذي تتمتع به حروف السلالات الأصلية.

فقرأ من قوله تعالى (إن الذين تولوا منهم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إنه غفور حليم) ولم يزد على ذلك قائلًا صدق الله العظيم.

بعد ذلك تلا رئيس الحفل جدول الأعمال قائلًا:

أصحاب الجلالة ذوي النقاط الكثيرة من أعلى.. أصحاب الفخامة ذوي النقطتين من أعلى أصحاب المعالي ذوي النقطة الواحدة من أعلى.. أصحاب السمو ذوي النقطة من أسفل ثم أسفر عن ابتسامة خفيفة، وكأنه يشير إلى نفسه مردفًا، وأصحاب النقطتين من أسفل.

أيها الحاضـرون جميعًا، بنقاط أو من دون نقاط. الحروف المعطوفة منكم، والملفوفة أو المنحنية أو المقوّسة أو المستقيمة (لا نـفرق بين أحـد من حروفنـا) ولا فضل لحرف على حرف إلا بالتقوى وبما يعمله من عمل وما يصدر عنه من وظيفة تعود إيجابيًّا على نفسه وعلى المجتمع.

في هذا الاجتماع التاريخي الذي يشكل منعطفًا هامًّا، إن لم يكن الأهم في تاريخ أمتنا العظيمة،

أيها الاشقاء: إن هذاالمهرجان الكبير، والذي قلَّ فيه أونـَدُر أن يجتمع فيه نصابنا كاملًا كما هواليوم، بمثل نقلةً نوعية بكل المقاييس، ويعكس مدى إصرارنا جميعًا على الخروج من هذا المأزق الكبير، والتأسيس لمستقبل جديد مشرف، أكثر ثباتًا وأمنًا واستقرارًا.

أننا نأمل بالخروج برؤيا عامة واضحة واستراتيجية واضحة المعالم والأهداف تكون قادرة على استعياب موروثنا الحضاري العظيم، والبناء عليه بشكل يجعلها أكثر عطاء وإثراءً، وأكثر قدرة على تحمل المسؤولية، والتعايش مع شعوب الأرض قاطبة، مهما كان وزنها وثقلها في الموازين الدولية، وتوصيل رسالتها بالحكمة والموعظة الحسنة إلى جميع أمم الدنيا، التي هي خاتم الرسالات جميعًا والتي خرجت أغلبها من أرضكم هذه

المباركة، أرض الحضارات والرسالات السماوية وامتزجت بترابهم وأنفاسهم (والله أعلم حيث يجعل رسالته)، وحيث إنه جل وعلا، الأعلم بمن يصطفي من عباده فهو الأعلم أيضًا بمن يبتلي من خلقه لحكمةٍ بالغة قد ندركها في حياتنا المنظورة أو لا ندركها.

ثم أفاض قليلًا بالموعظة، وذكّر بأمجاد العرب الأولى، وحثّ الجميع على النهوض بمسئولياتهم من جديد والعبرة من كل ما مضى، قبل أن يكمل بقوله:

ولن أطيل عليكم فأنتم أكثر خبرة مني وثقافة وحكمة وعليه فجدول الأعمال سيكون كالتالي:

١ـ نستمع جميعًا إلى المداولات التي يطرحها من شاء منكم وستكون بحسب الترتيب الأبجدي وليختر كل واحد منكم ما شاء من موضوع وما شاء من أسلوب تعبيري، شعرًا أو نثرًا لإيصال فكرته وتجربته شريطة أن يرتقي الكل، من الخاص إلى العام،ليشكِّل مضمونًا نتخذه كورقة عمل ضمن أدبيات المؤتمر، نصوغ منها القرارات التي سيقرها الجميع.

نوصي هنا بعدم ضرورة اللجوء للخطاب الوعظي الإنشائي، الذي درجنا عليه والدخول مباشرة في صلب الموضوع والإيجاز، فخير البيان ما قلَّ ودلّ.

٢ـ وكموجِّهٍ للحديث أقترح عليكم مجرد اقتراح، أن يطلعنا من أراد عن الظروف التي أحاطت به أثناء النكبة، وما تعرض له من معاناة بغرض تبادل الخبرات وإثراء التجربة، ولا ينسى أن يتحدث كل واحد عن مكانته الخاصة بين الحروف جميعًا بغرض التدقيق والتركيز، كأن يطلعنا على رؤيته لنفسه والدور الذي من الممكن أن يناط به في المراحل القادمة.

٣ـ وحتى لا يتشعب الحديث نرى عدم تكرار المواضيع والخلوص إلى فكرة مفعمة أو أكثر على أن لا تتشعب، وعلى أن لا يتجاوز كحد أقصى خمسة عناوين محددة، أو أفكار معلومة فقاموسنا اللغوي كما تعرفون بحرٌ واسع، ومرادفاتنا هي الأكثر اتساعًا بين جميع لغات العالم الأمر الذي جعل منا انشائيين اكثر منا إعرابيين، تُوجهنا عواطفنا، وسياق البيان، أكثر مما تُوجهنا العقلانيه والاتزان، وتسحرنا العبارة اللامعة، والصوت الرنان، أكثر مما تستوقفنا الفكرةُ، أودلالة المضمون والعنوان.

٤ـ يحق للجميع المداخلة المقتضبة، أو التعليق في حينه، بعد رفع الأيدي بغرض تحقيق الفائدة ولكن ليس على غرار الاتجاه المعاكس في البرنامج التلفزيوني المعروف، الذي يثير الانفعال والتشنج عنوة ليفتح الباب أمام سقطات اللسان وإخراج مكنون النفس، أمام الذين يترصدونه، كما يترصد الطبيب النفساني أقوال مريضه عندما يفاجئه بسؤالٍ يضرب به على الوتر الحساس،مما يجعل خصومنا أكثر استفادة، ويحصلون على ما يريدون من معلومات بالمجان.

إنما نرجوه أن لا يكون الطرح سياسيًا مجردًا أو مسلطًا على الحبكات المنطقية الجدلية، التي غالبًا ما تخرج عن الهدف المنشود.

٥ـ بعد إنهاء المداولات سيتم تشكيل لجان متابعة، ولجنة صياغة قرارات، وتوصيات وصياغة البيان الختامي، ليشكل رأينا الجماعي، وليكون لنا مرجعية لما يتلو ذلك من اجتماعات دورية أو طارئة عند حدوث المستجدات.

أعلن رئيس المهرجان بعد ذلك عن استراحة قصيرة لتناول الطعام والصلاة، فقام الجميع وتناولوا شيئًا من الطعام وصلّوا جماعة خلف إمام واحد وبخشوع ظاهر، رغم أنه لم يكن هناك نقل تلفازيّ، ولم يكن هناك

وسيلة ما لقياس درجة إيمان كل شخص، المهم أن الجميع صلوا جميعًا الأمر الذي قد يعني الشيء الكثير.

الفصل الثاني

المداولات

حرف الألف

إعداد العُدَّة:

عند بدء الجلسة التالية، ضرب الرئيس بمطرقة خشبية على شكل حرف الطاء (ربما جاءت هكذا مصادفة)، ونادى على حرف الألِف أن يصعد الى المنصة ليلقي كلمته، وأعقبه صوت صوتٌ حاد وقوي،من المبلِّغ، اهتزت منه جدران الخيمة القماشية.

نهض الألف بقوامه الفارع الجميل، يعلو وجهه ابتسامة مشرقة، وتنحدر على الجانب الأيسر من جبينه الناصع تلك القلنسوة المثلثة الشكل، كما تقدم، وكأنها من القطيفة الخضراء المرصعة بالجواهر، أو كأنها من الديباج الفاخر الأنثوي الطابع، بقيافة تماثل ما درج عليه بعض أمراء بني العباس في عصور النهضة الإسلامية. يرتدي طيلسانًا أصفر بلون الزعفران موشّى بخيوط ذهبية في أطرافه، كأنها من العَصْب أو الكَندر اليماني الفاخر.

جال بنظرة واثقة على وجوه الحاضرين جميعًا، وظل هنيهة صامتًا حتى ظن البعض أنه سيقول:

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

ولعل آخر في القاعة قد همس لصاحبه قائلًا:

أراهن انه سيبدأ بقول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ.

ولكنه نطق فجأة بصوت جهوري أجشّ، صادر من أعلى حنجرته البارزة، منتظم التردد، شجيّ النغمة، لطيف على المسامع، وكأنه يطلق الآهة التي تسكن أفئدة الحاضرين جميعًا.

يجدر التنويه هنا قبلًا، أن الألِف المتحدث يعود نسبه إلى مجموعة الحروف الحلْقية، ومنها الحاء والعين مثلًا.. أما مجموعة (ف، ب، م، و) فتعود إلى مجموعة الحروف الشفوية والمجموعة (س، ز، ش، ث، ص، ظ) فتعود إلى ما يسمى الحروف الصفيرية.

ليست هذه التجمعات لغوي أو صوتية الطابع، ولا هي حتى إعادة إنتاج للتجمع الذي كان يسمى مجلس التعاون الخليجي، أومشروع الاتحاد المغاربي، أو دول الطوق، اوالقرن الإفريقي مثلا، فهذه تجمعات

مصالح سياسية، حكمتها المصالح، وعلاقة القربى، وحسن الجوار، ولحد علمنا فهي لم تصل إلى ما كانت تطمح إليه.

لكن هذا التجمعات هي أصولية الجذور جينيّة التشكل،. و هي علاقة فطرة ولغة وذوق سليم.كما علاقة تاريخ واحد ومصير مشترك، ووقفة مع تحديات العصر في الحاضر والمستقبل، تعمل على إيجاد الحلول والمخارج، وتجاوز المعوقات، بما يكفل الحفاظ على صيانة كرامة الأمة العربية، وتبني دورها الفاعل في الحضارة الإنسانية.

أردف حرف الألف قائلًا أيها السادة الحضور جميعًا، أيتها السيدة الفاضلة الوحيدة، (يقصد هنا الهمزة)

هناك بعض أبيات قلتها، تناولت جانبًا من شخصيتي وهويتي، تجدونها في االملحق الأدبي، المسمى (رحيل في أبعاد الأبجدية)، والذي سبق وأن وُزِّع عليكم قبل بدء هذه الفعاليات، والذي وضع للمهتمين بالشعر العربي وفنونه.رحلت فيها مجازًا ومن خلال شكلي وقامتي إلى ما تعرض له الحرف العربي من نكسات وإحباط وتغيير، حيث تمكن من الصمود وتجاوز كل ما واجهه من أزمات عبر تاريخه، وتراثنا المحفوظ لا يزال زاخرًا بذلك.

وكنت قد أعددت أطروحة مختصرة عن تاريخ اللغة وقوانين النطق بها، ولكني سأؤجلها حتى نهاية المداولات حرصًا على وقتكم الثمين.

أما الامر الذي لا يحتمل التأجيل فهو موضوع ضرورة إعداد العُدّة، لحماية انفسنا ومكتسباتنا لما لذلك من صلة بما حاق بنا جميعًا من نكبات وهزائم، لم يكن مردُّها إلى ضعفنا وعجزنا وقلة مواردنا، بقدر ما كان بسبب إهمالنا هذا العنصر الحياتي والوقائي البالغ الأهمية.

(أورد المتحدث لمحة تاريخية أوّلًا عن السيف العربي الأصيل وتاريخه والخيل العربي الذي هو أحد رموزنا الحضارية إلى الآن، وما بذل عبر العصور من عناية بتطويرهما حتى صارا بهذا الشكل الذي نعرفه. ثم ذكر طرفًا من معارك الفتوحات العظيمة وإنجازات المدّ الإسلامي الحضاري الذي ترك بصمة على كل معالم النهضة الحديثة).

و أضاف قائلًا:

إن السلاح العربي ممثلًا بالسيف كان يرمز لعزيمتنا وكرامتنا وبه فتحنا مشارق الأرض ومغاربها وأقمنا خلافتنا التي دامت أكثر من سبعة قرون

تنشر المحبة والسلام وتؤسس قواعد العلوم والمعارف في كل أرجاء المعمورة.

هذا السيف الذي تغزلنا به في قصائدنا وملاحمنا البطولية، لم يعد له من أثر إلا في بعض المتاحف الأثرية وفي حفلات الزفة والأعراس، حيث يخصص لقطع التورتة، أو ربما في مهرجان الجنادرية، المعروف سنويًّا. وكأن السلام قد عمَّ الأرض واستتب العدل والرخاء.

لم يأت شكلي هكذا بينكم اعتباطًا شبهًا للسيف الواقف، ولا تقدمت صفوفكم هكذا عشوائيًا إلا لأنني أول أولوياتكم، فأنا أول من صنع التاريخ وأول حروفكم الأبجدية، وأنا الرائد في كل فكر تمارسونه وكل فعل تبدون به، وكل جملة تنطقون بها.

وصدق أبو تمام حيث يقول:

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ   في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

لا أتحدث الآن عن السيف المجرد، بل السلاح عمومًا وإعداد العُدة لما ينصبونه الأعداء، لقد عاد لنا السيف على شكل صاروخ، ومكوك،

وقاذفات لهب وقنابل عنقودية وفوسفورية، تحرق البشر والشجروالتراب والحجر، وبأيدي أعدائنا فلماذا توقف التاريخ عندنا وبدأ عندهم.؟

لقد كان لدينا من العتاد والعدة ما نستطيع به تحرير العالم بأسره من الشرك والعبودية والوثنية ونشر رسالة الرحمة إلى جميع الأصقاع، ولكننا صوبنا كل ذلك إلى صدورنا ودخلنا في مستنقع السياسة والمذاهب والتكفير وصدق الشاعر الأموي نصر بن سيار حين قال محذرًا:

أرى خلـل الرمـاد ومـيض نـارٍ ويوشـــك أن يكـــون لهـــا ضرامُ

فـإن النـار بـالعودين تَـذكَى وإنَّ الحـــرب أولهـــا كـــــلام
إذا لم يُطفها عُقلاءُ قـومٍ يكـون وقودهـــــا جثـــــثٌ وهـــامُ

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقـــــاظٌ أميّـــــةَ أم نيـــام

ففـــرّي عن رحالكِ ثم قولي عـلى الإسـلام والعـرب السـلامُ

من الذي منعنا من إنتاج السلاح للدفاع على الأقل ؟ وكيف ؟ تولدت القناعة بشراء منتوج الأعداء المستهلك وبأغلى الأثمان ؟

وإذا كان المبرر هو الضغوط العالمية وما شابه، فلماذا مورس الضغط علينا فقط ونحن الذين رضخوا لهذا الضغط فقط ؟

أسئلة لا بد لنا من الإجابة عليها اذا أردنا الانعتاق والخلاص وإذا لم يتوافر الجواب، فقد نجدها عند بعض الدول الصديقة التي استطاعت الأجوبة عليها.

أما إذا قيل إنّ الضغط تركز على أدوات التفجير والاختراق. فإن الأسلحة الأخرى مثل سلاح النفط، سلاح المقاطعة، سلاح الاقتصاد، سلاح المضايق والممرات، سلاح مقاطعةالكماليات، سلاح الثقافة والإعلام، سلاح النصرة والنفيرالعام، والصمود، وغيرها أسئلة أطرحها عليكم وكلي أمل فيما سيتمخض عنكم هذه المرة.

والسلام عليكم ورحمة الله

ثارت عاصفة من التصفيق من الحضور بدلًا عن الإطراق والتأمل أو الإنحناء خجلًا، لكن رئيس المهرجان ضرب الطاولة بمطرقته الخشبية التي على شكل حرف الطاء وأمر الجميع بتأجيل التصفيق حتى نهاية المداولات، وصرخ بحرف الباء أن يصعد ليلقي كلمته.

حرف الباء

الفقر ـ التخمة:

نودي على الحرف التالي، وهو الباء، بإشارة من الرئيس،ثم بصوت حادٍ قوي من المبلِّغْ، فليتفضل حرف الباء.

حُمل الباء على مخدَّة مزكرشة من الدِّمقس، كانت قد أعدت للحروف التي ليس لها قوائم ونقط ارتكاز، فقام اثنان من الحرس عظيما البُنية، ووضعاهُ عليها وحملاهُ إلى المنصة، وبعدهما غلام يحمل نقطته الوحيدة ليضعها تحته عند بدء الحديث.

ما إن استقر على الكرسي العالي المعد له حتى زمّ شفتيه بشكل واضح وهو ينطق بالبسملة، ويرحب بكل فرد منوها باسمه وصفته،ثم بعد ذلك رفع عقيرته منشدًا قصيدة وطنية، كان قد أعدها لمثل هذه المناسبات،كما كانت تجري العادة.، وعند انتهائه من القصيدة، التزم الجميع هذه المرة بعدم التصفيق، ماعدا تصفيقه أو اثنتين سرعان ما همدتا.

كان الباء من النوع الذي يعرف نفسه تمامًا، ويقدر نفسه حق قدرها. وإن كان من النوع الخجول الذي يخشى مواجهة الجمهور، لكنه كان يحمر

ويتصبب عرقًا ولا يدري لماذا يحدث ذلك. ما نعرفه أنه كان سريع البديهة وحاد الذكاء، يتكلم بسرعة وأحيانًا يتلعثم خشية من ورود الفكرة بعد فوات الأوان، ولعل مردود ذلك إلى تربيته (الحسنة بالمقاييس الشرقية)، ألتي غالبًا ماتركزعلى خصلة الحيآء، باعتبار أن الحياء شُعبة من الإيمان، وبأنهُ مايُميز أبناء الأسر المحافظة،عن العامة، أو الرعاع، الأمرالذي في بعض الحالات ينقلب إلى خجل، وإحباط وربما خوف من المبادرة، ومواجهة الجمهور.

بالرغم من ذلك كله فقد اتخذ من شكله الذي يشبه الطبق أو الصحن، بل وحتى الصحن اللاقط للفضائيات، كما عبّر عن نفسه، لإضفاء روح الدعابة والمرح.

بعد قصيدته الدرامية، اتخذ من شكله مدخلًا للحديث عن إشكالية الطعام، الفقر، الجوع، واليطالة المتزايدة، السافرة والمقنعة، ليعبر عن واحدة من أهم مشاكل العالم الاجتماعية حيث قال بتواضع:

إننا أيها الإخوة، نعيش اليوم في عصر يكاد ربع سكان العالم الآن يموت من الجوع في الوقت الذي يكاد يموت الربع الآخر من التخمة.

وإنه لمن اليسير أن أجزم لكم أن معظم الحروب التي عرفتها البشرية إنما كانت بسبب التهافت على تأمين الغذاء وانتزاعه من يد الآخرين. ذلكم هو المحزن في هذه الحياة أنه لم ولن يأتي اليوم الذي يرتقي فيه الإنسان إلى مرتبة الحيوان، فيكتفي بطعامه الذي يردم جوعه ويشبعه أيضًا فقط بل يظل يستحوذ على طعام الآخرين ويخزّنهُ، ولو هلك الاخرون جوعًا.

إنه لمن اليسير أن نستنتج أن الفقر والخوف المصدر الأول لمعظم مشاكل البشرية الأخرى مثل الإدمان والانفجار السكاني وتفشي الأمراض، والجرائم والجُنح، والبطالة بشقيها. كما أنه يكاد يكون الدافع الأساسي لحركات التمرد والعصيان، والتطرف وما يسمونه بالإرهاب، وهذه التسمية منشأها طبعًا الدول الغنية،هذا ناهيك عن الجوع التاريخي الذي يستحوذ على عقلية سكان الأماكن المنقطعة والشاهقة، والذي يظل تأثيره على الإنسان حتى لو نزح إلى المدن أوتحسنت ظروف حياته، فهو يظل محتفظًا بعقلية المحارب، ويتعامل مع المجتمع بنفس العقلية.

كما أنه سبب رئيسي للإحباط وانطفاء المواهب والملكات والإبداع. إن الرسالات السماوية بشكل عام إنما ارتكزت على إنقاذ المستضعفين من

الفقر والعبودية، والاقتصاص لهم من جبروت الأغنياء والمستكبرين، وحررت البشرية.

أما أغلب الحركات السياسية الكبرى ومنها ما حصل في العصر الحديث من بروز للفكر الشيوعي والثورات الاشتراكية في وجه الرأسمال وغيرها من الحركات، جميعها أرادت وضع الحلول لنظام توزيع الثروات، ومنها ما فشل ومنها ما هو يعرض للفشل بسبب غياب البعد الروحي، هذا الصراع الذي قارب على الخروج من دائرة الدفع للامم بعضها ببعض إلى درجة التصادم وسباق التسلح والذي لا يعرف نهايته إلا الله.

كل هذا تعرفونه أيها الاشقاء جميعًا ولا يتسع المقام لتفصيلات أعم، وبين ظهرانينا علماء اقتصاد وأصحاب آراء علمية مدروسةفي هذا المجال، يمكن الرجوع إليهم ولعله من المفيد هنا أن أذكر أن هؤلاء العلماء الاقتصادين مِنا، ومنهم من يوجدون بيننا أو في المهجر، هؤلاء الزمرة والحق يقال لم يعطِ لهم الرأي الأول فيما يتعلق بتلك النـزاعات الأخيرة والتي في طابعها العام اقتصادي قبل أن يكون سياسي أو سلطوي وهنا يأتي الدور للمؤلفات والأبحاث والأطروحات والندوات الاقتصادية التي لم تفعّل كما يجب ولا تزال حبيسة الأدراج والمكتبات. لعل هذه

الإشارة إلى موضوع في مثل هذه الأهمية، على الأقل أن يجد في نفوسكم مستقرًّا في خانة الأولويات.

والسلام عليكم..

حرف التاء

التثنية ـ التشطير:

عندما حان دور التاء، صعد إلى المنصة محمولًا كزميله الباء، وغلامان حملا معه نقطتين ووضعاها برفق في صحنه الفارغ قبل أن يبدأ الحديث.

بدأ التاء حديثه بتكّةٍ قوية من لسانه على جذور قواطع أسنانه الأمامية وسقف حلقه الأمامي، حتى أوشكت أن تحدث صفيرًا، الأمر الذي جعل البعض يظن أن لديه مرض التأتأة، أو أنه يتلعثم من شدة الحرج حين وقوفه أمام جميع الجماهير، وحيث إنّ تلك التكّة قد زادت عن الحد المطلوب، فقد أكد أحد الحروف لزميله قائلًا: أراهن أن زميلنا جاء من المغرب العربي.

واصل حرف التاء حديثه قائلًا:

تعلمون جميعًا أيها الإخوة أننا معشر الحروف من بطن واحد، وإذا كنا كذلك فإننا معاشر الباءات والتاءات والثاءات من فخذ واحد وقد كان ربما يكفي أن يتكلم أحدنا، وهنا رفع الثاء يده بشكل نقطة نظام. وقال:

عفوًا لسنا كذلك أيها الاخ الرئيس فنحن حروف مستقلة وذات سيادة. فأجاب الرئيس بهز الرأس مصوبًا، وقال للتاء:استمر وأدخل في الموضوع. فاسترسل التاء في أطروحته التي بدأها بمقدمة خطابة بيانية، تطرّق فيها إلى المعنى الذي يريد طرحه في هذه المناسبة على الجماهير المحتشدة، وأهم ما أورد فيها قوله:

ما من أحدٍ قادرٍ على التمييز، ينظر فيما حوله في الوجود، إلا وجده خاضعًا لقانون التثنية، ربما بشكل لا يدع مجالًا للاستثناء. تلك التثنية التي أخذت أشكالًا مختلفة من حيث التميُّز والتطابق التعاقب أو التضاد، في الواقع انما تعني لنا الوجه ونفسه، فالليل والنهار ـ الضوء والظلام، الأسود والابيض، الجمال والقبح هي مسميات لشيءٍ واحد، وتسوقنا إلى فهم ثنائية الحياة، وثنائية الوجود. فقوانين الحياة التي نعيشها تخضع لذلك القاموس، ولا يمكن فهم الوجود إلا على ذلك النحو، فالنوم واليقظة، والموت والحياة، والجوع والشبع ـ الذكر والأنثى تجسِّد ذلك، وغيرها من الأمثلة لا حصر له.

من المعلوم أن فكرة التثنية، أو الثنوية، قد لعبت دورا هاما في تاريخ الفكر الإنساني، بل ولعلها ديانات، فنجدها في الزرادشتيه، والمزدوكيه،

وارتكزت عليها المانوية، التي تقول بأن الوجود منبثق من الظلمة والنور، حيث جعلت لهما آلهتا الخير والشر، وفسرت كل شيئ وفقًا لذلك، وعلى ضوئه..وهلمّ جرّا، ولايتسع المقام للبحث في ذلك.

لقد نظرت إلى نفسي من خلال ذلك كحرف وحيد مستقل يسمى التاء، ونظرت إلى أبجديتي كلها فوجدت أنها تعكس صورة الحياة وبأنني أحد قوانين هذه الحياة، الأمر الذي ساقني إلى ثنائية الدلالة، وآمنت بأنه لا بد من ثنائية للمخلوقات، ووحدانية للخالق.

من تلك المعاني التي تشكل جوهر الحياة أو سرها، والتي نرمزلها بهذه الحروف المجتمعة، ثنائية الفهم والمعنى، فالشر والخير، والحق والباطل، والمعسر والميسر، صور لهذه التثنية. أما الامر الذي يستحق منا جميعًا الاهتمام، والذي بيدنا نحن كبشر تغييره أو استنباطه أو حتى اختراعه، فهي ثنائية الأقوال والأفكار، الأفعال والأقوال، حيث إن كل فكر لا بد له من نقيض، وكل رأي لا بد له من رأي مخالف، وكل مسألة كما يقال فيها قولان. إلا أن بعض أشكال تلك التثنية والتي تخص العمل الإنساني والإداري، قد جاءت نشازًا، نذكر هنا ما يسمى الازدواجية، ازدواجية

المعايير، والكيل بمكيالين، الذي مارسته علينا الأنظمة الغربية أبّان الأحداث.

وإذا سمحتم لي أيها الاخوة الأشقاء أن أحصر الموضوع كله في إشكالية واحدة عنت لي الشيء الكثير، وهي مسألة تشطير الأوطان، أوطاننا العربية التي مارسها الاستعمار وجلبت علينا العار والتخلف والارتكاس وبالتالي الضعف والوهن في مواجهة الأعداء.

لقد دأب الاستعمار والأنظمة الاستعمارية على تجزئة المجزأ، وتقسيم المقسَّم، تحت سياسة فرق تسد. فمثلًا تجزئة الوطن اليمني الواحد إلى الشطرين، تلك التجزئة قد جلبت النكبة على الأمة اليمنية وجعلها تحت سلطتين كل واحدة أسوء من الأخرى ولكن والحمد لله تحققت الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م واستردت البلاد بعض عافيتها وهي الآن تخوض صراعًا لاستعادة مكانتها التاريخية بين الأمم، كما كانت عليه في عهد سبأ وحمير ومعين، وهي الآن تؤسس تجربة فريدة هي تجربة الديمقراطية الناشئة للحاق بركب الأمم المتحضرة، وحيث أن ذلك الأمر كان قد شغلني كثيرًا كما شغلكم، فقد عاصرت الحلم من أوله حتى تحققت تلك الوحدة، وعادت الأمور إلى نصابها، وما أريد قوله أن تلك النظرية لا تزال

قائمة في أذهان المصالح الاستعمارية، والهيمنة الاقتصادية الكبرى التي لاتزال تسعى إلى تقسيم المقسم، وتجزيئ المجزأ، حتى يتسنى لها استمرار مصالحها وهيمنتها، في خضم التسابق العالمي المحموم، الأمر الذي يحتم علينا وضع ذلك في لذلك في الحسبان لصيانة أمتنا وهويتنا العربية، ووضع الخطط والبرامج للتصدي لذلك في حالة حدوثه، وكأحد أولوياتنا التي نقف إزاءها اليوم، وفقكم الله والسلام عليكم.

الثاء

الثالوث.والوسطية:

أشار رئيس المحفل بتلطف إلى حرف الثاء بقوله، جلالة الثاء بأنه قد حان دوركم، ومن دون أن يدق حتى بمطرقته الخشبية الطائية الشكل تمييزًا، احترامًا.

تململ الثاء في مكانه، وحاول النهوض بمفرده، لكنه كبا، فتململت النقاط الكثيرة التي يحملها وبدأت تتأرجح، وتتهاوى إلى باطن صحنه، الأمر الذي ربما يدعو إلى السخرية من الآخرين، ويفقده هندامه الجميل، ونيافته البارزة..

هنا، بادر الخدم بحمله على وسادة كبيرة من الديباج، وآخرين قاموا بهز ريش النعام على جسده المتصبب عرقًا، كما قام الغلمان بحمل نقاطه كل على حده، والتي أعيد تركيبها عند وصوله إلى المنصة على يد خبير بالقواعد.

قبل أن يتحدث، بأن على وجهه بعض الاستياء، وبحسب تقديرنا فذلك ربما يعود إلى عدم وجود سجادة حمراء تمتد من موقعه إلى مكان

الخطابة. أو ربما أن حالة التبرم والتقزز هذه هي من لوازم الشخصية الملكية، والتي كان يكفي أنْ يَدُل عليها ذلك الهندام الفاخر الموشّى بالخواتم والفصوص وخيوط الذهب، وكذلك الخواتم التي يتحلَّقُ بها في كلتا يديه.

فتح جلالة الثاء فمه قليلًا، ثم ضغط رأس لسانه على جذور أسنانه العلوية، التي كادت جذورها أن تنحسر، كما ينحسر التراب عن جذور الأشجار بعد مطر غزير، ثم ضغط بالهواء بشدة من بين تلك الجذور ونطق جملته الأولى. كان التلعثم والتلكؤ واضح من عبارته الأولى، وهذا قد لا يدعو إلى العَجَبْ، فمثل هذه الشخصيات، في الأغلب لا تجيد الخطابة وفن الإلقاء.و بعد مقدمة طويلة من بسملة وحمدلة وحوقلة وصلاة على النبي الكريم واستغفار أعقبه بدعاء عريض قال:

أيها الاخوة، أبناء أمتنا العظيمة، التي قدر المولى جل وعلا ما كان عليها، ولا راد لقضائه. ها نحن نجتمع اليوم، ويرجع شملنا إلى ما كان عليه، ولا أظن أنّ من الضروري أن أعرّف بنفسي ومكانتي بينكم فأنتم تعرفونها جيدًا.. ثم تناول قدحًا من الماء وشرب رشفة، وأردف:

وما أنا في الحقيقة إلا فرد منكم، وإذا كان الله عز وجل قد خصني ببعض المميزات التي يعطيها من يشاء من عباده بغير حساب، فما ذلك إلا لحكمة لا نعرفها، وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وإذا كانت الدنيا قد أرادتنا فنحن أبدًا لم نردها ويعلم الله ذلك.

هذا وإنكم أيها الإخوة الأشقاء جميعًا تعرفون أن كل ثرواتنا قد وضعناها قبل الفاجعة تحت تصرف الأمة، ولم نقصر في أي حاجة من حوائج أمتنا الإسلامية ولا في أي شأن من شؤون رعيتنا، ولم نتوقف عن إغاثة الملهوفين والمنكوبين والمحتاجين، ونحتسب ذلك عند الله.

أما الأحداث الأخيرة، فقد علّمتنا أن المال ما هو إلا ابتلاء، وتمحيص لقلوب المؤمنين لقد أخذنا من ذلك كله العِبَر الكبيرة، وعرفنا تقصيرنا جميعًا نحو بعضنا بعضًا ونحو ديننا، ونفتح الآن، بإذن الله، صفحة جديدة من الإخاء والتسامح والمشاركة في سبيل شعوبنا العظمية وخدمة ديننا الحنيف.

واستطرادًا لما طرحه زملائي وإخواني الباء والتاء، عن الواحدية والثنائية أجدني مضطرًا في هذا المقام للحديث عن الثلاثية والتثليث، أو

بعبارة أخرى ثلاثية الأشياء والمعاني والأفكار المتأصلة في وجداننا وثقافتنا وسلوكنا البشري.

فالثلاثة الأبعاد والأوجه التي تخص أغلب الأشياء والمعاني هي أمرٌ معروفٌ لديكم، ولا يخفى عليكم الدلالة الرمزية للثالوث في التاريخ الديني والحضاري، ابتداءًا من الهرمسية، إلى الحضارة الفرعونية،ثم إلى المسيحية، وأخيرا إلى الحركات الماسونية التي تتخذ من المثلث والعين في قمته رمزها المقدس.

ما يهمنا في هذا المقال هوالثلاثية الواقعية والتي منها، ثلاثية الفكر عمومًا وثلاثية الفكر السياسي على وجه الخصوص، تلك التي تحتل أهم شواغلنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما أنها قد تكون السبب الأول فيما يحدث بيننا من أفعال، وردود أفعال، ومن خصام وفرقة، وتطرف ووسطية واعتدال، وما يحدث بين جميع دول العالم من انقسام وتربص وصراع متعدد الوجوه.

فبرغم أن منبع الشيء هو الواحد مهما كان، إلا أن طبقة البشر سرعان ما تتفارق وتتشكل بثلاثة أوجه أو أصناف، ففي السياسة مثلًا هناك اليمين والوسط واليسار هذا فيما يخص الفكر أو الحزب الواحد، أما ما

يخص الآن السياسة العامة، فهناك الفكر الرأسمالي والوسطي كان إسلاميًا أو ذو نزعة اشتراكية، والفكر اليساري الشيوعي، الذي تعرض للإخفاق مؤخرًا ولكنه لم يزل قابعًا في نفوس البعض.

ونحن بدرونا قد شهدنا كلا الطرفين يتنافسان على الهيمنة علينا وعلى مقدراتنا، ورأينا ذلك يتبلور في بلادنا بشكل لا يتفق مع موقعنا الجغرافي أولًا كحلقة وصل بين الشرق والغرب ولا ثقافتنا الوسطية وموروثنا الثقافي الموغل في عمق التاريخ والمختزل للعديد من التجارب الإنسانية والحضارية والرسالات السماوية التي محورها الرئيسي هو تحقيق العدل والسلام بين البشر جميعًا، والتي توّجَت بآخر الرسالات، التي هي الخاتمة على يد أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، حيث لا ننكر من حيث المبدأ مسألة المفارقة عندما تكون بروحها وشكلها المرن المرتكز على اختلاف وجهات النظر، والتي هي أيضًا في الأغلب ثلاثية الرؤية يمين يسار ووسط، وترتكز على عمق فكري مدروس يتصل بحياة الأمم، والرؤية الجلية لنهوضها، ولديه الثوابت والقواسم المشتركة مع بقية الأطراف، بل أن ما ننكره هو الغلو والتطرف أي كما يقال أقصى اليسار وأقصى اليمين، الذي يجعل من الأفكار طرف نقيض، وقضية حياة أو

موت أو قضية وجود من عدمه، وإقصاء للطرف الآخر، مما يجعل الفكر الوسطي المعتدل في هذه الحالة مسرحًا للصراع، وقد يكون مقنعًا للفكر المعتدل لانتهاج المواقف السلبية من الأحداث، والاكتفاء بالتفرج والمشاهدة.

والمأمول هنا أن يكون الفكر الوسطي والاعتدال حاضرًا بفاعلية، ومؤطرًا بمنهجية فكرية علمية تستطيع الصمود أمام التيار المضاد، وأن يكون قادرًا على التعامل مع الفكر الآخر سواءً كان يسارًا أو يمينًا بمرونة وشفافية تحفظ له الدوام وتقتنع بالرجوع إليه في حالة وصول الطرفين المتشددين إلى طريق مسدود. المهم هو عدم استعداء الآخرين، وكلنا يدرك أن مثل هذا التيار الوسطي الإيجابي هو الأعم والأغلب، والأكثر قبولًا بين مختلف شعوب الأرض مهما كانت ثقافتها أو ديانتها، والخيار الأفضل، ولو رأى البعض منكم خلاف ذلك !

إن العالم اليوم أصبح قرية كونية تتداخل مصالحها الاقتصادية، والأمنية، ويتأثر بعضها ببعض، ولم يعد هناك، بشكل دقيق،مايسمى بدارالكفر ودار الإسلام، ففي الأولى بدأ يفاقم ظهور الإسلام، بقدر ما يتفاقم الزيغ والضلال في الثانية، وما نلمسه أن هناك دار علم ودار جهل،

دار تفوق صناعي وتكنولوجي، ودار تخلف وجمود، ولا يهمنا طبعا، ما رافق ذلك التفوق من انحلال، وانحراف أخلاقي، فذلك تأباه شريعتنا، وأخلاقنا، وأعرافنا السمحة.

ولعلنا نلمس ذلك في كثير من الحكم والأمثال الشعبية في ثقافتنا وأشعارنا التي تلخص كل ذلك وتوثقه، هذا بجانب تراثنا الديني القويم، والذي لا يأتيه الباطل،، ولا يتسع المقام لسرد أمثلة على ذلك.

أما عن ثلاثية الفكر الديني وحده، سوآءً في جانبها الشعائري أو فلسفة الحكم، فهي واقع معاش ولا ينكره إلا قليل الملاحظة. وهذا في الحقيقة هو همٌّ يضاف إلى همومنا، بل ويمسنا في العمق، لأن ما ينتج عن ذلك هو الصراع الطائفي، وعدم القبول بالآخر، أهم وابرز مشاكلنا الاجتماعية، بل ورفضه تمامًا. اضافة إلى أنه قد يصل ذلك إلى حد التكفير، والأعمال الارهابية التي تورث المزيد من مسلسلات الانتقام.

وغني عن القول أن جوهر الفكر الديني لا يوجد فيه خلاف أساسي، أما حمى التطرف والغيرة المذهبية العمياء الهدامة فهي إنما تصدر عن قليلي الوعي والثقافة أو التعليم على يد متطرفين يلقنون ما يرونه لاتباعهم ويمنعوهم من التطلع إلى فهم أو تأويل آخر أي أنهم يمارسون عليهم ما

يسمى غسيل مخ اصطلاحًا، والغالبية من الأميين أو العوام أو المراهقين. وخلاصة القول أيها الأخوة أننا بحاجة إلى عمل كبير وتأصيل لفكرنا السياسي والاقتصادي واعادة النظر في تاريخنا السياسي، وقراءته بشكل نقدي بناء والبحث عن ذاتنا بنظرة جديدة نطرحها على العالم بشكل منهجي غير متعصب ومشروع حضاري متكامل، لا نقول تكتسح ثقافات العالم ولكن تؤثر فيهاوتتأثربها وتحسن التعامل معها. أما تحميل الدين كل شاردة وواردة في مستجدات العصر الذي نعيشه فهذا أمر هو الآخر بحاجة إلى تأصيل حتى يظل للدين حرمته ونقاؤه، ومرجعيته العليا التي تنشر المجد والسلام على جميع طقوس حياتنا المتقلبة والمتغيرة على الدوام.

إن الدور هنا ليس محصورًا على قادة الفكر السياسي فقط بل هو دور فقهائنا الكبار الذي يجب أن يضطلعوا بجميع أمور الحياة ودورهم جنبًا إلى جنب مع الساسة في قيادة الدفة وتوجيه الدفة بتحاور بنآء وشفاف وخالٍ من الشعور بالتميز وعدم الاكتفاء فقط بالرد على الفتاوى متى ما طلب منهم ذلك.

أما مثقفي العرب، الذي غالبًا ما نجدهم يختارون لأنفسهم مواقع المعارضة فقط، ويكتفون بالمعارضة الكلامية النظرية وهم يحسون بذلك أنهم قد أنجزوا ما عليهم فهذه هي أحد سلبياتهم القائمة. اسمحوا لي هنا إلى أن أشير إلى امتعاضي من مصطلح المعارضة هذا، فهو قد يترسخ في بعض الأذهان بعنى الاعتراض، الاعتراض على الشيئ مهما كان، والفكرة مهما كانت، وهذا هو ما يؤدي إلى الصدام واتخاذ الموقف المعاكس في كافة الأحوال، ولعله كان يجدر اتخاذ مصطلح آخر كالرديف أو الرأي الآخر، وفي لغتنا ما يشير إلى ذلك لو تذكرون، وهو نظام الحسبة، والاحتساب. الذي يجعل المسؤولية الأولى عليهم ومهمَّتهم ليس فقـــط، تحليل السلوك الاجتماعي والنفسي وأنما المراقبة والتنبيه والتصدي عمليًا إلى الخطأ قبل حدوثه.

كما أن عليهم رفض السلبيات والأوبئة الاجتماعية المسيطرة، نريد منهم أن لا يكونوا مجرد مستهلكي ثقافة، يقنعون بفرصة التحدث أمام عدسات الكاميرا ويشعرون أنهم قد أدوا ما عليهم، بل يجب أن يكونوا مصدِّريـن للمعرفة ومنتجين ومستنبطين لها ومراقبين لتطبيقها على الوجه السليم، أعذروني أيها الإخوة على الإطالة، ولا يظن بعضكم أننا في قصور عاجية

لا نتفاعل مع هموم الجماهير، ولا نحسب، حسابها صحيح أن أمور الحكم قد صرفتنا عن ذلك، ولكن النبض فينا لا يزال دفاقًا، ونحن في الأخير أخوة مصير، وزملاء معا ناة.

والسلام عليكم

ثلاثية

ثلاثةٌ من الرجال..
الأبيض الجديد،
الأصفر العنيد،
الأسمر الذي يْعِكز في سلالم الكمال.
ثلاثة هي الوبال
الرأسمال، واليهود..
والمسلمون الضامؤون دائمًا إلى القتال.
ثلاثة بلا اتصال،
السلف العتيد، والمثقف الجديد،
والمذبذبون بين فكرة الحضور والخيال.

ثلاثة بلا ظلال،

الراكبون دهرهم والخائفون دورهم،

والقابعون خلف ربة الحجال.

ثلاثة إلى الزوال،

السارقون شعبهم والتابعون كلبهم،

والقانعون بالحياة في مواضع النعال،

ثلاثة كالمرض العضال،

القات والسلاح..،

وانزواء اليمن الفسيح في شواهق الجبال،

ثلاثةٌ من المحال،

العدل والسلام،

والتقاء العالمين في قضيةٍ... بلا جدال.

ثلاثة هي الكمال

السيف، والحرف، وصحوة الرجال.

الجيم

جمال ... الرؤية

تبسم الرئيس ابتسامة صغيرة، متندِّرة، وقال: الآن حان دور الأحرف المعطوفة

فليبدأ الحرف التالي، ا لذي وصفه بالجميل، ويقصد به الجيم، نهض الجيم من مكانه بخفة ونشاط، ودار على محوره برشاقة، يشبه دوران القطعة النقدية على السطح الأملس، وتقافز نحو المنصة متباهيًا بتلك الشامة التي يحملها على خدِّه. وما أن وصل المنصة حتى وقف بشكل شاقولي وانطلق منشدًا جيمهُ بلكنة معطشة أحيانًا، ومرققه أحيانًا أخرى، مما زاد لفظه سحرًا وجمالًا:

كان الجيم قد أنشد قصيدته التي يصور فيها نفسه متمدّدًا، على السطر ومن هيئتة وقيافته رحل إلى عمق الفكرة التي يقصد ها، وهي كما سماها، صدمة الحداثة، أو صدمة الذهول والمفارقة بعد عودته للوطن، مع ما لتلك المقارنة من أهمية على ضوء ما نحن عليه من تخلف عن ركب التمدن الخارجي الناهض.

قرأ الجيم قصيدته بشكل أسرع من العادة مشوبةً بالخجل، ربما نظر أن هذا ليس الوقت المناسب لمثل هذه القصيدة، أو لعلها استقرت في ذهنه صفة الجميل الذي نعته بها الرئيس، وأردف مستفتحًا موضوعهُ الآخر:

جادكَ الغيثُ إذا الغيثُ همى   يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ.

من منا ينسى جمال وروعة هذه الأبيات الأندلسية التي ترسم لنا صفحة من روائع تراثنا الثقافي العريق. اسمحوا لي أن أنعطف بكم ١٨٠ درجة للحديث عن إشكالية الجمال والحسن ومرادفاتهما، وانعكاس ذلك على حسن أدائنا وزيادة إنتاجنا، والتمتع بنفسية وعقلية سويّة، وحتى يتسنى لهذا المهرجان غير المسبوق أن يقف على جميع أطياف حياتنا الثقافية والفكرية. ولعلكم تتفقون معي، بادئ ذي بدء، بأن الإيحاء بالجمال، أو التعبير عنه بنص إبداعي شعرًا كان أو نثرًا، أو حتى بإيماءة أوحركة، أو أي ضربٍ من الفنون، قد لايقل روعةً عن رؤية الجمال بعينه مجسَّدًا، إن لم يكن أجمل منه، وأكثر جذبًا. والذي يرتفعُ بالإنسان إلى مرحلة التذويق، والتذوُّق، وهذا في جميع المجالات للناظر بعين جمالية، وحتى العلم إذاجاوز مرحلة الاجتهاد فقد يرتفع إلى مرتبة الذوق.

إن إشكالياتنا ونحن نعترف أننا متخلفون عن ركب الحضارة والمدنية الراهنة ليست مقصورة على التخبط الفكري والسياسي فقط وأنما هي تشمل كل جوانب الحياة، فحالة التخلف لا تقتصر على جانب دون آخر، وهي بذلك تشابه حالة التطور الذي يشمل كل ملامح الحياة بما في ذلك الفنون والآداب، والنظرة إلى الحياة.

وتعقيبًا على إطراء الأخ الرئيس لي، وانا أشكره على ذلك، ولا أستحق ذلك لوحـدي، وقدقيل:

وما الحسن في وجه الفتى شرفًا له   إذا لم يكن في فعلِهِ والخلائقِ

لا أقول أيها الأشقاء أنّ تراثنا الأدبي لم يعط الجمال حقّهُ، أو لم يفلسف الجمال، أويمنحه حقه قدرًامن الاهتمام، بل على العكس من ذلك، أرى أننا في نمطيّة الحياة المحبطة هذه، لم نستطع إلى الحد المقنع أن نتلبّس حُلّة الجمال هذه، ولم نقدِّر لها مساحة ضمن الأولويّات، حتى تعين النفس على مقارعة متاعب الحياة، وتسهيل إنجازاتنا المملة والشاقة.

إن الجمال والحُسن،لم ينعدم يومًا ما من الحياة فهو الوجه المضيئ فيها، حتى في أحلك الظروف.بل أنه الفطرة، وهوالحرّية في أسمى معانيها، بحسب رأي العقاد.

إن الجيم الذي أمثله الآن أمامكم، قد لا يُنظَرُ إليه الكثير من تلك الزاوية التي نظر إليها رئيس المهرجان المحترم، بل ينظرون إليه كحرف عادي، أورقم من جملة الأرقام، ووسيلة للرمز اللغوي لا أقل أو أكثر، بل وقد ينظر البعض إليه بشكل سلبي من حيث انعطافه وأخذ مساحة أكبرمن غيره، خصوصا عندما يكون واقفا لوحده، ولو دققنا النظر وبمنظور أشمل، لوجدنا أن معظم مفرداتنا العربية الجميلة والمعاني اللطيفة قد بدأت به.

فالجمال والجِنَان والجداول والجواهر والجلنار والجبين ...، وغيرها قد التصقت بهذا الحرف، وذلك لأسباب قد لا نحاول تفسيرها، وإذا كان الجمال الحسي أو الشكلي قد يكون أهم صفات الكمال والخير الذي تنشده أنفسنا، فهناك الجمال المعنوي الذي يتداخل مع هذا الجمال الحسي ويستبطن الأمور والأفعال بشكل لا يدرك بسهولة، وأنا ومن موقعي هذا أمامكم أستطيع إدراك جمالكم جميعًا، لأني في حالة تركيز واستظهار لهذا

المعنى، فكلكم تتمتعون بقسط وآخر من ذاك الحسن كل على طريقته. هذا الأمر يجعلني أعيد النظر في نفسي والآخرين عندما أنظر إليهم من هذه الزاوية. وإذا كان جمال الوجه هو صورة جمال النفس كما في فلسفة ماني وغيره الذي يذكر أن الوجه مرآة للنفس. فهذا القول ليس صحيحًا بشكل قاطع، إذا لم يؤخذ بالاعتبار الجسد والروح وجمال الشخصية أوأبعادها، ومواقفها، فالإحساس بالجمال، ينعكس سلوكيًّا على جمال الروح، الذي هو بحاجة إلى البحث والاستكشاف. فاذا تبدلت نظرتنا للأمور والأشياء كلها من هذه الزاوية، فقد نجد أنفسنا نطلُّ على حياة تختلف عما ننظر إليها بالرؤية المجردة السطحية.

الحديث هنا ليس موضوعه الأحلام والتمني والرومانسية، رغم أنها أشياء مكملة للحياة، لكن الحديث عن المعاناة والمآزق الذي نحاول الخروج منها. يحدونا في ذلك الأمل العريض والطموحات الواسعة التي يجب أن تشبع بها، والتي هي أعلى الصور الجمالية، وهي المكمل للحياة والداعم الرئيسي لها، بل أنها هي الوجه الآخر الجميل للحياة ذات الوجهين الذي أشار إليه زميلي التاء مشكورًا، وإذا كان من حافز لنا

للخلاص فهو وضع هذه القيمة في الحسبان وإعطائها ما تستحق من العناية.

مبدئي رجعة الجمال إلى النفس   وهمّي أنْ استردّ وثوقي

عنصر الترفيه

إن عنصر الترفيه الملتزم في حياة الشعوب، جنبا إلى جنب مع السند الروحي الإيماني، يزودنا بالدافع الأقوى لمواصلة الكفاح والنضال في الحياة بشتى صوره، خصوصًا مع طغيان الطابع المادي التنافسي المحموم، وقد زادت أهمية ذلك العنصر كي يحدث التوازن النفسي المطلوب.والشعور بالسِّلْم الداخلي، وإلا فقدت الحياة معناها وتعثرت القدرة على إنجاز العديد من متطلباتها.

إنّ النمط الغربي العبثي من الترفيه، المرتكز على المجون والسفه والانغماس في المحرمات، فهذه وإن أحدثت مرحًا لحظيًا، فإنها تحدث خرابًا بعده في النفس والجسم،يُدخل الإنسان في دوائر أخرى من المشاكل الاجتماعية أعوص بكثير من ذلك التوتر النفسي العابر الذي هو من شؤون الحياة، والذي فد يكون مدخلًا للشعور بالسعادة، التي تمنع الإنسان من انفلاته إلى مرتبةالحيوان.

هناك العديد من الفنون كالمسرح والسينما الهادئة والشعر والأدب والإنشاد والتطريب، والفرح الجماعي، بكافة أشكاله مثل المهاجل، والمهايد، والرقصات الملتزمة كالباليه، وغيرها التي تمسح الكثير من صدأ المعاناة اليومية من التي تتراكم على النفس، خصوصا مع المشاركة المجتمعية الواسعة، لما لذلك من أثر تشجيعي وإظهارًا لروح المساواة، والفريق الواحد، ونحن كمجتمع عربي لنا تراثنا الغني بذلك، وخصوصيتنا الثقافية والترفيهيه، وإنه لمن العبث أيضًا، بل والعار وعلينا أن نقدم حتى على استيراد وسائل الترفيه، تلك التي ليست لها صلة بتربيتنا وطريقة عيشنا وعلاقتنا ببعضنا بعضًا.

كما حصل في حالة استقدام النمط المسرحي الأوربي بحذافيره، دون الارتكاز على تلك النماذج في التمثيليات القريبة الشبه بالمسرح، ولها تسميات مختلفة، كالفكاهات والنوادر واللهو وغيرها، تلك التي سادت في العصور الإسلامية المختلفة وقبلها وتطورت في العصر العباسي والمملوكي في مصر على سبيل المثال، بل أن بعض الخلفاء العباسيين قد تبناها وشارك مع الممثلين في تأدية الأدوار التي عالجت قضايا معينه بشكل رمزي وأضحكت الناس وأوصلت الفكرة بكاملها وحصلت الفائدة

المضاعفة، وحديثًا ظهرت بعض الفنون مثل خيال الظل والأراجوز ومن قبل ذلك فن الرواية والحكواتي والعديد من الأنماط الشعبية.ونعلم جميعًا أنه عند استقدام هذا النمط المسرحي الغربي المعيب، لم يكتب له النجاح، فاضطر مروجوه إلى إدخال الهزل على النص والرقصات الشعبية والفكاهة (المنالوج) بمصاحبة الدراما حتى يتمشى ذلك مع ذهنية واستيعاب العقلية العربية.

ولو أردنا حصر الفنون الشعبية في أوطاننا، كل قطر على حده، لاستغرق ذلك العديد من الصفحات ولكن على سبيل المثال أن في اليمن ما يقرب من مائتي لعبة شعبية خاصـة، تختلف تمامًا عن لعب الأولمبياد العالمي وهذه تكفي لاستخراج الفكرة منها والعمل على إشاعتها وتطويرها بما يتلاءم مع الطرق والمستجدات، وطريقة الحياة العصرية.

فالفرح الجماعي، هو ضرورة لاستنهاض الهمم، وإذكاء الروح المعنوية وإنجاز المهام الصعبة، ذلك بحكم أن الإنسان كائنٌ اجتماعي بالطبع فهو بحاجة إلى الترويح عن النفس ساعة بعد ساعة.

الحاء

المناخ.... البيئة:

حاول الحاء، وهو يهم بالصعود إلى منصة الخطابة، بعد أن أذن له رئيس المهرجان حاول أن يكون أكثر رشاقة من الجيم، وذلك لخفة وزنه، ومظهره النحيف القريب الشبه من الهلال أو المنجل لولا ذلك الجبين المسطح الذي يطل كالحافة البارزة فوق حاجبيه. الأمر الذي جعله أثناء دورانه يصدر صوتًا يشبه الترحزح، أو الدحرجة، أما خطواته وهو يدلف إلى مكان الخطابة، فقد كانت أشبه ما يكون بالترنح الذي يسبق السقوط.

تنحنح مرة أو مرتين، قبل أن يتكلم ولم يكن هناك من سبب لهذا التنحنح، أضف إلى هذا أنه لم يكن هناك كوب ماء أمامه، وحتى لو كان هناك ماء، لما كان ذلك يعني من الأمر شيئًا، لأنّ ذلك هو صوته الحقيقي.

أردف ذلك بكحة نحاسية جافة، كأنها صادرة من الرغامي وبدأ الحديث.

كان هناك من المستمعين من وضع إصبعه في أذنه من شدة وجفاف نبرته ولعله لاحظ ذلك فقال:

أعرف أن صوتي يؤذي مسامعكم، ولكن هذه هي فطرتي التي خلقت بها، والتي لا أستطيع الخروج منها.

علّق بعضهم بقوله: رحم الله امرءً عرف قدر نفسه وقال آخر منتهى المعرفة، معرفة الإنسان لنفسه، واصل خطابه قائلًا:

قد يتساءل بعضكم كيف كانت محنتي، وأين اختفيت طوال هذه المدة، وأنا الحرف المميز، أبرز الحروف الحلقية، والذي يقل أو يندر وجوده في أكثر اللغات الحية، كما أنني صاحب الصوت المبحوح والبارز.

والحقيقة أنني خلال تلك الأحداث المروعة كنت قد يئست من محاولاتي المضنية للعودة إلى الصف العربي، وإعادة هيكلته، ولقد استنفدت صوتي من المظاهرات والخطب، والشجب والتنديد، واستنفدتُ جميع طاقاتي الفكرية والبلاغية، وأيقنت أن جهودي، وجهود العديد منكم، والذين أسجل لهم خالص الثناء والشكر، جهود جميعنا قد ذهبت أدراج الرياح، فقررت اللجوء إلى أعلى جبل في منطقتنا، وحفرت لنفسي مكانًا بين الصخور وبدأت الإضراب عن الطعام، ولم يكن هناك قطرة ماء، فما بالكم بحبوب الفيتامين التي يتناولها المضربون عن الطعام مع الماء عادةً.

كل ذلك بقصد أن أضع لنفسي حدًّا وأقتل نفسي بيدي، لا بيد بوش، لكن معاناتي لم تدم طويلًا فقد لعب الحظ دوره حين انقلبت عليَّ صخرة ضخمة من أعلى الجبل، بعد انفجار صاروخ ضلّ طريقه، ربما كان يحاول اغتيال أحد الناشطين. فقدْت ُالوعي، ودخلتُ في سباتٍ عميق، لعلني متُّ بعد تلك الحادثة، وتحولت إلى حفرية بين الصخور.

لا أدري كم مرَّ عليَّ من الزمن، لعلها أعوام طويلة، وأنا أنعم بتلك الراحة التي تمنيت أن تظل أبدية، لا يعكر صفوها أي شائبة.

وفجأةً وعلى حين غِرَّة، دوّى انفجار شديد بقربي وتلته انفجارات عديدة أعنف من سابقاتها واستمرت لعدة أسابيع، تبين فيما بعد أنه كان هجوم عسكري بالصواريخ والطائرات استهدفت جماعات المجاهدين الذين جاءوا إلى ذلك الجبل وبنو لهم أنفاقًا فيه حفروها بأيديهم،

لم أتبين كيف كانت النتيجة ولا لصالح من، كل ما في الأمر أنني شعرت أن الصخرة التي كنت قد سكنت في قلبها قد انفلقت نصفين فظهر جناحي على تلك الصخرة واضحًا مثَلُه مثل تلك الحفريات والمستحاثات التي يتم استكشافها بالصدفة.

هطل علي وابلٌ خفيفٌ من السماء فشعرت بالحياة تدب في جسمي، وحاولت تحريك جناحي فتحرك قليلًا، فشعرت أنها قد عادت إليَّ الحياة، وشأن كل كائن يأتي إلى الحياة، بدأت أحرك أطرافي أكثر وأكثر حتى تمكنت أن أخفق بجناحي وأنا في مكاني، فقلت لنفسي لماذا لا أحلّق في الهواء وألقي نظرة على ما حولي، وأنظر مـاذا صنع الله بهذا الكوكب الذي طالما عشت فيه، وأحببت سماءه وأرضه وأشجاره الباسقة.

زممتُ جناحي بقوة، والحديث لا يزال للحاء، وانطلقت في السماء عاليًا أحوم في كل اتجاه .

عجبت في بادئ الأمر من عدم تمكني مشاهدة غيري من الطيور المحلِّقة في السماء، حتى العصافير لم أر منها إلا أعدادًا قليلة جدًّا. توجهت نحو الغابات وذُهلت من هول ما شاهدت الحرائق تلتهم أطرافها، وألسنةٌ عاليةٌ من اللهب ترتفع إلى عنان السماء، والأجواء كلها سوداء خانقة. وقرص الشمس يكاد لا يُرى.. انتقلت إلى غابة أخرى فوجدتها كذلك، ثم إلى غابة أكبر كنت أعرفها فوجدت أنها لم تعد موجودة أصلًا، فقد صارت بلقعًا حالك السواد، وهناك وُضعت فيها بعض المنشات، التي تدل على وجود معسكر٠

انعطفت إلى جهة أخرى فوجدت الفيضانات تغمر مساحات شاسعة من الأرض وعلى مقربة منها أراضي قاحلة جرداء تعاني من جفاف شديد حيث لا أثر للزراعة، كانت هناك آلآف المواشي النافقة مبعثرة في جميع الأرجاء، وأناس يهرعون، وعربات مدمَّرة، وحروب تدور هنـا وهناك، وأبخرة تقدح منها رائحة القديد، ورائحة الأكياس البلاستيكية المحروقة، بحثت عن بعض المدن التي كنت أطوي سماءها وأتنقل بين حدائقها، فلاحت لي من بعيد خاويةً على عروشها في مساحات هائلة من الكتل الرمادية الإسمنتية، تعلوها أبخرةٌ وغازاتٌ وعوادم سيارات مستهلكة. أخذ مني التعب كل مأخذ، فقررت اللجوء إلى قمة هادئة أحط عليها رحالي، فلم أعثر على المكان المناسب.

ترامى إلى بصري من بعيد صورة شبح أحد المارة. كان يمشي وحيدًا، أظنه كان أحدكم، فهبطت حتى اقتربت منه، وبادرته بالسلام فما رد عليَّ، كانت الكآبة تغطي سحنته، ولكن ظني لم يخب، فقد طلبت منه أن يدلني على مكان لأتخذه عُشًّا، شجرةً باسقة، أو قمة شامخة وحصينة، فالتفت إلي وقال بنـزقٍ واضح:

هل تعرف الغرب الأمريكي قلت نعم. أردف بعصبية: هل تعرف مدينة نيويورك وبالذات جزيرة منهاتن. قلت نعم سمعت عنها سابقًا.

قال هناك برجان ناطحان للسحاب، توأمان هما الأعلى والأحصن، وهذا خير مكان يصلح لإقامتك، وانصرف معرضًا عني.

فقلت لنفسي إنها رحلة شاقة، ولكن لعلي سأجد هناك بعض الجاليات العربية، سأبيت ليلتي في هذا المكان كيفما كان وغدًا، أنطلق في رحلتي عبر المحيط.

صباح اليوم التالي وقبل بزوغ الشمس نفضتُ أجنحتي وطرت إلى العلياء متوجهًا عبر المحيط الأطلسي قاصدًا تلك الجزيرة المشهورة، وتحديدًا قمة أحد التوائم الناطحة للسحاب.

كانت رحلة من أشق رحلاتي على الإطلاق، وحتى لا أطيل عليكم فقد وصلت هناك بسلامة الله، ولكن هل تدرون متى وصلت بالتحديد؟؟.

لقد وصلت إلى هناك في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢م.

فضجّت القاعة بالضحك.

عدت أدراجي بعد ما أخذت قسطًا من الراحة وبدأت رحلة العودة، والتي بدت لي أشق وأطول من رحلة الذهاب.

واصلت البحث حتى عثرت على مجموعة منكم، فانضممت، وها أنا الآن بينكم والحمد لله.

خلاصة ما أريد قوله لكم أيها الإخوة،، إنّ هذا الكوكب الجميل في حالة احتضار، ويحق لنا أن نتساءل عن طبيعة تلك الحضارة التي قضت على الأخضر واليابس، وأي نوع من المدنيات تلك التي تقوم على فكرة إخضاع الكون وتدميره والسيطرة عليه وقهره، وقد تمكنت من ذلك في زمن يسير كهذا، فها هي حرارة الأرض ترتفع، وتتغير مواسم الأمطار، وطبقة الأوزون تتسع، ظاهرة الاحتباس الحراري تتفاقم، وحرائق الغابات تزداد، كل هذا يحصل على مرآى ومسمع من الجميع وخصوصًا الدول الصناعية الكبرى والمتسببة في كل ذلك، ولكن لا تعطي للموضوع أي أهمية تذكر، أو لعلها لاتستطيع.

إن الزيت المحروق المستهلك في السيارات يلوث مياه الشرب بدرجة خطيرة ويسبب التسمم بالرصاص، وتعلمون أن جالونًا منه يلوث مليون جالون من مياه الشرب. أما أطنان البلاستيك التي تستهلك كل يوم فهي تهدد بالمزيد من الآفات الزراعية والتسمم من أطباق الأكل، من مادة (PVC) التي تدخل في معظم أدوات الطبخ، وأطباق وأواني الألمونيوم التي تسبب مرض الزهايمر. أما التخلص منها فهو عملية أشق حيث إنّ إحراقها يسبب إطلاق العديد من السموم أهمها الديوكسين والذي ½ جرام منه يقتل ١٠٠ فرد على الأقل والطريقة المعروفة حتى الآن،كما يقول العلماء، وهي مستحيلة التطبيق للتخلص من هذا البلاستيك، هي قذفه في بركان ثائر.... فانظروا مدى حجم الإشكاليات التي تدمرنا.

إن البيئة التي نعيش فيها الآن تهدد بالمزيد والمزيد من الكوارث، وعدد الكائنات الحية التي تنقرض سنويًا في تزايد، والأصول الوراثية لمعظم النباتات والطيور، وحتى الوحوش، هي على وشك الانقراض من كل بلدة على حدة، بما تحمله من خصائص مناعية أُكتسبت عبر العصور وبجهود الإنسان القديم، لتحسين النشء والسلالة، انها عبثية فاقت الحدود، وهذا التمدن المتهالك والمستعجل قد فتح إشكاليات ربما تتجاوز

ما تحقق من إيجابيات، وإذا فرضنا جدلًا أن جيلنا قد تمتع ببعض الإيجابيات، فماذا عن الأجيال القادمة؟ لسنا معنيين بالإجابة هنا وحدنا، ولكن قيمنا وأفكارنا وعقيدتنا يجب أن تصل إلى الجميع ويجب أن ندعم تلك الجمعيات التي تدافع عن البيئة والحيوان والإنسان بالطبع، فكل الديانات التي نشأت في أوطاننا وتلك الحضارات القديمة، كلها قامت على فكرة تعمير الكون واستعماره بروح التعايش والتأقلم، بما يحفظ سنن الحياة ويكفل ديمومتها وثباتها.

لقد خاطب الله سبحانه قوم عاد بقوله(ولا تعثوا في الأرض مفسدين)، وخاطب قوم ثمود بقوله (ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها).

فالحضارة الحالية ستأكل أبناءها، إذا وقفت على تلك الرؤية المغرورة التي لا تدين إلا بدين القوة والغلبة ولا تخضع إلا لسلطان الأقوى، وهذا الاقتصاد الربوي المتشامخ سينهار، إذا لم يجد حلولًا لموازين الفقر والغنى.

أمر الرئيس باعتبار أطروحة الحاء ورقة عمل تحفظ ضمن أوليات وثائق المهرجان وأمر بالحرف التالي أن يأخذ موقعه ويدلي بما عنده.

الخاء

الأنا.... العربية:

عندما نودي على الخاء، أن قد حان دوره، انتفض من مجلسه، فتراقصت تلك الكرة التي على رأسه، وأوشكت على السقوط إلى الأرض.

تململ بحركة راقصة يمنةً ويسرةً في مكانه، فبدا كمن يرقص رقصة الشمعدان، حتى استقرت تلك الكرة في منتصف رأسه المسطّح. بعد ذلك بدأ يسير بحرص وحذر حتى وصل إلى المنصة.

بعد أن استوى على المنصة. بدأ الحديث بنفخةٍ خشنة، صادرة من آخر شراع الحنك المكتظ بجذع اللسان الحلقي، حتى ظن البعض أنه سيبصق في الهواء، أو أن جسمًا غريبًا قد دخل إلى بلعومه وبينما هو يتمايل، فاغرا فمه، وكأنه يتأفف مغمغمًا:

خرجنا من السجن شم الأنوف كما تخرج الأسد من غابها
نمـــــرُّ على شفـرات السيـوف ونـأتي المنيَّـة مـن بـــابهـا

بعد ابيات أبو الأحرار هذه واصل حديثه قائلًا:

قد يظن بعظكم أنني وزميلي الحاء وحدنا، قد تعرضنا للهجاء دون بقية الحروف، والحقيقة عكس ذلك، فلديَّ من المستندات والوثائق ما يؤكد أن كل واحد منكم قد تعرض للهجاء أكثر مما تعرض للمدح فمن منكم قد سمع كل ما يقوله كل فرد من أفراد شعبه ومجتمعه، واطلع على آرائهم فيه ذلك وقارنه بما ننظره إلى أنفسنا، ومن منا جميعًا قد تأمل نفسه جيدًا وتوقف عند ردة فعله هو بنفسه ليطلع على الطريق التي يحكم بها الآخرون عليه، حتى يقيم سلوكه، أويضبط وضعهُ النفسي على الأقل.

إن أغلبنا، كحروف عربية مُتَّهمٌ بالنرجسية، التي يرى البعض أنها متأصلة في جيناتنا الوراثية بشكل قد يزيد أو ينقص وقدتصل أحيانًا عند البعض إلى درجة الاستفحال. مع احترامي لكم واعذروني إن شططت.

لقد صورني أحدهم صورة قاتمة، لا أقول إنها كاذبة، إنما ركز فيها على العيوب الخلقية، وكأنه بذلك لا يعيش إلا على تصيد أخطاء الآخرين متناسيًا خطأ نفسه، وسأغض الطرف عن ذلك الآن، فلكل مقامٍ مقال:

بعد هنيهة من التوقف واصل حديثه قائلًا:

إخوتي: إن تعليقي على ذلك و التركيز على تلك الفطرة الأحادية الجانب التي تتصيد اخطاء الغير دون أن تلقي بالًا إلى حسناتهم وأفعالهم العظيمة والتي غالبًا ما تحرم منها الأمر الذي أفرز طائفة منا يؤمنون أن كل فعل عظيم أو ابتكار لا يأتينا إلا من الغير فهذا رأيهم وهم مسخرون لنا على الدوام. أما نحن فإنا حملة دعوة،، وما علينا إلا نشر تعاليم الدين وإذكاء حلقات الذكر والفقه. فلسنا مؤهلين للخلق والابتكار، فنحن الكمال بعينه وإن الآخرين إنما يحسدوننا على هذه المنـزلة وينصبون لنا في كل منعطف شركًا، لكي ينالوا من قدرتنا ومكانتنا، وهذا ما جعل منا امةً متفككة واهية تظن انها محط أنظار العالم، وأن العالم ليس لديه شاغل إلا كيف يتداعى علينا ويقزِّمنا ويحجمنا لكي ينهب ثرواتنا، وخيراتنا. وإلا فنحن سادة الأرض وخير الأمم (من دون أداة شرط) ولو دانت الرقاب لنا لفعلنا كذا وكذا.

متخذين من امبراطورية بني العباس مثلًا سرمديًا قابلًا للإعادة، كما يعاد الفلم الهندي وجاعلين من بطولات الفتح الإسلامي مثلًا سائرًا إلى يوم الدين، دون التفات إلى إعادة النظر في الشروط والمقومات والتربية التي خلقت تلك البطولات.

نعم لقد كانت رسالة الاسلام هي الخاتم، والقرآن الذي بين أيدينا وهو قطب الرحى وعمود الارتكاز لحقوق الإنسان وحضارة العصر الحديث، لأنها أول من فتح نافذة العقل وأول من نادى بحريةالفرد وقوة الجماعة، والإسلام فكر، ورأي، وخلق، جعل حقوق.الإنسان نيفًا وعشرين، بدلًا من تلك الثمانية التي اخترعها الغرب أثناء الحقبة الاستعمارية، وجعلت من اختلاف الفكر رحمة وإثراءً فتكامل الفكر الانساني، كما ركزت على ضرورة رؤية الإنسان إلى نفسه وإلى عالمه الذي من حوله. وبقدر ما أمرته بالإيمان بالغيب الذي في السماء فقد ألَّحتْ عليه بالتطلع إلى ما تحت أقدامه من الثروات والنعم.

إنها الرسالة االتي لخصت تاريخ البشرية وألزمتنا بتصحيح تاريخ البشر والبحث عن آثارها وأطلالها لنبني عليها العبرة والمنفعة، لكي لا نكرر أخطاء التاريخ وهفواته.

واصل الخاء حديثه، وكان الحماس قد أخذ منه كل مأخذْ،كالذي تتوارد إليه الأفكار جملة بعد أن كان يبحث عنها، وأردف:

القرآن الكريم الذي بين أيدينا ونتلوه آناء الليل وأطراف النهار، نسمعه من وسائل الإعلام ونسمعه حتى في وسائل النقل. إنَّ القرآن فيه

المثل الأعلى للتوازن النفسي، والمدخل الصحيح لقراءة الكون والحكم على الأشياء.

فمن منا يتدبر معانيه ويبني عليها فكره ورؤيته للحياة والكون والعلاقات ومن يطلع على ذلك المنهج العظيم في كشف أغوار النفس البشرية وتحليلها، وكيفية التعامل معها. ويتوقف عند تلك التعددية التي أبدعها الله في الكون وفي كل شكل من أشكال الحياة، ومن يتأمل قانون الدفع والتدافع في الناس بعضهم ببعض، وفي الكائنات الحية بكافة أنواعها حتى يحدث التوازن والثبات على هذا الكوكب البسيط.

إن مبلغ فهمنا للقرآن الكريم توقف عند حدود البلاغة والبيان والسرد الوعظي للآيات يقول أحدعلمائنا:

وما جاء في القراءن تسعة أحرفٍ　　أتيتُ بها في بيت شعرٍبلا خللْ

حلالٌ حرامٌ مُحكمٌ متشابهٌ　　بشيرٌ نذيرٌ قصةٌ عظةٌ مثلْ

قلّ من نظر منا إلى الآيات التي تتحدث عن الكون والبيئة والتي تجاوز الألف آية، بل ولعلها أكثر من أيات التشريع والأحكام والعبادات والتي لا تتجاوز..إلاّ نحو ٣٪ من الدين كله.

هناك أسئلة كثيرة تدور حول فهمنا للقرآن الكريم الذي هو منهج الحياة الإسلامية وهي موجودة خصوصًا للناطقين بالضاد والذين توجه الخطاب لهم (إنا أنزلنا قرآنًا عربيًّا....) فمن منا سار في الأرض ومشى في مناكبها واقتفى آثار الأولين.

ومن نظر في الآفاق أو تفكر في خلق الانسان، وبنى عليها علوم الطب والنفس والاجتماع، لم نجد في حياتنا من أعد العُدة، ونقبّ في البلاد واهتم بالتعدين واستخرج من الأرض كنوزها، ولم نجد من يتفرغ لدراسة السحاب والغيوم وظاهرة الصدع والرجع، والزلازل والكوارث الطبيعية، وكأننا في خضم هذا لسنا مسؤولين إلا عن التعبد والتلاوة وكل ما سألناه من الله أن يباعد بين أسفارنا، مع أن هذه الأعمال المثمرة هي العبادة بعينها، كل همنا أن نمد أيدينا للآخرين لننال ما أنجزوه،ثم ندعو الله بأن يجعل الدائرة عليهم، فماذا لو سلكوا سلوكنا ونهجوا نهجنا في الحياة هل سنرضى عنهم، وهل نحن الآن راضين عن جميع إخواننا وأشقائنا ؟

إن هؤلاء الذين لا يتكلمون لغتنا قد نظروا إلى تراثنا جميعه، ودرسوا قرآننا الكريم والسنة المطهرة وفهموا ما فيها، واستنبطوا من ذلك الكثير

من قوانينهم، الاجتماعية والتربوية خصوصا، ألا إننا الأجدر إلا نفقه ما ورد في ذلك من البينات.

صاغوا كل ذلك قوانينًا تنظم حياتهم وتدير شؤونهم في شتى المجالات.من أعلى مراتب القانون كاختيار الحاكم والتشاور في نظام الدولة، حتى أدناهامثل تقدير السير ونظام المرور مثلًا.

إن ما ينقصنا،هوروح الجماعة، وروح الفريق الواحد الذي يتجلى واضحا في كل إنجاز، كبيرًا كان أو صغيرًا، وكيف تُبنى تلك المشاريع العملاقة، إذا لم يدرها وينظمها روح الفريق الواحد والتزام كل فرد بدوره المحدد، دون أدنى شعور بالانتقاص أو الدونية أو الانفراد بالرأي، أو التدخل في مهام الآخرين كما يحدث في مجتمعاتنا.

ولا ندري من أين جاءت هذه النـزعة الانفرادية، والتي هي على العكس تماما لروح الدين الإسلامي الحنيف، وذروة سنامه.

وفقكم الله والسلام عليكم.

الدال .. وشقيقه

الوزن.. الايقاع.. الموسيقى:

تلفت الرئيس للمناداة على الحرف التالي وهو الدال، حيث لم ير قامته بسبب ضآلة جسمه الملقى في قعر الكرسي الذي يجلس عليه. وعندما سأل أين الدال، هبَّ من مكانه واعتدل على حافة الكرسي رافعًا يده، فأشار إليه الرئيس بيده أن يتحرك إلى المنصة، فصرخ المبلِّغ باسمه توكيدًا.

بادر على الفور بحيوية وخفه، وإيقاع مميز لا يختلف إلا قليلًا عن إيقاع الطبلة المصاحبة للفرق الموسيقية، التي هي مقتبسة من دقات قلب الإنسان ودندنات البدو على الرمل أو من إيقاع حوافر الخيل الراكضة.

وعندما اعتدل على المنصة قال مستشهدًا:

ترى الرجل القميئ فتزدريه   وفي أثوابه أسدٌ هصورُ

نظر إلى الجميع ثم أردف:

أشكركم جميعًا لاتاحة هذه الفرصة والتي جمعتنا ببعضنا بعد ما كابدنا في رحلة الضياع، وكدنا نضيع في عالم الشتات، وإن وجودي بينكم

ليزيدني فخرًا واعتزازًا. ولا أستغرب تلك الحفاوة التي قوبلت بها ولا أكتمكم سرًّا فقد عرضت عليَّ عدة جهات الهجرة إلى خارج الوطن العربي ولكني رفضت وآثرت البقاء. وما ذلك بالطبع إلا لأني الحرف الذي لا تكاد تخلو منه لغة من اللغات لسهولة نطقي ونغمي الجميل الذي يدق المسامع دقًا لطيفًا قريب الشبه بإيقاع النغمات، التي تأتي من نقرة رأس اللسان على مقدمة الحنك.

أما لماذا جاء شكلي معطوفًا فذلك لحكمة نجهلها جميعًا. إلا أنه وبالمناسبة، أود أن أشكر زميلي الذال الذي أتحدث هنا اليوم بالنيابة عنه، ونحن بذلك نشكل أول تكتل عربي. مهما كان صغيرًا إلا أنه يحمل الدلالة الكبيرة. لقد وصفني زميلي الذال بمقطوعة شعرية، يرثيني بها بعد ان ظن أني قد فارقت الحياة بعد النكبة وكم هو جميل هذا الرثاء، والذي أسمعهُ وأنا على قيد الحياة، والذي يزيدني تمسكًا بالحياة، والتفاني في إسعاد الآخرين، وكم قد رحل عنا من أعزاء قيلت بعدهم مراثي، تمنينا أنهم سمعوها قبل رحيلهم،

وهما جاء في أطروحته:

إننا ننعي دائمًا تخلفنا ونتأوه على حالنا في معظم ما نطرحه من أبيات شعر ونثر من باب الترفيه عن النفس أو معالجة الذات ليس إلا، ولكن ما دام حديثنا اليوم جدّي الطابع، ويركز على جوانبنا المظلمة وخصوصًا تلك التي لم يتحدث عنها أحد قبل بموضوعية وفي مناسبة كهذه، فدعوني أخرجكم إلى موضوع يتناول جانبًا من حياتنا يصاحب ألفاظنا كما يصاحب الظل الجسم. وهو موضوع الإيقاع واللحن، وقد يخطر ببال البعض، أول ما يخطر، أن هذه أسماء ومصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، وهي لا تمثل تللك الأهمية التي يعقد لها مؤتمر قمة موسع كهذا، ولكني، واستباقًا لما أريد استنتاجه، وتبريرًا لاختياري لهذا الموضوع بالذات، أود القول إنني بصدد الحديث عن النظام، والانسجام النفسي والعملي وما يمثله هذا النظام من أهمية في حياتنا، وما يمثله من صلة دقيقة بلغتنا العربية موضوع حديثنا ومدخل أفكارنا جميعًا وأحاسيسنا. وليس خافيا عليكم ما للموسيقى اليوم من دور هام في الحياة، في مجالات الإعلام والبرامج وفي الحفلات الرسمية والمهرجانات والمراسيم، وحتى في وسائل الإعلان وأجهزة الاتصالات، وغيرها.

أ- اللغة والإيقاع:

إن كل ما حولنا في الكون البديع المترامي الأطراف، يضج بالحركة والنشاط الدائبين وما وصل إلى مسامع الإنسان من حركة في الأبعاد السحيقة، إنما وصل على شكل ذبذبات لا سلكية أشبهت إلى حد بعيد أصوات سمفونية بالغة الكمال.

وهكذا إن الكون كله في تسبيح دائم وحركة دائمة ،من حركات المجرات إلى حركة الإلكترونات في قلب الذرة. أي أن الكون يسير بإيقاع منتظم، وحركة الأجرام والمحسوسات إنما هي أصوات منها ما هو داخل عتبة الصوت ومنها ما هو خارجها.

وانسجامًا مع قوانين الخلق هذه، جآءت لغة الإنسان لتسير في نفس الإطار وتعكس ما يدور في خلد الإنسان من رغبات بشكل حروف وأصوات وألفاظ وتراكيب لغوية. وما برح الإنسان يعمل على تطويرها وتحسينها دلاليًّا وصوتيًّا أي موسيقيًّا حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

ولغة العرب كما أُشير سابقًا هي من أكمل اللغات وأتمّها. ولعل سرَّ جمالها وعذوبة نغمتها هي في ذلك التوازن بين موسيقى جرس الألفاظ

التي تجعل منها نسيجاً لحنيًا مقبولًا عند النطق بها حتى لمن لا يتكلمون العربية.

دليل ذلك هو هذا التراث الفني والأدبي الهائل، بدًا من السجع وفن الرواية ثم الشعر الذي هو ديوان العرب، الذي صاحب الأقدمين في معظم أعمالهم، ثم بحور الخليل التي لها من الرقيّ مالسنا بحاجة إلى توضيحه الآن، فإذا كانت اللغة مرآة الفكر ووعاؤه، فهي بهذا الترنيم تخدم أحاسيس المتحدثين بها. فأحاسيسهم إذًا تعشق اللحن والتطريب بلا محالة، وهنا نعتبر الموسيقى واللحن جزءً من حياتهم.

وحيث أن اللغة مهما بلغت في السمو، فإنها لا تسدّ حاجة النفس في إيصال الأحاسيس فقد صاحب ذلك فنون الموسيقى والرسم، والعرب كانوا سباقين لإنشاء قواعد الموسيقى وأصول صناعتها.

أما أنواع الفنون الموسيقية ـ اللغوية فهي تعد بآلاف، إذا ما نوَّهنا إلى فنون التراث الشعبي في كل قطر، مثل الأهازيج، والمهاجل، والمهايد، والزوامل. والموشحات، والأغاني الدينية، وغيرها، وهذه كلها تعكس اهتمام العرب باللحن وإيقاعه. والسؤال الذي نخلص إليه، هل الموسيقى

والغناء حاجة أم أنها احدى الكماليات ؟ والجواب من خلال ما تقدم أنها فطرة غريزية لا يمكن لأحد أن يكبتها.

فهي تعين الإنسان على التعبير والإحساس وتساعده على تأدية فروضه العملية.

بقي أن نسأل ما موقف الدين منها. والأجوبة التي يرددها البعض أنها مسألة خلافية، قديمة وما يهمنا في الواقع، هو إلى متى تظل الكثير من هذه القضايا موضوعة بين فكي (مسألة خلافية)، ونحن في زمن غير الزمن الذي ظهر فيه هذا الخلاف، واختلفت الدلالة عليه اختلافًا يكاد يكون كليًّا. فإذا كانت بعض المسائل قد عصيت على الحل، لماذا لا نخضعها للتجربة لزمن محدود، ونقوم بعد ذلك بدراسة المصالح أو المفاسد التي تنشأ عنها ؟ إن تلك مسؤولية فقهائنا الكبار، الذين يجوز أن نسميهم مفكرين، حيث إن الإجتهاد مسالة فكرية وليست فلسفية،رغم عدم كثرة استعمال هذاالمصطلح في تراثنا العربي، ولا نعلم لماذا،مسؤوليتهم أن يجتهدوا بما يتفق ومصالح الناس ولا يمس في جوهر الدين ولا يتعداه. ليس في هذا الأمر وحده ،ولكن في جميع الأمور الخلافية الأخرى وهي

كثير، نشأ الخلاف عليها في زمن يختلف بخصائصه عن زمننا هذا الذي نعيش فيه الآن، ونود رفعته وكماله.

ب. إطلالة على الأغنية اليمنية:

لسنا هنا بصدد طلب تجويز الغناء والموسيقى على كافة أشكالهما، أوتحريمهما،، فالأغاني الماجنة والموسيقى التي تهيج الغرائز وتثير الشهوات، وكذلك الكلمات الخلاعية، وكل ما من شأنه إضاعة الوقت هدرًا، أو إمالة الحسّ،كل هذه لا يقبلها الذوق السليم والفطرة، ما بالك بتعاليم ديننا الحنيف. ولقد رأيت ان أطرح عليكم نموذجاً، لم يحظَ بقدر كاف من الدراسة مع أنه يمثل أصالتنا العربية في تعاطي الغناء والترويح عن النفس بصورة مشرفة تنسجم مع أخلاقياتنا ومثلنا العليا.

وبالالتفات إلى الفنون الأصيلة، والترث الشعبي، في كل قطر عربي،يتضح لنا إلى أي حد ساعد ذلك على طرد الملل، وإذكاء الحماس للعمل، والذكر، وتأصيل الحكمة في الذهن عن طريق التحفيظ والتّحفظ، واستلهام الوعظ الذاتي والعبر من أفعال السلف المجيد، وأقوالهم.

هذا التراث الغني والواسع الذي تتعدد مقاماته وفنونه وأدواره وتتنوع تنوعًا كثيرًا ويمدُّ بجذوره إلى العصور العباسية، أي يمثل مكتبة موسيقية كاملة ،من الجدير الوقوف عليها، والتأسيس على قواعدها وأصولها.

أما مسألة ما دخل على الفن العربي الأصيل من نشاز، وانحراف(ليس المعني هنا التأثير والتأثر)

فهو أول الأسباب التي أعنيها باختياري لهذا الموضوع.نعم دخل المحق إلى التراث العربي في فترات الجمود والحملات الهدامة، وفي فترات الاستعمار والتجزئة، وإخماد الروح الوطنية، وسياسة التفرقة، وإذكاءالطائفية والمذهبية وما هو على شاكلتها. كل ذلك أدى إلى انقطاع الامتداد والتواصل وما رافقه من انحراف في التقاليد الفنية التي لم تبق متمسكة بجوهرها الفريد ،وهويتها الثقافية، التي تحمل في صميمها عنصر الإبداع والتجديد.

ولكي نثبت الصلة، دعونا على سببيل المثال نلقي نظرة على نماذج من التراث الفني اليمني، باعتباره كما أظن لم يتعرض للتحريف كما حدث لبعض الأقطار الأخرى، التي خضعت لنفوذ المستعمر وتأثرت بثقافته.

والذي طبعا لايعتبر الآن بكامل نضوجه،لكنه لايزال يحتفظ بتلك النكهة العربية الأصل والطابع.

لم تزل تلك الصلة القوية بين الغناء اليمني وأصوله العربية الغوية والايقاعية،كما سبق، حيث نجد أن اليمنيين قد دأبوا على تلحين بحور الشعر أولًا ،من الزجر إلى الطويل ثم الكامل والوافر وغيرهاوهذه مكرُمة تحمد لهم على وجه الخصوص باستثناء الموشحات الأندلسية، والحلبية التي اهتمت بتلحين بعض البحورفقط،والقصدهنا الجملة الموسيقية للتفعيلة التي تنتمي لهذاالبحر أوذاك، ويمكن تطبيقها على عدة قصائد من نفس البحر، إذا شئنا،

وقد حفظ لنا ذلك ألحانًا كثيرة متنوعة، ونغمات طربية لاحصر لها، وكل نغمة على حده، تمثل جملة موسيقية كاملة، ولا تزال هذه الألحان حتى يومنا تغنَّى وتساعد كثيرًا على ضبط التفعيله أفضل وأدق من وزن فعل فاعلن مستفعلن.... إلخ. هذا من حيث القالب،

أما من حيث الأداء فهو يبعث على التقدير والإعجاب، فكل أو معظم القصائد الغنائية إنما تبتدئ بالتوحيد والثناء على الخالق والدعاء والاستغفار والصلاة على الرسول الكريم، قبل أن تدخل في صميم

الموضوع وتنتهي كذلك بالدعاء والصلاة على الرسول.هذاناهيك عن الاختيار الجيد للنص الذي أغلبه لكبار العلماء والفقهاء، والأعلام، الأمر الذي يجعل الكاتب والمغني يضع نفسه أولًا بأول بين مزدوجين فلا نتوقع منه أن يشطط في استرساله الشعري أو الغنائي. مما يبعث على السأم أو الملل.وذلك هو جوهر الموسيقى الصوتية وأساسها، وكما هو معروف. فهي تعتمد على ما يسمى ربع النغمة، الذي لا نجده في فنون الغرب وحتى في بعض الفنون الشرقية أيضًا. وهذه هي أحد أسرار الكمال في الموسيقى العربية الذي يوازي كمال اللغة أيضًا.

فالموسيقى العربية إذًا هي رديف اللغة وتعبير عنها تواكبها وتسير باتجاهها وتخدمها في إيصال الأحاسيس بشكل مثالي ترتاح له النفوس.

ولو عقدنا مقارنة سريعة بين جذور الموسيقى العربية الغربية لتبينًّا أن الموسيقى تعكس على الدوام حالة الضرورة لإكمال نبرات حروفها الصوتية، ولما كانت معظم اللغات الغربية غير مرتقية في جذورها فقد نجم عن ذلك موسيقى غير مرتقية بدليل أنها تفتتقر إلى ربع النغمة المذكورة آنفًا. ليس هذا وحده فقط وإنما اللغات الغربية فيها من الجفاف وعدم القدرة على اشتقاق أحرف موسيقية تصاحبها، إلى درجة انها تبحث

عن الإيقاع الذي هو قطب الرحى للموسيقى في الألحان الإفريقية، وهذه بدورها هي لغات غير تامه وغير مرتقية، أنتجت إيقاعًا بدائيًّا، لا نقول إنه خارج عن الفطرة الإنسانية، إنما أوليًا وبدائيًا. ودليل آخر على ذلك أن الأغاني الغربية التي تخضع لترويج عالمي كبير، هذه الأغاني الرائجة لو دققنا النظر فيها سنجد جملة طربية واحدة هي التي أشهرتها وربما لا تزيد على ذلك. بينما نجد في أغانينا العربية الراقية عددًا كبيرًا من هذه الجمل الطربية في الأغنية الواحدة.

أمرٌ واحد تفوق فيه الأوروبيون والغربيون من الناحية الموسيقية، وساعد على ذلك ارتقاء التصنيع المتطور للآلات الموسيقية، وهو التاليف الاوركسترالي والغناء السيمفوني والعزف الجماعي الذي أنتج بناءًا موسيقيًا ،أرضى الكثير من الأذواق، أما تلك الأغاني الصاخبة والتي تصدّرها الزنوج الأمريكان فهي إنما تعكس حالة التمرد والكبت والاضدهاد العنصري، وروتين العمل الطويل والشاق، هذا عمومًا هو نتاج لحضارة العصر الحديث وقد لا يمت بصلة إلى تراث قديم هنا أو هناك، وهنا يأخذنا العجب في إقبال الشباب على موسيقى الغرب ومحاكاته في كل شيء والتدنّي معه إلى مثل ذلك الإسفاف والمجون أو

الجنون إذا صح التعبير ! صحيح أننا نعاني من حالة ضجر وكبت وقمع، لكن بلون مختلف، ولذا يمكننا التجديد والبناء على أصولنا الفنية، والتي لا تخلو من إيقاعات سريعة وقوية، وإزاء هذا، هل من الضروري أن ننحدر إلى تلك البهيمية، والحيوانية التي نشاهدها في فيديو كليب الغرب الذي طغت عليه الوثنية الزنجية؟

أخيرًا أورد لنا المتحدث بعض نماذج من تلك الأبيات التي جاءت في افتتاحيات الأغنية اليمنية وهي شكل آخر للمأثور من الأدعية، إضافة إلى حسن البلاغة والإيجاز:

١ـ

يا حي يا قيـــوم يا عـــالم بما تخفي الصـدور

يا موجــد المعدوم يا من بحر جوده لا يغور

يا منفذ المحتوم في الصابر وفي الراضي الشكور

أســـألك يا رحمـــن بالنور الذي لا ينطفي

سيد ولد عدنان حبيبك من توســـل به كُفي

أن تذهب الأمحان والأحزان باللطف الخفي،

وتكشف المهموم، وتكفـــينا مهـــمات الأمور.

قد ضاقت الأحوال، وضاع الاحتيال،والاجتهاد،

وخابـــــت الآمـــــــــال إلافيك يا رب العباد

فخفف الأثقال، وداوي بالصلاح داء الفساد،

وسامح المأثــــوم، واغفر إنك الرب الغفور.

٢ـ يا رب يا رب لاطف عبدك الحائر.

يا من لك الحِلّ والإحرام والقدرة.

يا مالك الملك يا من للذنوب غافر

إغفـــــر لعبدك ذنـوبه أثقلت ظهره

٣ـ يا من عليك التوكل والخلَف

يا من لك الطـــــاف فيـــنا سارية

يا من إذا تاب عبدك واعترف

تمحي جمـــــيع الـــــذنوب الـماضية

٤ـ رحمان يا رحمن يا من فوق عرشك مرتفع

يا قاضي الحاجات يا من للسرائر مطّلع

٥ـ عظيم الشان يسِّر لي مرادي

ولاطف سائلك ثم اعف عَّنهْ

٦ـ رضاك خير من الدنيا وما فيها

وأنت للنفس أشهى من تمنِّيها

٧ـ يا مستجيب الـــــداعي　　　جِبْ دعوتي باســـراعِ

واشفي جميع أوجاعي　　　يا مرتجى يا رحمـن

واغفر لعبد مذنب　　　من الخطايا يكسِب

بفضل ساكنِ يثرب　　　طه شفيع النيران

٨ـ يالله يا من على العرش اعتليت　　　ألا يا عالمًا كل ما عبدك نوىَ

خالق ورازق وما تخـــلق كفَيْتْ　　　مُسلم وكــافر، ورازقهـم سـوا

٩ـ سجدت سبحت لله خالق الكون كله　　　لما رأيت المُقل.

١٠ـ الهي نسألَك بالإسم الاعظم　　　بجاه المصطفى فرِّج علينا.

١١ـ رب بالسبع المثاني　　　وبقـــرآنٍ مُعظّـــــم

أصلح اللهم شاني　　　واصرف الهمَّ مع الغم

١٢ـ جلّ من نفّس الصباح　　　وبسط ظلَّه المــديد

ألْهَمَ القمـــريَ النواح　　　يِشكيَ النازح البعيـد

١٣ –يارب يا ستـــار ياغفــــار يا مُنشي الرعــود

يامن عليك الإتكال في كل حالة　　　يا ودود

لك كل ساعة شان في خلقك ولك نعمة وجُود

أسألك يا رحمن بحسن العفو للمذنب تجــود
بسورة الإخلاص والأعراف والأنفال وهــود
بجاه خير الخلق طه المصطفى زين الوجـــود
عليه صلى الله ما شنت سحابات الرعـــود
وآله الأخيــار فحب الآل للجنــة يقــود.

وأضاف:

هذا نموذج مما لانزال نحتفظ به من التراث العربي، وهناك لاتزال نماذج أخرى نقية في الشام كالمقامات الحلبية، وفي بغداد العاصمة الأولى للفن الموسيقي، وكذلك في المغرب العربي،كامتداد للموشحات الأندلسية.(انظر كتابي عن الحلاج)

مثل هذا وبعض مما أوردنا يجدر البناء عليه والمواكبة والتطوير للحفاظ على النفسية والذائقة العربية من الفصام الفني، كما حدث في الفصام الثقافي الذي نعاني منه حتى اليوم.

الراء

الطفولة والشباب:

وقف الراء، بزيِّه الرياضي الأنيق، بعد سماح الإذن له بالكلام، وقد لاحظ البعض، أنه لم تكن هناك إشارة (أديداس) على صدره، وهي إشارة الماركة التي يفخر الرياضيون باقتنائها. لعله مسحها أو ربما كانت تلك البزة من صنع محلي، فمن يدري، فليس ذلك على الله ببعيد،قال أحدهم، بصوتٍ مهموس.

انطلق بخفة ورشاقة، ووقف على منبر الخطابة على رِجلٍ واحدة متباهيًا بلياقته، ثم قال بعد الترحيب بالجميع-:

حديثي اليوم أماكم سيكون موجزًا، بقدر ما هو هام جدًّا، وهو عن الطفولة والشباب، هذه الفئة العمرية التي تشكل أكثر من (٥٠٪) من مجتمعنا، والتي لا أقول نتجاهل وجودها، بل أننا لا نخصص لها من الدعم المالي في الميزانية أكثر مما هو مخصص لحفلاتنا ومآدبنا وتحركاتنا المواكبية، وحراستنا الشخصية.

ومن وجهة نظري وكل ما مرّ علينا ويمر من نكسات وإحباط، واهتزازات في المواقف وردود الأفعال الشخصية، انما يعود بادئ ذي بدء للطفولة البائسة والخلل الكبير في تربية السنين الأولى، التي تشكل شخصية الفرد الحقيقية. إنما يخزن في لاوعي الطفل في المراحل الأولى لهو أكبر مما يتصوره العقلاء والكبار، فاكتمال نمو المخ ينتهي عند السادسة تحديدًا وحتى هذه الفترة تكون قد مرت فترة المطاوعة ليخزن الطفل كلما حوله من لغة وأفكار ومناظر وأحداث. أما ما يشكل ويصقل مهاراته الشخصية بعد ذلك فعائد إلى الممارسة الخاصة وظروف الزمان والمكان الذي ينشأ فيه، وثقافة الأبوين، والمحيط.

انطلق تصفيق حاد من مجموعة الرآءت التي تصطف خلف مقعد الراء المتحدث، بحلقات هلالية، كأنصاف الدراهم، وهي كما أسلفنا من مشارب مختلفة، منها الراء النسخي والرقعي والديواني المملوء بالخيلاء والفارسي الوسيم وغيرها وسرعان ما انتشر التصفيق كالموجة ليشمل القاعة كلها وكان قد مر وقت طويل نسى فيه الحاضرون تنبيه الرئيس بعدم التصفيق.. أردف قائلًا:

أيها الإخوة والآباء الكرام لن أسرد عليكم المخصصات التي توليها مختلف شعوب العالم للتربية والشباب والرياضة، والكثير منكم يعرف ذلك.

ولن أشير إلى الأنموذج الراقي لدول كثيرة مثل اليابان التي تخصص للطفل في المراحل الباكرة أفضل الكفاءات العلمية والتربوية، وتجزل لهم العطاء والمرتبات السخية رغم أن الشاعر الذي قال قديمًا هذا البيت هو عربيٌ منا:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما

رغم اعتقادي أن في هذا البيت جزء من الصحة، وجزء من الخطأ، يكمن في الحرمان والإهمال الذي يعاني منهما الطبيب والمعلم، الذي لن يتسنى له أن يبذل أقصى ما في وسعه، إلا إذا استطاع أن يحيا حياة كريمة تجعل منه شخصًا سويًا يتمتع بأمن معيشي واجتماعي مناسب ويكون قدوة حسنة.

أما الخطأ فهو ربط المادية بالطبيب والمعلم، فكلاهما ليسا ماديين، بدليل اختيارهما لهذه المهنة المعطاءه وهذا الجانب الخدمي الإنساني المتميز، وإلا

لكانا اختارا مهنة اخرى تدرّ المزيد من الكسب والربح، كالتجارة مثلًا، أو السمسرة، أو العمل الدبلوماسي.

إنه لا يكفي، أيها الأعزاء، أن تظلوا تردِّدوا في كل مناسبة.

وإنما أولانا أكبــادنا بيننــا   أرواحــنا تمشي على الأرض.

لو هبّت الريح على بعضهم   لا متنعت عيني عن الغمضِ

فرغم ما لهذين البيتين من جمال وقيمة دلالية، قلّ أن نجدها في أشعارنا إلاّ أنه يجب أن نقولها لهم، للأطفال، ونُسمعها لهم، ليتشربوا الحنان ويعرفوا ما نِكنُّ لهم من اهتمام وما نعقد عليهم من أمل. وكما يُقال:إن أكثر ما يمكن أن تُقدمه لأولادك،هو الجلوس معهم.

إن الشخصية الأبوية الشرقية الصارمة، باتت في زمن كهذا، مع تقدم العلوم الاجتماعية والتربوية والنفسانية، محل نقاش وجدل، يجب علينا إعادة النظر في تقييم دور الآباء والأمهات الناجحين لينعكس ذلك النجاح على الأبناء..

وإن التفريق بين تربية البنين والبنات، لأمر يجب علينا مراجعته، حتى لا تنشأ عقدة الذكورة التي هي أيضًا من سمات شخصيتنا، وتنعكس سلبًا على الإستقرار العائلي داخل الاسرة الواحدة، التي هي لبنة المجتمع الأول وصورة مصغرة عن المجتمع بكامله.

أما فترة المراهقة التي لم تكد تستقر في أذهاننا كمصطلح هام إلا حديثًا، فهي أخطر المراحل العمرية على الإطلاق لأنها تمثل عتبة دخول الفرد إلى عالم المسؤولية والمشاركة، حيث يقوم المراهق خلالها بتقديم أوراق اعتماده إلى الاسرة والمجتمع كفرد بالغ عاقل ليخوض تجربة الحياة بكافة متناقضاتها وهمومها، ويجب الإشارة هنا إلى أن مفهوم المراهقة عندنا لايطابق المفهوم الغربي الذي قد يكون محكومًا بقوانين الأسرة الوضعية، أكثر منه بالعاطفة الأبوية، إضافة إلى أن قضية المراهق الأولى عندهم هي القضية الجنسية. أما عندنا فهي لاتعني أبعد من اكتمال النمو ،والبدء في خوض غمار المسؤولية والمشاركة، وهذا هو ما يخفف وطأة الرغبة الجنسية، ويصرف الكثير من الانتباه إلى ميدان العمل وإثبات الوجود والذات.

إذا بلغ الفتى عشرون عامًا ولم يَحُــز الفخار فلا فخارا

وللتذكير أود الإشارة في هذا الصدد إلى سوء استخدامنا اللغوي الذي من نتائجه سوء الفهم والتقييم الذي ربما ينجم عنه بعض الخلل في التربية في مجتمعنا. فاللغة الفصحى التي نمثلها اليوم في هذا المهرجان تستعمل المفردات الآتية بحسب التسلسل:

وليد، رضيع، صبي، غلام، مراهق، شاب، يافع، و تجمعها كلمة ولد للجنسين .و في بعض لهجاتنا الدارجة نستعيض عنها كلها بكلمة العيال، من الإعالة والأغلب كلمة جاهل !! فماذا ترسخ في أذهاننا كلمة جاهل وماذا ترسخ في ذهن الولد هذه الكلمة. إن هذا الولد وكذلك نحن سيستقر في خلدنا أنه جاهلٌ على الدوام وسنظل نتعامل معه على أنه جاهل بكل شيء وكذلك هو سينظر إلى نفسه أنه لا زال جاهلًا حتى ولو بدأ بقَصِّ شاربه وحلق دقنة. أليس كذلك ؟

أما مسألة تشغيل الأطفال أي الغلمان وتحميلهم المسئولية باكرًا، فهذا الأمر قد أثبت فشله في خلق التوازن العقلي ـ العاطفي في مرحلة النضج، ولا أتحدث هنا عن دور أبٍ معيّن أو أم معينة تجاه أبنائهم. بل أبناء الوطن جميعًا من محرومين ويتامى ومعوقين، الذين يجب أن يُنظر إليهم جميعًا

كوحدة واحدة تؤثر وتتأثر بالباقين والمسؤولية هنا هي على الدولة في المقام الأول.

إن مرحلة المراهقة والشباب، والتي تجعل من الناشئى كتلة مشحونة بالهرمونات تصوب اهتمامه الأول، أوثلاثة أرباع تفكيره في اختيار شريكة، أو شريكة حياة. إذا لم توضع الحلول لهذه الفترة العصيبة فمصير النسل يتعرض للفساد والانحلال وعدم الإنتاج والتقاط كلما يأتي من الخارج بقصد أو بغير قصد من إغواء وفساد.

ولذا يجب لفت النظر إلى معضلة غلاء المهور والتي إذا لم تؤدِ إلى الانحراف فإنها قد تؤدي إلى الإنطواء والتوحُّد والإكتئاب الجنسي، أو الإنخراط في أعمال عنف وإرهاب. إن المبالغة في قيمة المهور قد جعلتنا في نظر الغير أمّة تعامل النساء كسلعة تباع وتشترى بالمال كالأنعام.

الحديث يحمل شجونًا كثيرة، ولا يتسع المقام للإطالة، ولكن اسمحوا لي أن أشير إلى ضرورة تعاون الأسرة مع المدرسة في بناء شخصية الطفل واكتشاف مواهبه الباكرة، فليس هناك طفل يخلو من موهبة أومَلَكة، زائدًا إلى أن أولادكم خلقوا لزمن غير زمانكم، وإن المقاييس التي لا تزال في أذهاننا حتى اليوم عن التربية أصبحت مختلفة تمامًا ويجب أن نبذل جهدًا في

معرفة ذلك وتبنيه، فعلى سبيل المثال. بعد دراسات مستفيضة حول موضوع الذكاء الفطري، تبين أن هناك نحو ثمانية أنواع من الذكاء، وليس ذكاءً واحدًا صرفًا، من أهمها الذكاء الاجتماعي، الرياضي، اللغوي، السياسي، الموسيقي، الفني، وغيرها مما يتيح للجميع فرص النبوغ والتفوق اذا ما اكتشفت باكرًا، وعلى الجانب الآخر هناك من تلك الحالات التي نصفها بالتخلف العقلي والوصمة الاجتماعية، هناك من بين هؤلاء من يحملون بالمقابل صفات عبقرية وإبداعية توصلهم لعظائم الأمور.

أختم حديثي بالحديث عن مناهجنا الدراسية، التي هي إذا صح التعبير ـ العيب كله- فهذه المناهج عقيمة ولا تتعاطى مع الواقع المعاش، حتى إننا نشك بأنها مفروضة علينا مـن الخارج أو من جهات لا تريد لهذه الأمة النهوض.

لذا أصبحت ضرورة إعادة النظر في المناهج ملحّة وتوحيدها كذلك أكثر إلحاحًا. على أن يشمل التغيير إعادة النظر في التعليم الاساسي بدءًا من نطق وتهجئة الحروف العربية، ولعل الطرق التقليدية التي ركزت على موسيقية الحرف وإيقاعه، قد رسخت أبعاد الحرف العربي في ذلك المتلقي

وجعله أكثر إلمامًا بتجويد الحرف ورسمه ونطقه وكتابته إملائيًّا، والأمثلة على ذلك أمامكم ولا تحتاج إلى توضيح.

زَ

كان يعرف الزاي أن دوره قد حان.. فما إن أشار إليه الرئيس بحلول دوره في الحديث، حتى هب واقفًا من مقعده. وعلى خلاف المتوقع، بدأ هذه المرة، وعلى رأسه قلنسوه مثلثة الشكل، زرقاء اللون تختفي بداخلها تلك الكرة التي يحملها في رأسه.

لا أحدٌ يدري لماذا جعلها كذلك، ربما احتفاءً بالمهرجان الكرنفالي الكبير، أو تقليدًا لبعض رموز القنوات الفضائية، التي أدمن متابعتها، وهو يتابع قضايا بلده المتسارعة، والتي تحمل كل يوم ،إن لم نقل كل ساعة خبرًا جديدًا مزعجًا أو فاجعة جديدة. أو أنه لا هذا ولا ذاك وإنما تأثر بالعولمة التي تجعل من الأزرق لونها المفضل وتضغط باستمرار حتى ينتشر هذا اللون ويزداد اكتساحًا، والغالبية لا يحسون بذلك.

أما قوامه وهندامه فقد كان بحكم العادة رشيقًا أهيفًا كالهلال، ولا يختلف في مرونته عن زميله الراء.

ما إن أخذ وضعية الخطيب، حتى بدأ ومن دون تقديم ،بصوته الذي يشبه الأزيز، و القريب الشبه بصوت البعوض وهو يحوم حول صيوان الأذن في ظلام الليل ،ومن أهم ماأورده:

إذا كان من المتفق عليه ، أو هكذا جرت العادة أن ننطلق من أشكالنا كحروف تنبض بالحياة، أي من ذاتنا وهيئتنا مدخلًا للحديث عن موضوع يهمنا معاشر الحروف جميعًا، فقد أعددتُ مقطوعةً تصف اليهودي الغاصب الذي احتل قلب عروبتنا فلسطين وعاث فيها قتلًا وسفكًا وتنكيلًا، وهدمًا للبيوت وتجريفًا للمزارع على مرأى ومسمع منا أولًا ومن العالم ثانيًا، فماذا عساي سأقول غير ذلك. (أنظر ديوان رحيل)

فالحديث عن فلسطين، كما نوه البعض قبل اجتماعنا ليس موضوعه اليوم فإنه يحتاج منا مؤتمرات خاصة ومهرجانات عملية وفعاليات مخصصة باعتبارهِ محور أزمتنا على الإطلاق..

ولديّ القناعة أن ما نطرحه اليوم من إشكاليات عميقة الجذور إنما هي في حقيقة الأمر تداعيات للسبب الرئيسي ،الذي هوجوهر القضية، وسببًا بالتالي لعدم القدرة على الخروج برؤية واضحة لتحرير هذه البقعة المقدسة، والتي تعتبر شوكة الميزان في قضية الأمن والسلم العالميين.

باسمكم جميعًا اثني على المقاومة الفلسطينية الباسلة، التي سطرت أروع الملاحم وأعظم البطولات وإنها لمنتصرة بإذن الله:

السين

عوامل الاحباط والنكوص:

صعد السين إلى المنصة، برفقة شخصين أكبر منه سنًّا، يتوددان إليه، وهو يمشي واثق الخطوة ببزةٍ أوربية،يعلوها مشلح مقصَّب، وعلى وجهه تضيء ابتسامةٌ عريضة تكشف عن أسنانه البيضاء اللامعة.

وما إن بدأ حديثة، بنبرته الموسيقية الحادة التي خرجت من فمه رغم انطباق أسنانه، حتى كاد الجميع يشعر أو يحس بتيار الهواء المضغوط والسريع وهو يندفع من بين ثنايا أسنانه المفلّجة

ومنذ الوهلة الأولى فقد لفت الأنظار بحسن إلقائه وجمال إيمائه وانفعالاته الجسدية التي تنسجم مع ما يقول.

فقد كان يمد يده أحيانًا، حتى تبدو كالسيف المجرد من غمده، كالسين الفارسي، وأحيانًا يثنيها أو يدلّيها إلى الأسفل كما يفعل الحواة في السيرك، مشبهًا بذلك السين الرقعي. مما جعلنا نعقد الشبه بينه والشاعر الجواهري أثناء إلقائه للشعر، أو المطرب اليمني المبدع أبوبكر سالم بلفقيه أثناء غنائه على خشبة المسرح، وهما ممن يجيدان ما نسميه فن الإيماء

استهل حديثه بهذا البيت الاستهلالي لصفي الدين الحلي:

سل الرماح العوالي عن معا لينا   واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا

وتوقف هنيهةً، ثم أردف بصوت أقوى نبرة:

نعم.... خاب الرجا فينا...... أيها الإخوة:

أقولها صراحةً، لقد خاب الرجا فينا وأصبحنا كغثاء السيل كما قالت النبوءة، بل وكأننا ولكثرة ما سمعنا من النبوءات، صحيحة المصدر أولا، كأننا أصبحنا نعتقد أن هذا هو مصيرنا، وما باليد حيلة، بل ولربما نصنع مصيرنا بأيدينا تطبيقًا لما تقول تلك النبوءات.

والتي هي في معظمها، جبرية أوقدرية المصدر،سلبية الطابع، وكأن النبوءة الإيجابية لا تلقى رواجًا لدينا، وكأن ذلك استدرارٌ للشفقة والعطف لأنفسنا من أنفسنا على الدوام، أو كأن هذا يشعرنا بالرضى وينفض عنا غبار المسؤولية.

إن المنجمون والعرافون هم الشريحة الأوسع من كُتّابنا، وإلا فانظروا كم يوزع العراف والمشعوذ من طبعات، وكم يوزع الأكاديمي الباحث،

في المكتبات العامة، وكذلك فإن عدد المعالجين بالقرآن، وبالطريقة التي لا تخفى عليكم، وبالأصوات المنكرة العالية الشدّة التي تصم الآذان، هم أكثر من المفسرين العلماء لمعاني القرآن وتوضيح بيانه وأحكام آياته.

إن العيب ليس في هذا كله، بقدر هو العيب علينا جميعًا ونحن نسمع ونسمح لهذه المنكرات أن تحدث فينا وتستقطب الأكثرية من سوادنا الغارق في الجهل لتزيده جهلًا على جهل، وتبعده عن اهتماماته الحقيقية وعقيدته التي يرتكز عليها في حياته العامة، فيحق لنا عندئذ أن نسأل أنفسنا هل نحن أمة لامبالين، واتكاليين بالمعنى الحرفي للكلمة أم أمة معجونة بالعواطف السلبية والكسل والقدرية والجبرية و غيرها.

اجتمعنا هنا لا للتأسي على ما فات وإنما لننبش في جذورنا ونبحث عن عروق الضياء في مسيرتنا الاجتماعية الثقافية التي أدت إلى هذه الإعاقة الشاملة.

إن التذكير بهذا كله واجب، خصوصًا بعد أن أدمنّا نقد أنفسنا،وجلد الذات، لا لتلمس طرائق الخلاص وإنما لجلد الذات في ذاته والبكاء على الأطلال وعلى مجد غرناطة الضائع.

لابد أوّلًا من هدم سلبياتنا المُعيقة هذه ،لنتخذ لأنفسنا مرتكزًا جديدًا وننطلق إلى هدف واضح ليس وحدنا كمثقفين أو صفوة منتخبة وإنما كمجتمع كامل بكل أطيافه وشرائحه.

لابد من خطوط واضحة المعالم لنستعيد مجدنا المنهوب الذي استحوذ عليه محبطين بيننا، والذي أتى بعده طاغوت الحضارة العصرية ليزيدنا إحباطًا على إحباطنا. حوّل حياتنا إلى عبثية وفوضى ونفاق وتشاحن فيما بيننا. فاستأثر هؤلاء الانتهازيين لأنفسهم بالرفاه والطمأنينة والرخاء، وحرموا الآخرين من أبسط حقوق الحياة.

اننا نسكت عن الكذب والمداهنة والنفاق بكافة أنواعه، ونشجع على السُّحت، ونعين على انتقاص حق المرأة والضعيف.

ونقف مكتوفي الأيدي من الرذيلة، ونهمل تربية الأبناء، ونقدس الطغيان ونمنح الطاغي صكًّا مدى الحياة ،ونسيء توزيع المال ونقدس أصحاب رؤوس الاموال المتنفذين ونوليهم الولاء والطاعة رهبة ورغبة.

كل هذا ونريد الانبثاق والصعود والرفعة !!

أليس هذا تحقيرٌ لذواتنا ،بل هو توثيقٌ لعيوبنا التي نريد التخلص منها لكي يتم تأهيلنا كافة وكمجتمع يريد شيئًا ما ويطمح إلى وضع ما....

لقد أقمنا الدنيا وأقعدناها، لما تفاجأنا إبّان الأحداث بما سمِّيَ آنئذٍ ازدواجية المواقف والكيل بمكيالين، ونحن نمارس ذلك منذ زمن ولا ندري حتى متى بدأنا ذلك، فالأحكام الشرعية، والقوانين لا تطبق إلا على الضعفاء والصغار أما الوجهاء والأعيان فهناك ألف طريقة لتحاشي ذلك وهذا ما أفقد حكامنا مكانتهم ومصداقيتهم على الدوام وأفقد الثقة بهم والآخرين ،وثقتنا بأنفسنا. فميزان العدل مفقود بأوطاننا إذًا،ومن زمنٍ بعيد.

أما مسألة الاستنكار من الأجانب للقمع والإذلال للمعتقلين والسجناء من أبنائنا، فذلك أيضًا يقاس بنفس الدرجة. وقد يكون من الجائز أن ذلك قد أفادنا من حيث أنه كشف زيف الدعاة الجدد لحقوق الإنسان والديمقراطية التي يتشدق بها الغرب، ولكن هل نحن في عصمة من ذلك أم أن سجوننا تزدحم بالسجناء ،من أبناء جلدتنا،الذين يتلقون مثل ذلك وأكثر إلى الدرجة التي تزهق فيها أرواحهم تحت وطأة التعذيب؟

لن أسترسل في أمور أخرى تعرفونها جيدًا، ويكفي أن أشير إلى أننا يجب أولًا أن ننقِّي أنفسنا من العيوب حتى نستطيع خوض غمار مرحلة جديدة توقظ أحلامنا الراقدة في سبات عميق.

ألا يزال يساورنا الأمل بأن نغمض أعيننا ونفتحها، وقد أصبح المجتمع خاليًا من كل تلك النواقض والعيوب، وهل نشنُّ حملة توعية دينية،وسياسية، ونحن على ثقة أنها ستنجح في كل صفوف الأمة، أبتداءًا من التاريخ الفلاني.

إن الأمر يبدو كالسهل الممتنع، فجميع أفراد الأمة وكافة شرائحهم يعلمون ذلك ويعترفون به ويتمنون الخلاص من كل ذلك في غمضة عين، ولكنهم يشترطون المساواة بالمثل والالتزام من الجميع، أضف إلى هذا منهم من يأملون في جهةٍ، تلزمهم بالقوة وتكون قدوةً، وتعينهم على تخطي كل تلك المفاسد.

هذه الجهة هي وبلا شك السلطة أيًّا كانت، ولكن هل بشكل مباشر، تتفرّغ لهم، وتهمل بقية قضايا الحكم التي لن تكون في حالة نزهة ؟.

إن المطلوب أن يكون ذلك عن طريق تشكيل هيئات وجمعيات ومؤسسات أو حتى وزارات تكرس لهذا الغرض وتطبق مبدأ الثواب والعقاب بعيدًا عن المجاملات والمحسوبية والكيل بمكيالين أوثلاثة مكاييل أو أربعة كما ذكرنا.

استطرد السين، بعد أن نظر إلى الساعة الثمينة التي في يده، وقال:

إن الأحداث التي مرت بنا قد علمتنا الكثير وفتحت عيوننا على نقاط ضعف شديدة واخذنا منها العبر الكافية ويكفي أنها جعلت مما كنا نستهين به أمرًا في غاية الخطورة علينا وعلى غيرنا ممن نعيش معهم في كوكب واحد.

لم يكد السين ينهي جملته الأخيرة حتى صدع صوت الرئيس قائلًا له:

هلاّ أطلعتنا يا فخامة السين على تجربتك الشخصية أثناء الأحداث وما خرجت منها من انطباعات ؟ وماالذي نتج عن كونك كنت في جبهة الصمود والتصدي؟

فرد السين على الفور.. نعم.. كنت في طريقي للكلام، حضرة الرئيس

أريد أن اقول لكم، إنني لم أختبئ وكيف لي ذلك وانا الحرف الذي يسري على كل لسان، والناصع البياض في كل شفة، فلقد كان مظهري بارزًا للعيان ولقد اتخذت من شكلي البهلواني أسلوبًا للمناورة وخلفية للصمود والتصدي ولقد بقيت في وطني العربي، في الواجهة الأولى لدول الطوق والمواجهه، وجعلت فيه خيار الحفاظ على هويتي العربية منهجًا وأيديولوجية، ونقطة ارتكاز لحوار الحضارات والثقافات والأديان وكان تركيزي الأول على حركة الترجمة والتعريب، وإن كان والحق يقال إن إجمالي ما ترجمنا إلى العربية خلال الألف سنه الماضية لا يتجاوز ما ترجم إلى الأسبانية مثلًا خلال سنه واحدة.

ولكن ذلك لم يكن ليحدث لولا قلة الامكانيات لدينا والتي لا يمكن مقارنتها بما لدى زميلي الشين على سبيل المثال، ومع ذلك فنحن نجري معه تشاورًا، على هامش المهرجان، بقصد التكامل وتبادل المصالح، وكلنا أملٌ أن نصل إلى حالٍ أفضل.

كما أن الضغوط التي مورست علينا بإجحاف، قبل الأحداث وأثناءها مثل الحصار، ووضعنا في قوائم الدول التي تأوي الإرهاب وغيرها لم تزدنا إلا إصرارًا وعنادًا.

ومما أعاق مسيرتنا فعلًا، ذلك الجهد الكبير الذي بذلناه ولا زلنا نبذله لإزالة ومحو التطرف أيًا كان نوعه، وإجهاض تلك الحركات الفكرية الهدامة، التي تنشد السلطة وتشن أفكارًا معادية لتوجهنا اللاشتراكي القومي الرائد.

لكن الأحداث تلك، قد زادت تجربتنا غنيً، وفتحت مجال رؤيتنا على الواقع المتغير من حولنا الأمر الذي جعلنا نفهم وضعنا الفعلي ونقيّم جميع تجاربنا السابقة ونعقد الآمال العريضة في المستقبل الزاهر والمجيد.. أشكر لكم حسن إصغائكم.

ما إن انتهى السين أو أوشك حتى رفع أحد الحاضرين يده طالبا المداخلة، وكأنه قد تشجع من مقاطعة الرئيس له أثناء الحديث، قال:

لقد فاجأنا السين بخطابة الناري، وإن كان معذورًا، في مثل هذه الظروف، حبذا لو سمعنا بعضًا من تلك الموشحات التي كانت تحفل بها جلساتنا معه وأسمارنا، قبل أن تعكر صفو حياتنا تلك الحقبة اللعينة.

فعلق السين على الفور إن الجو العام للأطروحات قد أخذنا جميعًا لطرح وجهات نظر تخص إشكالاتنا الحالية وقضايانا الكبرى رغم أنني

كنت قد أ حضرت في جيبي موشّحًا غنائيًّا كنت أود إسماعكم إياه ولو في بعض الخلوات الجانبية، ولو أردتم ان تسمعوه الآن فأنا على استعداد، ورمق بنظرة رئيس المهرجان، الذي بدوره هز رأسه معارضًا، فعاد السين إلى مكانه دون أي شعور بالامتعاض.

الشين

المكاشفة:

كانت مسألة الشين، بعد المناداة على جلالته في مسلسل الفعاليات المهرجانية التي جمعت الأبجدية بكاملها على صعيد واحد، كانت أمرًا صعبًا بعض الشيء، ولا يخلو من طرافه.

فقد احتاج إلى طاقم كامل، مكون من خادم طويل القامة يرفع مقدمته، وآخر قصير القامة، بقدر منتقى ومناسب، ليرفع مؤخرته الضخمة والمقوسة، إضافة إلى ثلاثة غلمان ينقلون معه الثلاث نقاط الكبيرة التي يحملها على نتوءات تاجه الذهبي.

إضافة إلى خبير بالخطوط والقواعد يعيدون تركيبها كما كانت عليه أثناء جلوسه، ويعيدون الطقوس نفسها أثناء رحلة العودة من المنصة إلى كرسيه الوثير المعد لذلك في القاعة.

رفع يديه المحملتان بالخواتم والفصوص لكي يتحسس العباءة المذهبة الأطراف التي انحسرت عن كتفه أثناء تحركه، ثم أخذ بتلابيبها باليد

اليسرى ليرفعها عن الأرض وترك يده اليمنى خالية لمآرب أخرى، بعد أن نفضها بشدة لكي تخرج كفة منها كما يخرج الحلزون من الشرنقة.

ثم بدأ الكلام:

خرجت نبرته الأولى عند بدء الحديث كالوشيش، الذي يشير إلى حد كبير صوت انقطاع الإرسال في جهاز التلفاز. لكن الجميع على ما يبدو كانوا يتوقعون ذلك الصوت، وهوالناتج عن ضخ الهواء بين أسنانه التي توشك على الإطباق..

شكر الحاضرين جميعًا وبارك اجتماعهم وشكر المتحدثين قبله لصراحتهم وطرحهم الموضوعي على حد زعمه، وأشار إلى المقطوعات الشعرية، التي ألقى نظرة عليها قبل أن يصعد إلى المنصة،قائلًا، بأن بعضها في مستوى جيد، لكنها لا ترقى إلى مستوى التراث العربي الخالد، ولم يخف امتعاضه من هذا الشعر الدخيل علينا على حد قوله ويقصد بذلك الشعر الحر أوما يسمى شعر التفعيلة قائلًا:

ما عهدنا ذلك في آبائنا الأولين، وذكر أننا في معرض مصارحة ومطارحة هموم، ولسنا بحاجة إلى شعر فلسفي يكثر من الرمز والصور

الغريبة التي هي ما بين تأثير الغزو الثقافي علينا وشكل من أشكال العولمة على حد قوله.

شكر الظروف التي هيأت لمثل هذا اللقاء التاريخي الحميم، وحيا بشكل خاص أعضاء مجلس التعاون الذين كانوا سباقين لمثل هذه اللقاءات التي أفاد أنها أنجزت الكثير.

استرسل ملك الحروف الصغيرة، بلغته الفصحى التي تعلوها مسحة بدوية في النطق قائلًا:

والذي أود الإشارة إليه بعجالة، هو أن الله سبحانه وتعالى قد حبانا من الخيرات والنعم الكثيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإذا كنا نسمع دائمًا المزيد من التلميحات والتعريض بنا، فقد سمعتم ما ذكر أخونا السين قبل قليل. ولن أرد عليه إلا بقوله سبحانه وتعالى (هم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) صدق الله العظيم.

ونحن والحمد لله لم نقصر أبدًا في مد يد العون بخيراتنا جميعًا، ولجميع إخواننا المسلمين في كل مكان، فقد دعمناهم بكل ما نستطيع من المشاريع الإنمائية والمدارس والحدائق في كل أصقاع المعمورة وطبعنا الآلاف من

النسخ من المصاحف ووزعناها إلى كل مكان، ودعمنا الميزانيات للدول الفقيرة ودعمنا المجاهدين في كل مكان في الشيشان وأفغانستان وفلسطين وغيرها ونحتسب ذلك عند الله.

لكن البعض منهم، هؤلاء المجاهدين، قد قلبوا لنا ظهر المجن وأنكروا الجميل وانخرطوا في صفوف الفئات الضالة بمجال التخريب والترويع والإرهاب في هذا البلد الآمن، والذي صدق فيهم قول الشاعر:

أعلمُه الرماية كل يومٍ   فلما اشتد ساعده رماني

ولكننا لهم بالمرصاد بعون الله وتوفيقه. أما نظام الصاد الدكتاتوري الطاغية، فقد رأيتم كيف جعل الله نكاله على يد غيرنا رغم محاولاتنا المضنية لجعله يتخلى عن السلطة، وأن لا يكرر تلك الفعلة الشنيعة باحتلال أراضي حروف أخرى، وإرسال صواريخه على العدو والصديق والشقيق. الأمر الذي كان من نتائجه زيادة الصلف الإسرائيلي واحتلال جزء عزيز علينا وتمزيقه ومحاولة تقسيمه واستغلال ثرواته وجعله مرتكزًا لتهديد أمن المنطقة والعالم.

وكذلك نظام اللام الذي رفع شعار القومية والوحدة والفكر الجماهيري، البدعة، وظل يرواغ الجميع لأكثر من ثلاثة عقود، وأخيرًا أعلن استسلامه وكشف سوءاته أمام العالم مدعيًّا انه يتخلى عن أسلحة الدمار الشامل، ونحن نعرف أنه لا يوجد لديه إلا الدمار نفسه أما الأسلحة فلا، وزد على ذلك كما نعلم أنه لا يمتلك الخبرات الكافية والامكانات العلمية ربما حتى لاصلاح مجاري الصرف بشكل دقيق، واهتماماته الحربية كانت منصبَّة على شراء الألغام الفردية وتوزيعها إلى الدول العربية المجاورة.

خلاصة القول إن هذا النظام قد ابتدع سنّةً سيئة وهي ما يمكن أن نسميه الاستسلام الوقائي كرد على الإطاحة الوقائية متناسيًا قول الله عز وجل (ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) صدق الله العظيم.

وقد كنا لا نود الحضور أصلًا بوجود هذين الوفودين بيننا، لو لا إلحاح الأشقاء وتقديرنا لظروف المرحلة، وإفهامنا بتعذر أحد رؤسائهم عن الحضور، والحمد لله.

جمع الرئيس قواه، وضرب بالمطرقة الخشبية صارخًا، أرجو الالتزام بجدول الأعمال وترك الخلافات الجانبية.

هز الشين رأسه متجاوبًا، ثم أردف قائلًا:

إننا هنا في جلسة مكاشفة، لإزالة الضباب العالق في النفوس وإعادة اللُّحمة وإزالة حواجز الأوهام التي تفصلنا عن بعض، وردم تلك الهوة التي صنعها أعداؤنا لتمزيق صفنا، وهنا لا بد من الإشارة إلى تلك الأحداث التي سبقت النكبة، ونحن الحريصون على وحدة الصف وحماية مقدساتنا، ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الاستعانة بأصدقائنا الغربيين (الذين أعتبرناهم أصدقاء لمقتضيات سياسية بحته) لدرء الخطر، إنما كان ذلك بنية صادقة، أن لا ندخل في شقاق وانشقاق ونزاع مسلح أشد وأمر مما هو كائن، ونحن على علم أن منهم من يتربص بنا الدوائر بمحو ثقافتنا وتغيير مناهجنا الدراسية والنيل من معتقداتنا وشريعتنا. كان ذلك كما تعلمون بتحالف قوى الصهاينة وهيمنة القوى البروتستانية المتطرفة الأمر الذي وضعنا له حسابًا سياسيًّا مرحليًّا ونحن في حالة كهذه من الضعف، حتى ندرأ شرهم وطموحاتهم اللامحدودة.

والآن ونحن في خندق واحد، فدعونا نفتح صفحة جديدة وأناشدكم بالله، أن نمد أيدينا لبعضنا بعضًا في وجه كل من يريدون النيل من هويتنا الإسلامية السمحة، بما في ذلك أعداؤنا من الفئات الضالة الذين اتخذوا من العنف وسيلة خاطئة للحفاظ على عقيدتنا الإسلامية، ولا يدرون انهم بذلك يفسدون أيما إفساد ويجعلوننا أمام أقطار العالم مجتمع الكراهية والعنف.

كما أن قضايانا الحدودية التي صنعها الاستعمار والتي لا زالت حتى اليوم نحاول وضعها فالمرجو إدراجها ضمن مداولاتكم حتى نقطع دابر الفتن، ونسد على المعتدين منافذ الدخول إلى العمق في أوطاننا ولا نزال نؤمن بالحوار السلمي مدخلًا ووسيلة لنا في تحرير القدس من أيدي الصهاينة الغاصبين، ورأب الصف الفسطيني، واسترجاع جزر الخليج العربي على غرار جزر حنيش اليمنية التي كانت أنموذجًا يحتذى..

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

شكر الرئيس جلالة الشين ثم أمره بالعودة إلى مجلسه، فعاد بمثل ما صعد إلى المنصة، وودِّع بمثل ما أستُقبل.

الصاد

كيف يفكرون:

كان من المتوقع أن نشاهد الصاد بكرشه المنتفخ، وبمجرد المناداة على اسمه، ودوره في الحديث، كان المتوقع أن نشهده يبدأ بالتحرك، بمشيته تلك التي تتقلص وتنفرج كالحلزون المشرئب من القوقعة، ولكن للتو عرفنا، أن الصاد الثلثي الفارع قد صار في الأسر على يد القوات الغازية لكن الصاد الكوفي، وهو في الواقع أكثر عراقةً من الثلثي،من حيث الشكل، نهض واقفًا حيث مط جسمه، وقوس ذيله، وهب واقفًا ودلف بخطىً واثقة إلى المنصة.

وما إن وصل هناك حتى نطق بصوت يشبه الصرير، وكأنه تيار من الهواء يندفع من بين القواطع والضواحك بعد رفع شراع الحنك إلى أقصى مداه وارتجل قائلًا:

أيها الإخوة العرب، من بوابة الشرق، بوابة التاريخ، ومن عتبات الاختراع الأول، والقانون الأول، والسهم الأول، بلاد الرافدين، أتينا

إليكم لنحييكم ونشد على أيديكم في مواجهة ومكابدة مما نعاني منه جميعًا بسبب عدم احترامنا لبعض وعدم تشاورنا في جميع قضايانا السابقة واستبداد كلٍّ برأيه، وعدم فهمنا المطلق لقدرات خصمنا المتجددة والمتسارعة وذلك الحراك الذي لم يشهد له التاريخ مثيلًا، في الوقت الذي كنا أحياءً أمواتًا في سكون مريع مما أدى إلى اختلال المعادلة، في مواجهتنا معه وقدرتنا على التصدي كما هو مشهور عنا طيلة التاريخ من بأس وصرامة وعناد.

إن ما أحاط بنا ويحيط حتى هذه اللحظة، فيه ما يبرهن على أنه فوق ما كنا نتصور جميعًا وكشْف سوءاتنا، وقِلَّة حيلتنا أمام قوى عظمى، أحاطت بما لم نحط به، وعبأت جميع طاقاتها، وتحالفاتها، التي هي معها، في حالة متوازنة من النهوض المتكافئ، مما جعل اختراقها لنا أمرًا ليس صعبًا هذه المرة.

فامبراطورية اليوم في الغرب لم تعد كتلك الامبراطوريات التي مضت تبطش وتهدم وتستولي على الأرض والخير والغنائم، إنما هي قوى شراكة عظمى أعضاؤها هم جميع أفراد المجتمع تسيرهم المصلحة والطموح إلى تحقيق الربح وحصول المنفعة والعمل الدائب على تقوية النفوذ حتى

تتوافر لها الحصانة الكاملة لجميع مكتسباتها من أعلى مساهمٍ في البلد، والذي يمثل السلطة إلى أدنى مساهم بسيط على خانة المواطنين المغمورين.

لم نتنبه إلى ذلك كله، إلا بعد فوات الأوان، بل ولعلني أجزم أن أكثرنا من المجتمعين هنا لا يعرفون الكثير حتى اليوم عن أعدائهم بقدر ما يعرف الأعداء عنهم، لأنهم أي الأعداء متجددين، أمانحن على نفس الصورة في المظهر واللباس والتفكير طيلة نصف قرن على وجه التقريب، يجدر بنا اليوم أن لا نسميهم أعداء، فلقد اختلفت حتى مفاهيم العداوة مفاهيم الحرب، ومفهوم الحضارة ومفهوم، الكثير من المسميات والمصطلحات في الآونة الاخيرة كثيرًا عن دلالاتها في السابق. يسيطر على العالم اليوم قانون برجماتي، عملي نفعي لا يفكر بتاريخ ولا مقدسات، بل ويعلن نهاية التاريخ وبدء تاريخ جديد، وهكذا فلماذا لا نبدأ هذا التاريخ جميعنا مع من يعلنون ذلك ولم لا. ونحن كما أسلفت أول من خطَّ أول سطور التاريخ كان الجميع يبدون اهتمامًا واضحًا لكلمات الصاد التي جاءت هذه المرة على غير ما سمعه الحاضرون لعدة عقود خلت. مما شجع المتحدث أن يسترسل قائلًا:

دعوني الآن أطلعكم على هذه القوى الصاعدة من الغرب بحسب ما تنامى إلى علمنا مؤخرًّا وهي أفكار تقوم أساسًا على البساطة والمنهج العلمي واستقراء الأحداث، وكان يجب علينا معرفتها ليس أقل من قرن مضى.

١- أن القارة الأمريكية فيها من الغنى ما لم يكن يحلم به كل أولئك المغامرين الهستيريين المتهورين والفارين، ومعظمهم ممن ارتكبوا الجنُحْ والجرائم، إلى تلك القارة.

٢- ذلك الغنى والتخمة وفر لديهم عقدة امتياز وتعالٍ على الغير (نلاحظ أن معظم هؤلاء كانوا قد نبذوا مقدساتهم وقيمهم خلف ظهورهم أثناء تلك الغارة المشهودة)..

٣- ضجت المنطقة بالحركة والتنافس الشديد ونشأت فكرة الاستيلاء على الأراضي والمنافع في الجوار إما بالقوة أو بأي وسيلة غيرها، والوسائل كثيرة.

٤- زادهم ذلك قوة ومنعة، فاستقدموا العقول والعلماء من كل أنحاء العالم بعد استقدام العبيد، الذي قامت حضارتهم على أكتافهم.

٥- تلاشى عندهم مفهوم الهوية والانتماء الوطني (الذي لا نزال نتشبث به من منطلق عاطفي بحت) ونشأت فكرة الهوية المستقبلية القائمة على توحيد المصالح في الولايات وتأسّس مجلس إدارة كبير في العاصمة، ما نسميه اليوم الادارة الامريكية. فهي إذًا ليست دولة بمفهومنا السلطوي السلطاني، وإنما هو مجلس إدارة وأعضاؤه منتخبون شعبيًّا من جميع الولايات وحضورهم ليس حضور شرف إنما حضور فاعل ومشارك وتقرير منفذ، ويملكون جميعهم مؤسسات في العاصمة تشمل جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والصحية وغيرها. في تناغم كامل مع ولاياتهم المستقلة من جانب وسلطتهم المركزية الصارمة من جانب آخر والتخطيط المستقبلي أو الاستباقي، هو مهمة الجميع، ومصير الجميع.

٦- من هنا يتضح ان الروابط التي نعول عليها مثلًا نحن في لمِّ الصف العربي ووحدته أو المقومات، كالرقعة الجغرافية والتاريخ المشترك واللغة والدين، أصبحت لديهم شيئًّا آخر يلخص أسلوب التعامل معنا أو مع غيرنا من دول العالم، والعالم اليوم الناهض يتعامل معهم بنفس الأسلوب، الأمر الذي يفسر قدرتهم على النهوض إزاء هذا المفهوم الحضاري الجديد،

وعدم استيعابنا له، والذي أدى إلى تخلفنا وتعثرنا وحصول المزيد من الوصاية والنفوذ علينا وعلى مقدراتنا.

الحديث هنا، وبهذه العجالة لا يكفي وعليه ألفت نظركم إلى ضرورة تشكيل مؤسسات علمية تعنى بدراسة فكر وتاريخ كل من حولنا من أمم الأرض وتتبع خطواتهم وأنماط تفكيرهم وإنجازاتهم بإحاطة كاملة حتى نستطيع، لا نقول الصدام معهم، وإنما على أفضل حال التعامل معهم بشكل متكافيء يضمن لنا عزتنا وكرامتنا ولا يعيقنا عن بلوغ كل ما نأمل الوصول إليه.. أكتفي بهذا القدر، وشكرًا لاستماعكم.

الضاد

ضمير العروبة

قبل أن يُهِمَّ رئيس المهرجان العربي الكبير، باختتام فعاليات اليوم الأول، ليستأنف الحاضرون جميعًا في اليوم التالي، صوب نظره نحو منتصف القاعة، محدقًا بذلك الشيخ الوقور الطاعن في السن المقوس الظهر والجالس بصمت في مقعده وكأنه في حالة إغفاءة، لحيته البيضاء تتدلى على صدره، وفي يده سبحة طويلة لازوردية مرصعة، وإن كان التآكل قد بدأ في أطرافها

حدق إليه الياء (رئيس الحفل) دون أن يصرخ باسمه، وكأنه لا يريد أن يزعجه من صمته أو لمهابته، وإشفاقًا عليه وإكبارًا لمقامه.

لكنه ورغم تلك التجاعيد التي على وجهه، وتلك العباءة البالية التي ابيضت عند الكتفين من حرارة الشمس وطول الاستعمال، لكنه كان يقظًا واعيًا، مدركًا أن دوره قد حان، لكنه ولحسن معرفته بالأصول والتقاليد أبىَ أن يحرك ساكنًا حتى ينادَى عليه، وما هي إلا لحظة نادى بعدها رئيس الحفل بقوله:

والآن حان دور شيخنا الفاضل، ورمز عروبتنا وواسطة عقد أبجديتنا الخالدة الضاد، إذا أراد التحدث، ليكون مسك ختامنا لأدبيات هذا اليوم الأغر.

أومأ الشيخ بيده السمراء بعروقها البارزة، الكثيرة الالتواء تحت ذلك الجلد الأسمر الرقيق، أومأ بيده ملوحًا بإشارة، فهم منها الجميع والذين التوت أعناقهم إليه بنظراتٍ تشبه الرجاء أن يقول نعم، فَهِم منها الجميع أنه لا يريد التحدث.

في الحال انبرى من بين الصفوف أحد الضادات وهو شابٌ في مقتبل العمر قائلًا:

يا حضرة الرئيس، الحضور الكرام جميعًا إن شيخنا المبجل قد بلغ من الكبر عتيا، وهذا الوفد الكبير الذين جاؤوا معه إنما هم أبناؤه وحفدته، وأنا واحدٌ منهم فاسمحوا لي أن ألقي عليكم مقطوعة شعريه أتحدث فيها عن شيخنا الرمز.

فأذن له الرئيس مشيرًا بالتوجه إلى المنصة.

فخرج من بين الصفوف ذلك الشاب الوسيم الطلعة، الناصع الغُرَّة، بوجه يشبه البدر، يعتمر عِمّة بيضاء كثيرة الطيات بتدرُّجٍ متقن، في قلبها جوهرة ثمينة زرقاء ترسل بريقها في كل اتجاه، يتمنطق بسيفٍ مذهبٍ في خاصرته اليسرى، واضعًا كفه اليسرى على مقبض ذلك السيف أنشد على الفور، وهو يتوجه بنظره إلى الضاد الوقور:

ضَميرَ العروبةِ، يا موطِنِ الفَلْقـةِ، الأمّ،

يا منبعَ القطرةِ الأوليهْ.

لكَ المجدُ، ياحُضن كل النبوءاتِ،

يا غَضَبَ الرمّل، في سَهرِ الكونِ،

يا أيها الصّيحةُ الأبدية.

لكَ الكبرياءُ المديدُ،

على قِمَّـةِ الدهْرِ،

يا زهرة الغرسةِ العبقريهْ.

لِتَبقى مدَى الدهرِ،

يا ذلك الألقُ البِكرُ، يا أيها الهَيَدبُ الغضُّ،

واللوحةُ السرمدية.

لَك الحدُّ والعمقُ، والمدُّ والجزرُ،

والدَّفـقَةُ الأُرْغُنيَّة.

تُعـشْعِشُ في الوعيِ نبضًا،

وفي القلب فيضًا،

وفي دمِنا النخوةَ الشاعريةْ.

تَخَلَّقْتَ فِينَا من المعْدنِ الحُزنِ،

والزّمنَ البُعدِ،

لمْلَمتَ فينا الجذور،

وسِرْتَ بنا مَوجةً عنبَّريةْ.

بِقِدْرِ التلاحُمِ فيكَ، مَضَينْا، وثَبْنا،

وكنتَ لنا أيُّها من هَوِيّه.

تَغَلْغَلْتَ فينا صَفَاءً،

مَدَائنَ عِشقٍ،

سماواتِ حُلمٍ،

تُرفرِفُ بالأحرفِ السُّنبليةْ،

رَكبْتَ الحُروف كَتَاجِ اعتِزازٍ،

وسَهَمْ ارتكازٍ،

زرعتَ بها القامةَ السَّمْهَرية.

وجسَّدتَ فيها الشُّموخَ العَظِيمَ،

وكنت بها الأصلُ،

والدوحَة الأمُّ، صُلبَ القضيّة.

إليكَ انتماءاتُنا، وافتراقاتنا،

ستظلُّ بنا الألقُ المكتسي بالوجوه،

وعنقودَ صوتٍ...

يَرفُّ على الألْسُن اليَعْـرُبيّة.

وعند انتهائه من ذلك صفق الحاضرون تصفيقًا مهذبًا لمدة طويلة، ولا ندري لماذا غض الرئيس الطرف هذه المرة بل ولعله نفسه صفق مع الحاضرين باليدين وإن كان لم يُسمع لتلك الصفقه صوتٌ واضح.

الطاء ورفيقه

الطاغية:

لم نُشر من قبل إلى مكان إقامة الوفود، والحقيقة أنه كانت قد أعِدّت خيم صغرى تبعد قليلا عن الخيمة الكبرى التى تقوم فيها فعاليات المهرجان، في صفين متوازيين، وهي بعدد الوفود، وعلى أطرافها في المنتصف نُصِبَتْ خيمة متوسطة خُصِّصت مسجدًا للصلاة، وخلفها خُييْمات مختلفة للمنافع الأخرى،كالغسل والوضوء، والمطابخ والحمامات، وقد كانت تُعقد مساء لقاءات جانبية ومشاورات، ومُصالحات وخلاف ذلك من الأنشطة.

بعد افتتاحيةٍ قصيرة من رئيس المهرجان العربي الأبجدي الكبير، والتي لم تخلُ من البلاغة والإيجاز، أثنى فيها على نجاح اليوم الأول الفريد، صوَّب نظره إلى مقعد الطاء وأشار بقوله نبدأ اليوم مداولاتنا بالطاء.. فليتفضل مشكورًا، فكرر المبلِّغ كالببغاء،نفس العبارة، ولكن بصوت قوي ملأ الخيمة.

كان الطاء مكوّرًا في داخل مقعده، ولم يظهر منه إلا تلك العصا الغليظة المغروسة في بطنه والظاء بجانبه، وكأنهما توأمان، لولا تلك النقطة الصغيرة المعلقة في الهـواء، بقدرة قادر، فوق بطن الظاء لما عرفنا هذا من هذا.

ولم يكن أحدٌ يتصور كيف سينتقل الطاء من مقعده وكيف سيسير وهو بلا أقدام إلى منصة الخطابة إلاأن الحل جاء سريعًا من خادم عملاق. ما إن سمع باسم صاحبه حتى بادر إليه يحمله من عصاه ويهوي به على كتفه كما يفعل الحجَّار عندما يرفع زبرته، على كتفه.

ومن الطريف جدًّا أن الخادم وقبل أن يصل إلى المنصة انفصلت تلك العصا وسقط الطاء أرضًا ولكنه والحمد لله لم يصب بكسور لأنه مرن بل تقافز في مكانه للكرة المطاطية أو كالبالون المملوء بالماء، حتى استقرّ، فضجت القاعة بالضحك الذي أعقبه خجلُ الطاءإلى حدٍّ ما.

ارتبك الخادم وربما كان الضحك عليه أكثر منه على الطاء المقلوب، حيث إنّ وجهه قد ازداد اسمرارًا،من كثرة الخجل، فقام ووضع العصا على المنضدة ورفع الطاء من الأرض ووضعه بجانبه وكأنه ينوي أن يعيد غرز العصا بعد الانتهاء من الخطابة، إلا أن القاعة ضجت بهمهمة شديدة

وإشارات مختلفة، فهم منها أنه لا بد من غرز العصا ثانية في بطن الطاء، ولكن برفق حتى يستطيع التحدث، لكنه أساء التقديروفعل ذلك بقوة حتى سمع الناس صرخة الطاءالمعروفة.

قبل أن يتحدث الطاء أو ينبس ببنت شفه، ظل يحدق بتلك المطرقة التي على شكله، والموضوعة أمام الرئيس، دون أن يعلق على ذلك بشيء.

دوّى صوت الطاء في القاعة مجرد أن بدأ الحديث بصوت يشبه صوت الطبل البلدي، لأنه يكاد يكون الحرف الوحيد الذي يطبق لسانه كاملًا على حنكه كاملًا.ولعله ليس من اللائق هنا أن أسرد لكم ما قيل عن الطاء، من شاعر مازحًا، تسمعونها إن شاء الله في مناسبة أخرى

بدأ الطاء حديثه المكتظ بالطاءات التي ينطقها بقلقلة واضحة، حيث والطاء من حروف القلقلة في التجويد، والتي يجمعها قولك قطب جد، وكان الحديث يخلو من الظاءات، وذلك لاتفاق جانبي كان قد جرى بينهما أن يتحدث هو بالنيابة لشدة خجل الظاء وعدم قدرته على مواجهة الجمهور، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانا قد أبرما عقدًا ثنائيًّا للتكامل فيما بينهما أسوةً بالدال والذال اللذان سبقا وصرحا بذلك رسميًا، انطلق الطاء قائلًا:

طبعًا (والطاء هنا بحجم كبير) أيها الإخوة: كم يطيب لكم أن أُعبِّر بطريقة تشمل عبارات الولاء والطاعة، وأن أُطبِّل وأَزمِّر بالثناء والمجاملات، كما جرت العادة في كل اجتماعاتنا السابقة لكن هذه المرة لا..فاعذروني.

لقد طحنتنا الأحداث طحنًا، وعجنتنا عجنًا، وكشفت سوءاتنا أمام أنفسنا وأمام العالم، ونخلت أعماقنا تحت شمس القرون.

وما نستطيع أن نلخصه، طوعًا أو كرهًا، هو أنظمتنا الفاسدة حاضرًا خلفًا بعد سلف، كلها ذات طابع استبدادي دكتاتوري بغيض خيَّم على جميع أنظمتنا في المشرق العربي ومغربه، مهما اختلفت المسميات وأنظمة السلطة الحاكمة.

ولا أدري على من أكيل اللوم أولًا، على شعوبنا تلك التي لا تزال تتغنى بالبطولات وتبحث عن الزعيم الملهم، والتي لا أدري لماذا هي خاصة بهذه الحاجة الماسة لمن ينقذها ويُخرِجَ من بينها ذلك الفارس القائد الملهم الذي يملأ الأرض عدلًا،كما ملئت جورًا. من سيصنعه وأين سيجده، وعلى يد من ستكون تربيته وتهيئته.

إن زعماءنا المنظرين، المخلدين، هم سبب إخفاقاتنا وإحباطاتنا، فالواحد منهم،ينظر إلى ذلك الزخم، وإلى تلك الحركة الدائبة التي يشهدها العصر والتجديد المستمر، باستخفاف ولا مبالا يبعث على الدهشة والاستغراب، ولا يفكر إلا بمركزه كيف يحافظ عليه وأقاربه وذويه كيف ينصبهم على جميع مفاصل نظامه وكيف يجعل مقادير البلد برمتها تحت أيديهم وكأن،ضمائرهم جامدةً ميتة، وكأنهم يحكمون قطيعا من الأغنام، الأمر الذي جعل مجتمعاتهم في حالة من اليأس والقنوط،للحاق بركب اللأمم المتحضرة.

بالتفاف حاشية واسعة من المنافقين حوله، وتنابلة السلطان، وفقهاء البلاط، يتفاقم الغرور لدى الحاكم حتى يصل إلى درجة التألّه، خصوصا إذا ما تجاوز العقدين لحكمه،كما ذكر ابن خلون، حينئذ تذوب شخصية الشعب في شخصه، ويصير لسان حاله(ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)، وهذا ما يدفع الكثير من حكامنا إلى تسليم مقاليد الأمور لأبنائهم، أو من يخلفهم، ظنًّا منهم كذلك أن عنصر التميز، ومشيئة الخالق كذلك، أنما هي مغروسة في هذه السلالة.

أما من الناحية الأخرى فإن هذا الاستئثار المشين، ولعقود طويلة، لا يمكن بأية حال أن يصقل أي موهبة صاعدة أو منافسة، بل على العكس قد يتم التخلص منها بالطرق المعروفة لدينا بدءًا من التجويع إلى القمع وسلب الحرية إلى التصفية، التي نشهدها مرارًا وتكرارًا، فتصبح العقيدة قوية، من السلطان ومن شعبه، بأن هذا العنصر شوكة في طريق الأمة والمجتمع. وأنه عمل يرضي الله ويدرأ الفتنة عن بلد تتمتع بكل هذا السكون والأمان..

إنه الجدب، الجدب في كل شيء، في الثقافة، والسلوك، والمقدرات، والمقومات، وقناعتنا وحدها لا تكفي لتكون المقوم الرئيسي لبناء أمة العرب، إذا لم تكن هناك إرادة، وكذلك لاتكفي قناعتنا بأن تاريخنا هذا ينفصم عن تاريخه، وعن العصر الذي نشهده كذلك لا يكفي، هناك أُممٌ لم تقرر اختيار اللغة التي تتحدث بها إلا بعد إقرار كيان الأمة وتوطيد قواعد ممارسة الحكم.

خلاصة القول إننا نعيش الآن خارج الزمن، وخارج التاريخ، يسيطر الماضي المشوه (وليس الماضي الإيجابي) على كل تفكيرنا، والعالم من حولنا يتجدد ويتجدد ويضع لنفسه تاريخًا جديدًا ويصوغ تجارب جديدة ويتمرن

على حل أنماط أنظمة الفساد ويعجل جاهدًا على تلبية أحلام وطموحات شعوبه التي هي المصدر الأوحد للنهوض والمشاركة ولا يكرر أخطاءه أو أخطاء التاريخ،لأنه يوثق كل شيء بالإحصاء والدراسة وتلخيص التجربة كانت ناجحة أو فاشلة، أضف إلى هذا كلهم يقرأون، ويجعلون شعوبهم تقرأ وتكتب بحرية تامة وحكامهم يحكمون ويحاكمون، خلاصة القول، إن الحكام عندما يزمنون في عروشهم، ويتجاوزون العشرين سنة مثلا في الحكم، تتولد لديهم القناعة الراسخة أنهم في منزلة القداسة والعصمة،كما ذكرنا، وأنه لو كان سواهم هو الحاكم لما استتب الأمن والرخاء كما هو عليه تحت إمرتهم،كما تولدت القناعة حتى عند شعوبهم، ألتي تبدأ شخصياتها كشعوب تذوب في شخصيات حكامهم، والعقيدة أنه لا يوجد البديل ولا حتى المبرر لوجوده. من هنا فالتداول السلمي للسلطة أصبح مبدًا لايمكننا التخلي عنه، أو التراجع، وليس ذلك منبعه من رغبة الدول العظمى المهيمنة، وإنما من رغبتنا كشعوب تريد التخلص من رواسبها وتتطلع إلى التجديد والنهوض واللحاق بركب الأمم الناهضة.

العين وتوأمه

المصطلح والمفهوم:

بجوار التوأمين السابقين الطاء والظاء، كان هناك توأمان آخران أكثر تشهابهًا، وكأنهما من بويضة واحدة ومن رحم واحد، كانا يحركان رأسيهما سويًّا يمنة ويسرة لا لشيء إلا لمجرد طبيعتهما الخاصة، كأنهما نِمْسان يحرسان القطيع أو بِطْريقان واقفان على صخر ة ملساء.

هذان الحرفان هما العين والغين، أما كيف نتعرف كل واحد من الآخـر فالغين، تعوَّد أن يحمل كرة على رأسه ويمشي بها في الأسواق ليدُلَّ على نفسه وهويته المختلفة.

صعد العين إلى سُدة الخطابة منتصب القامة، فاغرًا فمه بشكلٍ ينبئ عن شخصيته تمامًا.

.كانت جميع العيون تنظر إليه وترمق شكله من فوق إلى تحت، ومن تحت إلى فوق الأمر الذي أوحى بأن النظرة إليه كانت نظرة خاصة، وغير متفقة، تنبئ عن الحذر، أو توقع المفاجأة.

فمنهم من نظر إليه كصقرٍ فاغر فاه فاتحًا منقاره المعقوف، و قد أخذ منه الجوع كل مأخذ، بل وتخيل له عينين لامعتين على جانبي رأسه الصغير، ومنهم من ذكر أنه ميكانيكي الأصل، وأن شكله هكذا لأن بينه وبين الكماشة علاقة، أما أحدهم فقد همس بإذن جاره بأن هذا الحرف المثير للجدل العميق الصوت قد ولد هكذا وأنه قد كان في طفولته لا يستطيع التنفس بسبب ورم غدي في سقف البلعوم يسمونه اللوزة الثالثة، والتي توجد عن بعض الأطفال وتجعلهم يتنفسون من الفم، وذلك لا يعود إلا لإهمال معالجة ذويه له في تلك السن البالغة الأهمية.

تعددت الآراء حول شكله ومظهره الخارجي كما هي العادة في تقييم أي شخص نراه أو يتقلد منصبًا جديدًا أو يُسند إليه عمل ما.

لم يدر في خلد الجميع أن العين قد جاء على هذه الصورة بسبب الجوع والعطش الذي تعرض له أثناء النكبة، خصوصًا أنه ولسوء حظه قد اختبأ في بلد فقير يعاني أهله من شظف العيش والجفاف، رغم أنها بجوار بلدة عربية باذخة الغنى، لكنه ورغم معرفته بذلك، وإن الآراء حوله مختلفة، فلم يكن يبالي بما يقوله الناس، كما أنه وعلى حد قوله، ليس مضطرًا لإغلاق فمه أصلًا إلا اذا دخل مع حروف أخرى في حالة اتحاد،

ليصنعوا بذلك كلمة أو جملة مفيدة كما أنه يدرك أن صوته نابعٌ من قرارة حنجرته في أسفل الحلق، ولذا فهو يحس أنه ذو أهمية بالغة بالنسبة لبقية الحروف العربية بل وهو يمثل قرارها، الذي بدأ به الخليل بن أحمد الفراهيدي في قاموسه الذي سماه باسمه.

أما الأمر الآخر، والذي تفاقم أخيرًا وجعله فاغر الفم بصورة دائمة، حتى في منامه، كما ذكر حيث تلازمه الكوابيس والأحلام المزعجة، هذا الأمر لا يتعلق بكل ما ذكر سابقًا، بل بثقافته الواسعة وتبحره في العلوم وشجاعة رأيه وتصدره المواقف، الأمر الذي جعله خطيبًا مفوّهًا، لا يخاف لومة لائم، مثابرًا على التصدي لكل ما تحس به الأمة وما يستجد في حياتها من خطوب أو خلل أو فساد أنظمة.

أما خلفيته الدينية الواعية فقد جعلته رمزًا، معروف اللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالمعنى الصحيح الخالي من التوجيه السلطوي، والملتزم بآداب الدين وتعاليمه، وقد ذكر لنا زملاؤه أنه ينطلق إلى منصة الخطابة فجأة عند وجود أي مناسبة احتفالية ولو لم يكن اسمه مدرجًا في قائمة الخطباء، ليفاجئ الجميع بفكرة هامة أو طرح لقضية تهم الجميع ولا يجرؤ أحدٌ على الحديث عنها، وأن طرحه دائمًا كان لا يخرج عن قواعد الأدب،

لأنه يصـوغ النقد بشكل أدبي مؤثر، ودون خشيةٍ مما سيحدث له بعد ذلك، والغريب في الأمر أنه ورغم ذلك كله فعلًا لم يتعرض للإهانة ولا حتى للسجن. بل حظي حتى باحترام مراكز السلطة العليا، ربما لأنهم كانوا لا يجدون القول الصريح والرأي الواضح إلا من لسانه، لأنهم على ثقة أن المتزلفين والمنافقين كثرٌ في مجتمعاتنا ورجال السلطة أحيانًا يعرفون ذلك تمام المعرفة، ويحبون أحيانا أن يبرهنوا عن إعطاء المواطنين مساحة من الحرية،لاستثمار ذلك وقت الحاجة.

أماالخطاب الواضح السليم الفصيح القول فقد لا يختلف عليه اثنان، خصوصا إذا كان يعبر بلسان الحاضر الواقعي، ويتطرق للمرحلة القادمة ويسبُر أغوارها فهو بذلك فعلًا يرقى إلى مستوى التأثير والإقناع وربما أحدث التغيير.

وعلى سبيل المثال نقتطف ما طرحه خطيبنا العين عن الموضوع المشار اليه آنفًا، وهو حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أشار إلى أن كثيرًا من الناس أو الوعاظ،يتحدثون عن ذلك بشكل روتيني في خطبهم، وربما يقصدون بذلك، تلك المنكرات التي كانت تحدث في أزمنةالماضي، وقد لانجد إلا بعضها اليوم، بل ونجد منكرات أخرى،ربما تفوقها، وقد

تكون أكثر خطورة منها، ولكل زمان منكراته وعيوبه، إذا توخينا الإنصاف، وإن كان لا يوجد اختلاف كبير حول مفهوم المعروف الذي يشمل القيم الفاصلة في كل زمان ومكان، إلاّ أن موضوع المنكرات في عصرنا هذا، قد تغير، فقد تعددت أشكالها وأسماؤها ومظاهرها وطرق اقترافها في هذا الزمن الذي نعيشه، وكثير منا يجهلون أنها منكرات يحق النهي عنها. وذكر أن كثيرًا من دعاة الإصلاح والجمعيات الخيرية وحتى بعض الأحزاب السياسية عندما يتبنون معارضة جادة أو ينشرون إصلاحًا اجتماعيًّا فهم بذلك يأمرون بمعروف وينهون عن منكر، وإن اختلفت المسميات والمصطلحات.

كما أشار إلى أن هذا المفهوم قد توسع وتعددت أشكاله نتيجة لتوسع العلوم والثقافات والتخصصات المهنية، مما أوجب على الجميع النظر إليه كل من واقع مهنته وتخصصه حتى تتكامل الفائدة، دون الركون على هيئة ما أو جهة ما هي المسؤولة فقط عن ذلك، فالطبيب مثلًا يرى أشياء منكرة في الممارسة الطبية، وعليه النهي عنها ومحاربتها وكذلك المهندس، والإنشائي والزراعي والمفكر السياسي، وحتى أصحاب الحرف والتجار وغيرهم، فليس المعنِى بذلك الأمر هم الفقهاء والقضاة الذين وفي كثير

من الظروف لا يجب التريث حتى نحصل منهم على الفتوى، وعن أشياء قد لا يفهمونها أنفسهم.

ثم ضرب أمثلة كثيرة على ما يردده بعض الخطباء من عبارات وأحاديث وآيات قرآنية، هي في عمق الدلالة ما هي،لكنهم يلقونها بطريقة السرد الروتيني وكأنها فارغة من المحتوى. فلا يجد المتلقي صلة بينها وبين واقعه المعاش ولا صلة بما يقوله العوام والصحافة ووسائل الاعلام وكأن هذا شيء وذاك شيء آخر وهكذا في كثير من أساليب الخطاب الوعظى والذي من حيث التقديس للنص لم يزل قائمًا إلا أنه من حيث الدالة أصبح فارغ الجوف خالٍ من المحتوى.

ولما أثار المتحدث تساؤلًا عن علاقة ذلك بحالة الخطيب أو المثقف عمومًا الاجتماعية والمعيشية. أفاد أن السبب يكمن في ذلك.

فظاهرة التلازم بين المثقف والعالم والفقر والعوز أصبحت ماثلة للعيان والإهمال الذي يتعرض له هؤلاء جميعًا من الجهات القائمة بالأمر، هي المسؤولة عن ذلك، والدليل على ذلك هجرة العقول الخلاقة والمعارضة والإبداعات المختلفة إلى الخارج لخدمة الغير ومنها تلك البلدان التي عادت علينا بالوبال والتفكيك كما حدث في الأحداث الأخيرة، وأن

الفئات العارفة المتبقية والتي لم يتسنّ لها الرحيل فقد ظلت في أوطانها محاصرة مراقبة وتتعرض للقمع والإجبار والاتهام، والزندقة طول فترات تاريخنا الوسيط والحالي، ولا أدل على ذلك من جنوح بعض العلماء للتصوف المغالى فيه والهذيان وادعاء الجنون أو الإصابة بالسكتة، أو الحبسة،لأحداث التوازن بين الواقع والفهم من ناحية والثورة والتمرد النفسي الداخلي من جهة أخرى.

تنقل الخطيب من نقطة إلى أخرى ومعظمها على ارتباط بعضها البعض وركز في آخر طرحه على ضرورة إعطاء المثقف والعالِم الاهتمام الكافي وتأمين العيش الكريم له حتى يقود الأمة إلى طريق الصلاح والنور والهدى.

خلاصة القول إنّ حديث العين لم يكن بالسهل، فقد كان يتعتع بالحروف أحيانًا بسبب سرعة توارد الخواطر الكثيرة إلى ذهنه، وربما بسبب آخر هو لغيرته الشديدة على الحق التي يحاول أن يُظهره بذلك الإندفاع ليستقر كما يتصور في أذهان المتلقين. كما كان أحيانًا يلجأ إلى الرمز كما فعل النفري والحلاج والبسطامي من أقطاب الصوفية،رغم أنه لم يكن متصوفًا أبدًا قط وإن كان معتزليًّا أوإشتراكيًّا بالمعنى الذي رسمه لنفسه.

كان يعي أثناء خطابه أن معظم الحاضرين لا يفقهون، أو صمٌ بكمٌ أو أجـدر أن لا يفقهـوا أو على قلوبهم أكنّة، أو في آذانهم وقر، أو على قلوب أقفالها ـ كما أورده نصًّا باستشهاداته أثناء الاندفاع موضحًا أن الخطاب القرآني المتهجم هو شكل من الغيرة على الحق وعلى ضرورة الفهم وإن الحديث كان موجهًّا للعرب مسلمين وغير مسلمين.

واصل حديثه بهدوء وثقة، وعلى أساريره شيء من التشفِّي وإحساس بروح الثأئر والعزاء، لكن ذلك لم يدم طويلًا.

فما إن بدأ بذكر بعض الرموز والشخصيات التاريخية، والتلميح إلى سخافة بعض الفروقات المذهبية الفرعية التي شحنت الأمة بروح التوتر والصراع المذهبي والطائفي. هنا ساد الهرج والمرج في صفوف الحاضرين، وارتفعت معه الأيدي وبدأ التنابز بالألقاب والعبارات النابية التي وصلت حد الشتم والسباب والتهديد، ومن العجيب أنه وبسرعة فائقة تشكلت طوائف مصغرة تعكس واقع الطوائف الكبيرة في المجتمع العربي جعلها تتجادل مع بعضها بعضًا، والسبب ليس كلام خطيبنا وحده بل وكأنها فرصة أتيحت، يحاول كل فصيل انتهازها هكذا جزافًا متناسيًا أهمية، وجلالة، وهيبة،هذا الحضور الفاعل.

كل هذا دفع القاضي الذي هو رئيس المحفل إلى الطرق بشدة والتهديد بطرد كل من يرفع صوته إلى خارج القاعة وأمر المتحدث بالمواصلة ـ

إلا أن العين وإشفاقًا منه على تردي الموقف وتفاقم النعرات الدينية التي لم تظهر بتاتًا خلال المداولات السابقة اكتفى بكلمة ختامية شكر الجميع وتمنى للجميع النجاح والتوفيق وعاد إلى مقره.

وقد فات أن نذكر أن حديث العين كان بالأصالة عن نفسه ونيابة عن الغين الذي أعلن خلاله تشكيل تكتل ثالث تجاوبًا مع التشكيلات التي سبقت.

الفاء

السلف..والخلف

لم نتمكن من رصد كل ما يجري في هذا المهرجان الكبير من فعاليات على قدر كبير، مكتفين بإيضاح الفكرة الرئيسية والتي قد تعود بالفائدة، ونخلص بشكل إجمالي مدى جدية هذا الاجتماع التاريخي، الذي يختلف عما ما سبق من اجتماعات قمة للحروف العربية المتنفذة.

ما إن صعد الفاء، بعد المناداة على اسمه في قائمة المتحدثين، ليتحدث على رؤس الأشهاد، حتى لفت أنظار الجميع بشكله وطلعته البهية التي كانت إحدى مفاجأت هذا الحفل الكرنفالي الكبير.

تحرك من مكانه بتؤدة وخيلاء، يجرُّ ذيوله خلفه، ورائحة العطر العُشبي المركّز تفوح من جلاليبه، وانطلق خلفه على الفور لفيفٌ من الفاءات الصغيرة تقرع الدفوف وتسير أمامه وخلفه في صفين، تشيّعه إلى المنصة، ولم يظهر حينها أي اعتراض حتى من اللجنة التي تدير الحفل، لأنه وكما أوردنا سلفًا منذ افتتاح الفعاليات يسود جو ديمقراطي من الجميع أعطى

مساحة واسعة من الحرية للجميع كي يظهر كما يريد، أو أن يعبر كما يرغب.

كان الفاء بارزًا بين صفوف قارعي الدفوف بعمته البيضاء المائلة على طرف من رأسه، ومنحسرة على الطرف الآخر، كالذي نعرفه عن شكل حرف الفاء فعليًّا، يلبس جُبّة طويلة الأكمام التي بدت فوهتها كأعرض ما تكون الأكمام، وتحتها عدة طبقات من القمصان، لايتسنى لأحد حصرها، ولا الغرض منها، ولم يكن حينئذٍ حتى تدنٍّ في درجة الحرارة إلى هذا الحدّ،

يمسك سبحة مُسودةٍ لونها..، تتدلى حتى الأرض،ضخمةٌ حباتها، لا تقل عن حجم حبات الليمون، ومسواك طويل مغروز في تلك العِمّة، والتي تتدلى من خلفها عَذَبةٌ طويلة حتى أسفل الظهر.

مظهره هذا وموكبه التقليدي، ذكرنا بأولئك الأئمة الذين كانوا يحكمون المخاليف اليمنية، ويتقاسمون تلك الأراضي الشاهقة الجبال، والغائرة الأودية الوعرة المسالك، والذين كان كل منهم يدّعي الإمامة الشرعية، ويلزِم الجميع بالدعاء له والخضوع لسلطانه وحمل الزكاة إليه وما يرغبون فيه من هدايا لتنالهم البركات وليجدّدوا له فروض الولاء والطاعة.

لابد أن نذكر هنا أن إيقاع الدفوف ونقرها المتقن جرّ ذاكرة الحاضرين جميعًا إلى تراثهم البدوي القديم، ولا شك أنهم قد استمتعوا بذلك.

بعد ما وصل إلى المنصة، ترنح قليلًا وهو يتأفف تصنعًا، وكأن سمنته قد زادت عن حدها، لدرجة أن الوسائد الشحمية قد بدت واضحة للعيان في قفا رقبته، تحت قصَّة شعر رأسه الحليق.

عوذب وبسمل وحوقل وتشهد وصلى على النبي صلى الله عليه وعلى آله وبدأ خطبته ببعض الأحاديث المأثورة التي درجنا على سماعها عند بدء خطبة الجمعة، والتي يكاد يحفظها عن ظهر قلب معظم السامعين والتي غالبًا ما تنتهي عند كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، رُغم أن معظم السامعين لا يستطيعون حتى الآن التفريق بين كلمة إبداع وبدعة بمصطلحهما الفقهي حتى الآن.

توالت بعد ذلك الكثير من المحسنات البديعية الطنانة، التي يترك بعض الخطباء لأنفسهم المجال لابتداعها، وحتى اختراع أدعية غريبة هي أقرب ما تكون إلى سجع الكهان، ولا نحكم هنا طبعًا بسوء النية أو الحكم على السرائر فهي لله يزكي بها من يشاء، وإنما نشيرإلى أنّ مثل تلك الأوزان،لم تكن مألوفة في كتب السنة أو في كتب العلماء الأفذاذ الذين

تركوا لنا أمهات الكتب وتعلمنا منهم البلاغة، والإيجاز والتدقيق والتمحيص في نقل ورواية سند الحديث، ولم تكن حتى على غرارالأشرطة المسجلة، التي نسمعها في المركبات العامة، رغمًا عنا، من باكورة الصبح وهي تصف أحوال الموت والقبر وتحثنا على العطاء ونحن لا نزال نتمتم يافتاح يا كريم . حيث إنها تجعل من هذا الدين العظيم دين العزة والقوة واليد العليا دينًا يبعث على الرثاء، ويفتقر إلى الإشفاق.لم تكن محسنات الفاء البديعية التي أشرنا من هذا النوع، بل بدت فصيحة سليمة تحمل الدلالة، وتؤكد ثقافة المتحدث.

هذا ما كان في أول الخطاب الذي جعله الفاء كـــذلك ربما إرضـــاءً للذوق العام، وجريًا على عادة الخطابة السلفية،، والتي هي فرصة فإنها كافية لترسيخ مفهوم الدين في الأذهان والتذكير به، و طريقة سردها بتلك الصورة المتأنية جعلها تستقر في الأذهان وعودة إلى كلام المتحدث،قلنا إنه قد جاء في خطابه، ما ورد، لكنه فاجأنا بعد ذلك بحديث ينم عن ثقافة واسعة وطرح مفيد، وربما بعد ذلك لما لاحظه من مناخ جاد في ما سبق من طرح.

يتصف بالجدية، تطرق إلى أفكار جديدة ذات صلة بالواقع الانهزامي الذي نعيشه، محللًا أزمة العقل العربي من جذورها في قصة اللغة العربية، وقصة الإيمان، والصراع الفكري مبتدءًا، من فكر السنة والجماعة إلى أصحاب الرأي والحديث، وظروف نشأة الفكر الشيعي، والالتفاف عليه من الثقافةالفارسية،، كما تحدث عن الصوفية وصلتها بالرهبنه الهندية الأصل، و فكرة العصمة، أو الإمام المعصوم وعلاقتها بالهندوسية والحكماء السبعة، وماثلا ذلك من صراع العقل والنقل وما يلي ذلك من ظهور العديد من الفرق التي دار اختلافها في مجمله على موضوع التأويل والفهم الشخصي لزعماء تلك الفرق نتج عنه ظهور مدارس فكرية قائمة بحد ذاتها، دينية الطابع لا تشير إلا قليلًا لمعالجة مستجدات حياة الأمة المتواصلة،رغم الحرص منها جميعًا على ادعاء سنة الرسول المصطفى، عليه أفضل الصلاة والسلام.

ألمح بعد ذلك إلى طرح تلخيص لأهم ما أورده أئمة السلف الصالح من اجتهادات نافعة مذكرًا بأن بعض الأنظمة السياسية حينذاك لم تتبنّاها أو أنها تبنتها في البدء وما لبث أن عاثت في الأرض فسادًا بعد ذلك باسمها.

خصص جزءًا من خطابه للحديث عن السنن والمقاصد، وركز على توضيح المعنى الحقيقي للحديث المشهور اختلاف أُمتي رحمة، مذكرًا أن هذا الاختلاف ما هو إلا بمعنى إثراء الفكر الإسلامي وتجديده كما أورد الحديث عن أولئك المجددين، ويتضمن كذلك حرية الفكر والرأي والعقل، وأوضح الفارق الكبير بين معنى الاختلاف، والخلاف أو الشقاق، ودلّل على أن الإسلام هودين العقل.

أورد الخطيب بعد ذلك ما يشبه دراسة مقارنة تاريخية للمذاهب وتأريخ ظهورها والظروف الاجتماعية والسياسية التي عاصرت ذلك، مؤكدًا أن الأمة الإسلامية على مدى تلك القرون عاصرت العديد من الأحداث، لأنها كانت تمثل حالة الحركة والديناميكية في المجتمع الإسلامي بكامله، التي أدت إلى ظهور المستجدات المستمرة، منها ظهور تلك الفرق التي اختزلت كل منها تجربة زمن معين وأحداث معينه. وهي تكوِّن بذلك خلفية معرفية هامة لتراثنا نستطيع الرجوع إليها متى ما حاقت بنا مثل تلك الظروف والأحداث. أما الفكر الإسلامي فهو باق في الأرض مهما أحاطت به الظروف والأحداث، وأثبت أنما تغير في حياتنا ليس إلا الاختلاف على مناهج العمل والتطبيق التي لو أخلصت النوايا

لاستطاع المجتمع الإسلامي أن يجعل لها تسوية منهجية يتفق عليها جميع الفرقاء.

وبهذا الفهم وحده نستطيع أن نفهم أن اختلاف الأمة رحمة لها، وهذه الخيارات الفكرية يجدر بالجميع استغلالها وترك التعصب الأعمى والنعرات جانبًا عن طريق تثقيف الأمة من المنبع الصحيح للإسلام، كي لا تزيغ بهم الأهواء ولا تلتبس بهم الألسنة، وهكذا لم يزل يسترسل الفاء في حديثه، مشيرًا إلى أن معظم الأمم والثقافات لم تخل منها تلك الأجنحة المسماة باليسار واليمين والوسط التي أشار إليها جلالة الثاء، وأن براعة الأمة تكمن في تغليب ذاك الجناح على الآخر لمواجهة ظرف بعينه.

كما أنه لم يتحرج من ذكر بعض المذاهب الباطنية وما طرأ عليها من انحراف وميول نحو المثالية العرفانية العروبية القديمة التي جاءت امتدادًا للفكر الفيثاغورثي الأفلاطوني المرتكز على الخيال والتمني،، وكيف أنه قد نشأ ردٌ على ذلك في الفكر الظاهري في المغرب العربي، والذي من حسن حظه أن السلطة آن ذاك اعتنقته وتبنّت أفكاره،ما أيّد ذلك ظهور العالم النحرير ابن رشد، الذي أسس أول مدرسة علمية / دينية كانت هي الأساس في بروز النهضة الأوربية الحديثة وما توالى منها حتى يومنا، بردِّهِ

العقلاني المنصف على التهافتات القديمة وإنكار الأفكار البالية العتيقة، وجعل العيون تنظر إلى ما تحت أقدامها بدلًا من التطلع المستمر في السماء وعالم الغيب والبحث اللامتناهي عن الذات والصفات، والاكتفاء بما أشار القرآن الكريم، وعدم الإسراف في الترهيب الذي قد يصيب البعض بالإحباط والقنوط والذلة.

من المفيد في مثل هذا الطرح، هو تسليط الضوء على حركات التجديد من عند ابن القيم الجوزيه إلى عصر ابن تيمية إلى زعماء الفكر الإصلاحي مثل محمد عبده والكواكبي وجمال الدين، مؤكدًا على بروز قمم علمية فقهية كبيرة، تحلّت بروح الشجاعة والإقدام والثبات على الرأي والغيرة على الدين من زحف الفكر الغربي ـ خصوصًا منه ما يتنافى مع قيمنا الإسلامية. الأمر الذي نكاد نفتقره في مثل هذه الأيام، ونحن في أشد الحاجة إليه ـ ولم يغفل المتحدث عن دور الاستشراق والمستشرقين الذين نخلوا تراثنا الفكري والإسلامي نخلًا دقيقًا وصاغوا منه معظم قوانينهم ونظام حياتهم بما رأوه من تعديل يناسب مجتمعاتهم وعلمانيتهم القائمة على فلسفة الحرية بحسب مفهومهم، وحقوق الإنسان والمصلحة أولًا لبلدانهم فوق أي اعتبار عقائدي، وحاكمية الرأسمال والذي ترسخ بعد

ذلك، خصوصًابعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء ما سموه الحرب الباردة.

ثم ختم حديثه عن الأحزاب السياسية من بدء حركة الإخوان المسلمين وكيف ظهر مصطلح الإسلام السياسي من خارج الإسلام، وكيف ظهرت نظائر مختلفة الطابع ومتفرقة في الجوهر، الأمر الذي يشبه ما حدث في صدر الاسلام عندما زادت حركة وفعالية المجتمع، فالركود والخنوع الكامل، لا يولد حركة ولا يُوجد معه اختلاف، وأشار إلى ما تعرض له الفكر السلفي الحديث، خصوصًا في مرحلة التأسيس وما يتعرض له مـن مؤتمرات وهجوم في الداخل والخارج مما جعله يعيد النظر ويتبني خططًا عملية رديفة للفكرة القائمة على(عدم صلاح الدين إلا بما صلُح به أوله)، وكرّر ضرورة اعتصام الأمة بحبل واحد، الأمر الذي يمثل أولًا فكرة الدين الإسلامي القائم على قوة الجماعة والتي تمثل الأيديولوجية الحقيقية لكياننا والاستراتيجية التي يجب أن يبنى عليها تصورنا للمستقبل.

بدأ رئيس الجلسة يتململ في مكانه، إلى أن امتلك الشجاعة الكافية لتنبيه المتحدث عن ضرورة إعطاء الفرصة للآخرين ومراعاة الوقت رغم

الاستحسان الظاهري لما أبداه و طرحه الفاء من دروس ومواضيع ذات أهمية بالغة، وقدانتبه الخطيب إلى ذلك وسرعان ما اختتم كلمته بادعية مقتضبة مأثورة ركز فيها على خير الإسلام والمسلمين وصلاح الدنيا والدين ولم يتجاوز ذلك إلى الدعاء على الكافرين بالمحق والتمزيق وتجميد الدماء في العروق ولا على أطفالهم ونسلهم، وبشّر بانتعاش صحوة اسلامية حقيقية مؤكدًا على أن المحن هي التي تصنع الشعوب وتوقظها، ثم حمد الله وشكر الحضور، وأصلح ما سقط أو تدلى من هندامه، وعاد بموكبه التقليدي الغريب إلى مكانه ليزرع ابتسامة جديدة في وجوه الحاضرين، بعد الإجهاد الذهني الذين بذلوه لتتبع كلماته وإشاراته، الغريب في الأمر ورغم هذه المكاشفة والصراحة،لم يحدث هرج ومرج،كما حدث عند إشارة حرف العين إلى ذلك، ولعل ذلك لايعود إلاَ إلى حسن تدربه على إلقاء الخطب، وإلمامه الواسع بنفسياتهم.

القَاف

الفارس الفقيه :،

نودي على القاف، الحرف الحديدي المشهور، هكذا بكنيته التي أطلقها عليه رئيس المهرجان، مضيفًا إليها، غير القابل للكسر أو الخدش.

فانتفض من مجلسه واقفًا بجسمه المقوس الصلب اللامع، بحلّةٍ معدنية بدت كأنها مكونة من دوائر وحلقات متراصة في طبقات.

يلبس لامّة الحرب، الدرع والزرد، ويعتمر خوذةً في رأسه، يبرز من قمتها قضيب مكون من كرتين العلويه أصغر من السفلية وتنتهي بشكل مدبب، تكاد الخوذة تخفي رأسهُ ووجهه كاملًا عدا العينين، ولولا المناداة باسمه لما عُرف من هو.

خلف رقبته صفوف من السلاسل الدقيقة الصنع، التي لا يقل وزنها عن بعض الكيلو جرامات خصوصًا وأنها تنفرد على كتفه وبعض جوانبه، كان يقبض في يده اليمنى رمحًا أسمر أطول من قامته، وفي يده اليسرى درقة مطرزة دائرية كتب في قلبها بحروف بارزة (الله أكبر)، شَعر الجميع،

وكأنه عاد للتو من معركة اليرموك أو القادسية وأن في داخل ذلك اللباس إنما يختبئ خالد أو المثنى أو القعقاع أو ربما عمر بن معد يكرب الزبيدي.

ظلت العيون تلاحقه، وهو يسير بما يشبه المرش العسكري محدثًا جلبةً بما عليه من سابغات.

ودون مقدمات إنشائية، وعبارات ترحيب نمطية، ودون آيات الشكر لإتاحة هذه الفرصة،

انطلق القاف قائلًا:

أيها الإخوة: إن ضعفنا الشديد هذا، وفشلنا المستمر في إدارة الأزمات إنما يرتكز على عدة عوامل أولها:

تفريطنا الشديد بلغتنا العظيمة وما نتج عن ذلك من خلل في فكرنا ورؤيتنا للأمور، والذي أستطيع أن أسميه إفلاسًا حقيقيًّا. كيف يحدث ذلك وبين أيدينا تراث حضاري إسلامي هائل،

هو أول من أسس البنية التحتية المتكاملة لحضارة الغرب، والحضارة العالمية الحالية، وبين أيدينا قرآن بيِّن، فيه من الآيات مايحرر العقل

ويصقله، ومايدفع بالتحرر إلى الذروة، وما يحقق العدالة والمساواة إلى أجمل صورها، وما يجتث الظلم، ويجففه في منابعه.و هو أقوى من من أسلحة القمع والإرهاب، وتوازن الرعب. .. قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

ماذا تحسون عند قراءة هذه الآية. هل تشعرون بالنعاس أم باليقظة على أعلى مستوياتها! ارجعوا إلى القرآن وتتبعوا كم وردت كلمة قل، وقالوا، وقالت وقلنا، لِتعرفوا أن البدء كان هو القول، والقول قد حدث فماذا بعد القول غير العمل والإنجاز ؟؟

اجتماعنا اليوم وعلى هذه الصورة يدفعني لأكون أكثر صراحة وأكثر وضوحًا معكم.

إن آيات النفاق والتي وردت في الذكر الحكيم هي من أكثر الآيات ورودًا وتقريعًا وتحليلًا وتوعدًا، والمنافقون هم أكبر شريحة نالت هذا القدر من الآيات لنسأل أنفسنا أولًا لماذا أرسل الله كتابه بلغتنا واصطفانا بحمل هذه الرسالة العظيمة؟ ولماذا هذا السيل من الآيات التي نزلت تتوعد المنافقين والكافرين والكاذبين؟ وإلى ما هنالك من الصفات البشرية المقيتة، هل لأن كل تلك الصفات هي موجودة فينا فعلًا، وعلى وجه

الخصوص، هل نحن المعنيين بقوله تعالى مرارًا لا يفقهون لا يعقلون، لا يعلمون، أم انها دعوة خاصة لنا وللناس كافة بعد ذلك؟ أجيبوا عن ذلك بأنفسكم.

بالمناسبة كانت شخصية القاف،كما تعرفنا عليه في مقر إقامته،من الشخصيات الوسيمة المهيبة الطلعة،عظيم الحنجرة، وصوته القوي كان يكفي ليُسكتَ أي متحدث بمجلسه،لا لنبرة صوته فحسب، فقد كان لا يحبُّ المقاطعة، ولايتكلم إلامجوِّبًا، بل أنَّ حضوره القوي كان يكفي لزرع المهابة في نفوس الآخرين حتى قبل أن يتحدث.

إلى متى هذا الصمت، واصل حديثهُ بشيءٍ من الانفعال، والبُعد عن كل ما هو مفيد، والثرثرة المتواصلة في كل ما لا يفيد. ليس عندي ما أضيفه وبين أيديكم هذا التراث الأغنى، ولا يزعمن أحدٌ أن رسالة الإسلام توقيفية، أوقفت ساعة الزمن وجعلت أول الزمان هو آخره، وجعلت حياة البشر بموجب أجندة الوحي من السماء، أنما زعم ذلك وروّج له هم حكام السوء، وخلفاء الضلالة، فأنتم أعلم بشئون دنياكم كما قال المصطفى الذي جعل العقل دستورا، والعمل والإنتاج منهاجًا، والذي أمرنا بالتذكير والتواصي الذين نحن جميعًا ملزمون به، ونحن جميعًا

نحمل أفكارًا جديدة، وفلسفةً مقتبسة من تلك التعاليم نريد أن ندير بها حياتنا العصرية، ونطرح التساؤل، والتساؤل، و الأجوبة بعد الملاحظة والتجريب ستأتي بالحلول الناجعة (والذين اهتدوا زادهم هدًى) ، وإذا كان منكم من لا يعرف، ولا يريد أن يعرف فالأجدر به ألا ينتسب إلينا أو يتحدث باسمنا.

لست هنا لأكيل التهم للبعض وأنفيها عن البعض الآخر، أو لأضع اللوم على أحدٍ معين، فاللوم كل اللوم علينا جميعًا جماهير الحروف العربية، حاكمةً ومحكومة، حاكمين مصابين بداء الشهرة ولا يحلمون إلا بالسير على سجادة حمراء أينما توجهوا، ومحكومين مـرغمين خائفين لا يحركون ساكنًا ولا يسكّنون متحرّكًا.

لست بصدد أسئلة لم تطرح أو صياغة تهافت جديد على التهافت أو مداخلات ليس الغرض منها إلا نقض ما سبق وفحواها ليس إلا، القول: نحن هنا. كما أني لا أريد الجواب الفوري على هذه التساؤلات ولا حتى إنّ ما عقب هذا المهرجان مباشرة، إنما آمله، هو أن أرى ذات يوم تطبيقًا عمليًّا يحمل معنى الجواب، وإجراءات فعلية لما يستقر منها في خلدكم،

حتى لا تحكم علينا الإجيال القادمة بالغباء والانحطاط الذي سبقه انحطاط لم نكد نخرج منه.

إننا ننظِّر أيها الأخوة وغيرنا يستفيد من هذا التنظير، هل هناك ما هو أعجب من هذا؟ نحن أمةٌ تجارتها الكلام، وزادها الكلام، وعتادها الكلام، وسلاحها وثقافتها نصوصٌ ومحفوظات دينية بحتة واتكالية، سلبية،لا تؤثر فينا ولا في دوافعنا ولا تقوى على تطبيق صيغة أحكام وقوانين تخدم الحياة، وتواجه المستجدات، وهي بالطبع لن تتفق مع نصوص الدين الذي ما أتى إلا ليعلمنا كيف نحيا أصدقاء، ونعمر الحياة، ونستفيد من تسخيرها.

هل نحن في إزاء هذا بحاجة إلى مناهج وخطط نلخصها في ١،٢،٣ من الخطوات ؟ نعم فلقد سئم الكلام من الكلام.

وسئمنا من أنفسنا ومن أصواتنا وحركاتنا البهلوانية بالأيدي والأرجل والتي لا تعكس إلا عجزنا وإحباطنا اللغوي.

إن لغتنا التي نحاول تنميقها الآن، هي غير اللغة التي سنتحدث بها في الكواليس، وغير اللغة التي سنتحدث بها بعد أن نخرج من هذه القاعة،

أي أنها غير اللغة التي سنقِّيم بها ما سمعناه هنا والتي سنشرح بها بعد عودتنا إلى أهلنا وذوينا ما حصل بالضبط، كما أنها وهذا هو الأهم هي غير اللغة التي تحدّث بها آباؤونا وأجدادنا وأصحاب المواقف التاريخية العظيمة. وهي غير اللغة التي نخطُّ بها حروفنا على الأسطر. إننا، وهذه الاجيال بالذات، أقل أمة في العالم خدمت لغتها، ولولا القرآن الكريم الذي حفظها لنا لكانت قد أصبحت عشرات اللغات غير المكتوبة.

لقد رفض ثلاثة زعماء فكر فرنسيين حضور مؤتمر وطني يقررون فيه البقاء أم الخروج من الجزائر، لوجود أخطاء إملائية في نص الدعوة ؟؟ ونحن نتحدث مع الأجنبي في بلدنا بلغة مكسرة أصلًا ونزيدها تكسيرًا، مدعمةً بحركات الوجه والأيدي، والأرجل، حتى نصل إلى مستوى التفهيم، أيّ عزّةٍ نحمل وأي ثقافة نملكها. ليس القصد هنا تحقير الذات وتسفيه الأمة إنما البحث عن عيوبنا أولًا، واعترافنا بها ثانيًا ثم معالجتها ثالثًا.

ما نريد قوله إنَّ علينا واجبٌ كبير وأمامنا أعمالٌ كثيرة يجب أن ننجزها لكي نتلافى المزيد من الضياع والخسران.

هلا سألنا أنفسنا ما ردود أفعال أطفالنا وشبابنا المراهقين على كل ما يسمعوه منا ومن أجهزة إعلامنا؟ وكيف بالإمكان أن نكون لهم قدوة حسنة، وكيف نعزز انتماءهم إلينا وإلى تراب أوطانهم وثقافتهم لنخلق فيهم الطموح لمواصلة المسير وتحقيق ما عجزنا نحن عن تحقيقه، والنهوض بأعباء الأمة بهمةٍ عالية ؟! ونحن لا ندري بعد أي طريق نسلك أو إلى أي حليف نرتمي إن أبناءنا، وأولادهم يبحثون عن تلك القدوة، ولما لم يجدوها فينا فسيذهبون إلى مثل أعلى آخر، لا يوجد في محيطهم وهذا ما أصبحنا نشاهدهُ فعليًّا. لقد أصبح الكثير من أبنائنا ينظرون بإكبار إلى الآخر ويحلمون بالهجرة إليه، لما يتمتع به من حرية وأمان ورفاه، وعلى وجه العموم: ما هي الأزمة التي نعاني منها فعلًا ؟ هل هي أزمة عقل وقصـور في أدمغتنا أم هي أزمة لغة وانفصام ثقافي لغوي أدى إلى قصور عقلي نسبي أو تخلف عقلي حقيقي أم أنه لا هذا ولا ذاك وإنما هي أزمة موروث ثقافي وسياسي، أم ديني/ سياسي، وهل هو شائه في الأصل، أم وصل إلينا مشوهًا ؟؟

إننا نتحدث الآن بخطاب يكاد يتقارب، فهل نتحدث ا لآن كعرب، أم كمسلمين، أم كبشر.. هنا وقبل الجواب، لا بدّ من طرح سؤال تمهيدي

هل نبدأ بإصلاح الأسرة حتى يصلح المجتمع ؟ أم نبدأ بإصلاح المجتمع حتى تصلح الأسرة ؟ وهل نبدأ بإصلاح أحوال الأمة أولًا ثم إصلاح حالتنا كعرب مسلمين أم العكس ؟ أم نقسم الجهد، جزءًا هنا وجزءًا هناك؟

هل نستطيع أن ننفي عنا صفة التعصب والأنانية الفردية وهي مكرسة في أعماقنا حتى الثمالة. أو بعبارة أخرى هل نحن مجتمع تعاوني كاليابان أو النرويج أو غيره أم فردي أناني بحت؟

العديد منا يسيِّس كل شيء ويعتبر الإنسانية كلها أعداء لنا، فإلى أي حد تتحكم فينا نظرية المؤامرة ؟ ولماذا يتآمرون علينا أصلًا !

هل هذا العالم النابض المتطور بمقياس اليوم لا يعنيه إلا ما قاله العرب أو ما فعلهُ العرب ؟ صحيح إن موقعنا في ساحة وسطى، وثرواتنا المحدودة بعمر افتراضي قد زادت من تكريس تخلفنا، وسهلت قيادتهم لنا، وتعاونهم علينا، وقد تعني لهم استراتيجية ما، رغم أنهم ينظرون إلى ما هو أبعد من ذلك. فموقعنا الجغرافي مع تطور وسائل النقل والاتصال أصبح أمرًا مبالغًا فيه ونحن في حالة لا يمكن تشبيها إلا بسوق رعَوي متوسط بين قرى متناثرة حوله. أضف إلى هذا أننا لسنا عالمـًا بحد ذاته، ولا نعرف

حتى من سمانا بالعالم العربي، ولم يسمَّ أممًا أخرى أكبر منا مساحة وسكانًا،كالعالم الصيني، أوالعالم الهندي٠

أو حتى العالم الأمريكي، فهل هذه التسمية تحقيرٌ أم تدليل ؟ أم أنها نوع من المغازلة، لمعرفتهم ويقينهم أننا أمة تعشق الألقاب والأسماء الطنانة !

الجانب الأكثر أهمية في موضوع تساؤلاتنا الفكرية العملية التي لا بد من الجواب عليها أو ما يمكن اعتبارها وجهات نظر أطرحها بين أيديكم لتحقيقها أو نفيها.

إنها في الحقيقة بعض أقوال مأثورة أو حِكَم شعبية، بعضها لا تزال حية وبعضها قد تكون من قبل الإسلام، وهي في ظني تمثل فلسفة المجتمع وطريقة حياته وتعامله من أبناء جنسه، بل ولعلها تمثل سبب المناعة ضد الفهم، خصوصًا أن بعضها تمثل أولًا طائفة الأحاديث الموضوعة، أوردها الشوكاني ومن قبل السيوطي وابن حجر وغيرهم وبعضها جاء على يد أعداء حقيقيين للإسلام والبعض من البعض الذين أحسوا أنهم في خشية على الإسلام ولذا دخلوا من باب الترغيب والترهيب إلى الحد الذي جعل صحة هذه الأحاديث مشكوك فيها ولا يتقبلها العقل. ولذا فنحن في حاجة ماسة الآن إلى:

أولًا: تدريس الأحاديث الصحاح ـ من حيث المتن والسند والتخريج وجعل فقه الحديث يسير جنبا إلى جنب مع فقه القرآن وعلومه.

ثانيًا: تدريس هذه المؤلفات عن الأحاديث الموضوعة والتي يربو عددها على أكثر من (٣٠) مؤلف، حتى يتميز الخبيث من الطيب، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ثالثًا:هناك طائفة الأقوال والأمثال الهدامة،لا تزال تعشعش فينا، بل أنها قد تمثل ضميرنا الواعي، وغير الواعي، وكأنها نظريات، أو مسلمات،رغم بعدها عن تعاليم الدين الحنيف على سبيل المثال:.

١ـ اليوم خمر وغدًا أمرْ ـ نظرية التأجيل والمماطلة والتسويف.

٢ـ اعبد ماعبد القوم، وما هو على شاكلتها ـ نظرية الاتكالية.

٣ـ وأحيانًا على بكرٍ أخينا.... إذا ما لم نجد إلا أخانا ـ نظرية العدائية، ونزعة النهب والسلب.

٤ـ لكل مقام مقال ـ نظرية القمع – قمع حرية الرأي.

٥ـ الناس على دين ملوكها ـ نظرية التبعية.

٦ـ مع الجماعة مخطي ولا وحدك مصيب، نظرية الإمّعه، وهي تشابه قول الشاعر الجاهلي.

وما أنا إلا من غُزيَّة إن غزت، غزوتُ وان تُرشد غزية أرشد.

يبدو في ظاهر هذا القول نزعة الانتماء والمشاركة، ولكنها تطبق بالمفهوم السلبي ولا يستشهد بها إلا في مثل تلك المواقف.

٧،ـ اتق شر من أحسنت إليه ـ نظرية التحذيرمن العمل الصالح.

٨ـ جاور السلطان واحذر بطشهُ.. لا تعاند من إذا قال فعلْ _ نظرية الإرجاف، المعارضة لنص الحديث الشريف: كلمة حق عند سلطان جائر.

وغيرها وغيرها كثير، أضف إلى ذلك الفلسفة الميكافِلّية، بجذورها الباطنية، القرمطية، التي تسربت إلى زعمائنا ووجدوا فيها ضالتهم، ومن جهة أخرى، أهوال يوم القيامة واقتراب الساعة ـ كما سلف التي رسخت نظرية الاستسلام وانتظار الموت الذي لن يأتينا إلا على أيدي الأعداء الذين يدركون ضعفنا، وتسليمنا، وانتظارنا للساعة التي علمها عند ربي،

متناسين الفسيلة، التي ذكرها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وأمر بغرسها ولو قامت القيامة.

أكتفي بهذا القدر، ولكن وحتى لا يتبخر الكلام في الهواء، أخلص إلى ثلاث نقاط عملية من باب إثبات أن هناك ضوء في آخر النفق كما يقولون:

١ـ صورة البطل المخلص، هذه نحن ننـزعها من الأذهان، فمجتمعاتنا مليئة بمثل هؤلاء الأبطال الذي يجهضون قبل أن يولدوا، وما تلك القمم العلمية الكبيرة، التي تتسكع في الأسواق أو تهاجر إلا مثل على وجودهم، وهم الأبطال الحقيقيون٠

٢ـ خشية الصدق، وخشية ممارسته، ولا يكفي فرديًّا أن نتحرى الصدق، بل جماعيًّا لكي تزول أزمة الثقة بالنفس وبالأمة ونضع حدًا للرواسب النفسية وعقد الاضطهاد والنرجسية الكامنة.

٣ـ موضوع الحرية ـ حديث العصر ـ يجب وضع تعريف لها متقن يتفق مع ثقافتناوعقيدتنا وديننا، الذي هو دين الحرية المنظمة، لننفي عنه عبثية ما يقال عن الحرية والإباحية، وفي نهجنا السياسي العصري الذي يتبناه الأغلبية، وهم يقصدون بذلك النهج الديمقراطي، لا بُد من تعريف

دقيق أولًا لهذه المصطلحات، انطلاقًا من خصوصيتنا الثقافية أولًا، وثانيًا: أن تكون مرتبة بحسب التسلسل وتحمل علاقة السبب والمسبب وتكون متفقًا عليها شعبيًّا وهي

أ ـ الحرية، ب ـ الشرعية، جـ المرجعية، د ـ الديمقراطية، وهذه كلها تحتاج إلى بحوث خاصة، أما موضوع الحرية ـ الأنموذج الغربي الإباحي، والمتروك للتجارب المعملية كما يقولون فهو لا يؤدى بحسب مفهومنا إلى نهوض حضاري ولاإلى الحصول على الحقوق المشروعة ولاإلى تنظيم الواجبات الفردية. ويمكن بعد ذلك أن نجري حوارًا مع الغير عن هذه الحرية بعدتعريفها كما ذكرنا، ونقف منهم الموقف المناسب، يدعمنا في ذلك تقنين شريعتنا وإنشاء دستور عربي شامل ينبثق من كل ما سبق وينظم العلاقات ويكون من المرونة بحيث يستوعب المستجدات الحياتية المتلاحقة، لنضيف المنجز منها في قوانين أخرى نضمن لها التطبيق، ونُعين على تطبيقها، بنصوص الجزاء والعقاب المقنن وفقًا لذلك.

إننا بذلك نتحاشى الوقوع المستمر في المفاجآت المستمرة والتي لم نعقد الدراسة عليها مسبقًا بسبب نظرتنا المتميزة بقصر في النظر، يجب التخطيط للمستقبل القريب والبعيد وتوسيع مجال الرؤية حتى نكون فعلًا خير أمة

ونكون شهداء، كيف نكون شهداء على الناس ونحن أقل أمم الارض ثقافة واطلاعًا وعلمًا وإنتاجًا ؟ واسمحوا لي أخيرا بملاحظة صغيرة،عند مراجعة أهم النصوص الشعرية العربية،لم نجد هذة الكلمة النبيلة إلا فيما ندُر، وهي كلمة حُرْ، وحرية في الغالب، لم تأت إلا للتفريق مع العبد، أو بمعنى سيد نفسه، العصامي، أو القنوع، ولم تأخذ حقها ودلالتها إلا في العصر الحديث، بدءأ من شعراء المهجر.شأنها في ذلك شأن كلمة الفكر، والتفكير، التي وردت مرارا في شعر أبي العلاء المعري.

نجح القاف في رسم صورة الفارس / الفقيه أو الفقيه / الفارس، تلك الشخصية التي لم تتكون بعد في زمننا هذا، والتي لم نزل في أمس الحاجة إليها، بين من يحكمنا متسلحا بالعلم والشجاعة،متحليا بالمعرفة والإحاطة، ورباطة الجأش، أي بمعنى منتخبًا من الشعب، مدركًا لطموحات الأمة.

حرف الكاف

الفقر-الغنى:

لم يسُد الصمت الكافي، عند استدعاء الكاف للحديث، بل ظل التهامس خافتًا من جهة وصاخبا من جهةٍ اخرى، وكأن هذا الحرف العربي الأصيل أقل شأنًا من بقية الحروف، رغم أنه من سلالة الحروف الحنكية الأصلية، وليس منا من هو قادر على الاطلاع على النوايا، فربما كان ذلك الهرج والمرج قد جاء بعد حديث القاف الذي فتح العديد من التساؤلات، وأثار الكثير من الجدل في جميع الأوساط التي حضرت المهرجان.

نهض الكاف من مقعده، فبدا وكأنه أكثر الحروف نحافة، حتى إنّ عظام صدره وعظام وجهه كانت بارزة للعيان، وبعينين غائرتين في محجريهما كما قال السياب في(المسلول):

عيناه عالقتان في نفقٍ ـ كسراج كوخٍ نصف متّقدِ.

كان جذعه، والذي يشبه السلّة المصنوعة من البوص هي التي مكّنت الجميع مباشرة من التعرف عليه، وخصوصًا وقد جاء عاري الصدر إلا

من صديرية تتدلى في جانبيه، حافي القدمين ليس عليه سوى خرقتين باليتين الأولى كانت تلك الصديرية والأخرى تغطي نصف جذعهِ الأسفل.

تبدو عليه علامة الكفاف وسوء التغذية أو ربما عدمها، ولما سألنا أحد المختصين: هل تلك علامات السل الرئوي أو فرط نشاط الدرقية. أجاب بالنفي، ولم يمر حتى بفترة إضراب عن الطعام، كما صار مألوفًا في هذه الأيام والتي تمثل مقاومة على طريقة -أضعف الإيمان،، ولم يتخيل الكثير أنه كان يعاني من فاقة حقيقية درج عليها، حتى لو زاد في الأكل ما تغير من وزنه شيء، وكثيرًا من الناس إنما ينظرون إلى الآخر من الموقع الذي هم فيه وهنا تجيء تخميناتهم خبط عشواء.

خطا وئيدًا نحو المنصة وبيده اليسرى عصا لم تكن حتى مستقيمة ولا فيها مقبض معطوف، ولا شيئ من النقوش التي نشاهدها أحيانًا على كثير من العصي يحملها بعض الناس، وليسوا في حاجة لذلك.

أما يده اليمنى فقد كانت معطوفة على صدره على شكل الكاف الكوفي، بِصَمَلٍ واضح يشبه الشلل النصفي أو داء باركنسون، لأنها أحيانًا كانت تهتز، كمن يعزف على الكمنجة.. رغم ذلك فقد سار وهو يتمتم:

عشت من الدهر ما كفاني ومـر مـا مـر مـن زمـاني

وقـد حنتنـي وقوّسـتني تسع ٌوعـشرونَ واثنتـانِ

مصحِّفًا بذلك قول الشاعر الذي هو في الأصل تسعٌ وتسعون واثنتانِ

ويردد بعد ذلك: زعمتني شيخًا ولست بشيخٍ

إنما الشيخ من يدب دبيبا

وظل يدب حتى المنصة، ومن الجدير أن نذكر قبل التعليق على حديثه أنه قال:

سادتي الحضور جميعًا:

لم تتح لي فرصة الحديث منذ قرون في مثل هذا التجمع الفريد، أولًا لأنه لا يريد أحدٌ أن يسمعني، وثانيًا أنني أُكثر من الكأكأة، مما يجعلني في أغلب الأحيان عازفًا عن الحديث، لكن مناسبة كهذه، قد تجعل كلامي مستقيمًا لا عوج فيه، حيث إني أشعر بمعنوية عالية، ولعلكم تعرفون أن معظم الكأكأة والتأتأة أحيانًا قد تكون لها جذور نفسيه محيطة أو ما شابه. هذه

المناسبة تلزمنا جميعًا أعضاء الأسرة العربية أن نُدلي بآرائنا مهما كان نوعها، بقطع النظر عن ماإذا وجدتم منها فائدة أم لا.

تعلمون جيّدًا أنني هنا أمثل الغالبية العظمى، أو ما يسمى بالسواد الأعظم كما يقولون وإن كنت لا أرى في ذلك السواد، أي سواد، بقدر ما أرى فيه من صفاء ونقاء وإخاء ومحبة.

أما عبارة الدهماء والغوغاء وأتباع كل ناعق فهذه ألفاظ لا تعكس إلا عقلية قائلها الجوفاء في الوقت الراهن وغير عليمة بدخائل النفس البشرية ولامستوى ثقافة هذه الأجيال.

إن الغنى والفقر، بل وحتى المركز لا يؤثر على بشرية الإنسان أو إنسانيته، قد يقمع الفقر بعض الطاقة الذهنية، ولكن لا يلغيها بل ولربما يجعلها متوقدة في جانب آخر لا يتمتع به المتخمين، إننا نحس بإحساس واحد وندرك بادراك واحد ومصيرنا يرتبط بالبعض.

إن طبقة الكادحين كما غلبت التسمية الحديثة، رغم أن كل إنسان كادحٌ إلى ربه، هذه الطبقة والتي طالما مورس باسمها البغي والبطش والهيمنة، باسمها اغتصبت الحرمات وانتهكت الذات والتي باسمها

قامت الثورات الكبيرة في التاريخ، والتي سرعان ما تحول مستثمرو هذه الثورات إلى برجوازيين أورستقراطيين دكتاتوريين وشموليين، واعذروني هنا لسرد المصطلحات الأجنبية لمجرد إرساء المعنى الذي أقصده، وفي لغتنا من المفردات والمصطلحات ما هو أدق وأشمل منه دلالة، ولكن ما نقول للصحافة وخطباء الإعلام. أو ماذا نقول لعلماء اللغة وأصحاب المجامع اللغوية، الواقفين موقف المتفرج، ينتظرون المصطلح أو التسمية حتى تغوص إلى عمق الطبقات الشعبية،ثم بعد ذلك يبدأون ويفكرون في البحث عن تسمية قريبة أو استبدالها أحيانًا بتسمية لا تتفق لا مع الفصحى ولا مع العامية، في الوقت الذي عرفنا دولًا أجنبية لا تسمح قطعيًا حتى بدخول العلكة، إلا بعد إقرار رسمي لتسميتها بلغة البلد ذاته، ومن ناحية أخرى لماذا الحرج من أخذ المصطلح كما هو وتعريبه.

اعذروني للخروج عن الموضوع.

تلك الطبقات التي استثمرت ثورات الجياع والكادحين، والتي استثمرت حتى فتوحات المسلمين لم يكتب لها الدوام والاستمرار، وحالفها سقوط مريع ومشين،كما حدث في غرناطة.

عصبة بعد عصبة، وأداؤنا كماهو مع فارق نسبي بسيط من زمن لآخر ومن نظام أقل أو أكثر قمعًا واستبدادًا، إن الأكثرية يدرجون الفقراء في قائمة الأشرار والحسدة وأصحاب العين واللصوص، وأخيرًا في خانة ما يسمونهم بالإرهابيين، وأغلبنا ليس كذلك، بل أن أغلبنا لا يسعَى للغنى وليس به شغف إلى امتلاك الثروة الفاحشة، ومنامن يتمتع باستقرار وهدوء نفسي واستمراء للعيش وألفة هي فوق ما يتمتع به الأغنياء في مجتمع عربي مسلم كمجتمعنا الذي تكوَّن من باكورة التاريخ على عيش المشاركة وتبادل الخبرات والمنافع.

إنّ ما نطمح إليه فقط هو السماح لآرائنا ومشاركتنا في القرارات المصيرية وسماع وجهات نظرنا، والتي قد تكون منصفة أكثر مما يتصورالبعض، لأنها أقل تعقيدًا وأقرب إلى الفطرة البشرية الأولية الصافية، كما أنه لا يستطيع ثريٌّ أو صاحب جاه أن يدعي أنه أكثر حبًّا لوطنه وأحرص منا عليه. فالعكس هو الصحيح، فالغني قد يستطيع الهرب بثروته والعيش في أي مكان، أما نحن فهذه التربة والوطن هي كل ما نملكه نعيش ونموت من أجله.

ولست في حالة إلى أن ذكر لكم أن معظم زعماء الفكر والإصلاح عبر التاريخ كله إنما نشأوا من طبقتنا هذه، والتي لا أحب ان أسميها حتى طبقة بل هي نسيج المجتمع الأوسع.

أما تسمة الفقر فليست على الدوام تعني عدم امتلاك المال. وهناك من الأغنياء من هو كما قال أبو الطيب في فقر دائم.

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي فَعل الفقرُ.

ولستُ هنا بصدد الإشادة بالفقر، وتفضيله على الغنى، أنما بصدد التذكيربأوسع شرائح المجتمع العربي مما يحتم على الجميع وضع الحلول، والقضاء على هذه الظاهرة، ووضع الشرائع والمبادئ التي نتفوّه بها موضع التنفيذ، وقد أِشار الزملاء إلى ذلك بتفصيلاتٍ أكثر.

هناك فقر اللغة (فقر الفكر) وفقر الإرادة، وفقر الهمة، وفقر الطموح، وغيرها والبشر جميعًا ليسوا سواء في قدراتهم البنيوية ونشاطهم الفكري كما أنهم ليسوا سواء في القدرة على الكسب ولا في معدل الذكاء الفطري الاجتماعي، أما الحظوظ التي تلعب دورها البارز في حياة الناس والتي قد تعني أحيانًا تعارض الأسباب أو تلاقيها فقد يعجز الجميع عن سبر أغوارها، وتحديد ما هيتها، والنص الديني الذي يدل على مفهوم واسع للرزق، الذي يتجاوز النقود والعملات إلى أشياء كثيرة قد لا يستطيع

أحدٌ حصرها ،لكننا نستطيع الوثوق بأن لله نعمتين إذا بسط أحدهما رفع الأخرى بنص الحديث الشريف.

إن ما يحكم عالمنا في واقع الأمر هو شيئان لا ثالث لهما:

الأول صراع الفقر والغنى التاريخي، بالمعنى النسبي الواسع، والثاني صراع العلم والجهل وتضارب المصالح في كلا الجانبين، أذكر هذا خصوصًا، وأمامكم في هذه المناسبة الهامة، لأننا نشهد تعميقًا لهاتين الهويتين تزداد باضطراب. وتهدد بالمزيد من البلاء والتردي وانشطار قوة الأمّة.

١ـ إنّ هذه الأولى، بقدر ما تتسع، بقدر ما يتسع عدم الاستقرار، وعدم الأمن، إنّ الفقراء في الغالب ليسوا عدائين، إلا أنهم يظلون مفعمين بإرادةٍ، ويأملون في تحسين أوضاعهم وظروفهم، وحصولهم على الفرص المناسبة. أمابعد نفاد كل الفرص واحتكارها وعدم الإحساس بأضاعهم فقد يقترفون العنف والتطرف بشتى أشكاله، وتفشي البطالة، وخصوصًا مع تعبئة خاطئة، قدتستغل من طرف سياسي معين،أو جماعات هدامة تسوقهم إلى الانحراف، وتقنعهم، بضرورة مشاركتهم في إرساء العدل، ومساواة حقوق الإنسان، التي هي أسمى المبادئ على الإطلاق.

أما الذي زاد الطين بلّة، فهو نماء وترعرع الفكر الرأسمالي الربوي العالمي الجديد الذي عمق هذه الهوة بشكل خطير، إضافة إلى تصادمه مع ثقافتنا بمجملها سواء كنا أغنياء أو فقراء. وبهذا أصبح الطرفان في حالة عدم ثبات واستقرار، مايؤذن بانهيار المجتمع وغياب الثقافة والهوية الوطنية لصالح العولمة المزعومة.

٢ـ الهوة الثانية وفي نظرنا، وتحديدًا في هذا العصر، إنما برزت من الهوَّة الأولى ويسهل عليكم فهم ذلك ،وهي سياسة التجهيل التي أصبحت مدرجة في جدول أعمال المخططين الكبارلمنهج الاستغلال المشار إليه.

وللانصاف فالهوّة بين العلم والجهل لا تردمها إلا الإرادة السياسية من النظام، وبأيدي العلماء الذين عليهم مضاعفة الجهد والعمل بعلومهم وتوصيلها للآخرين مهما كلفهم الأمر، وهم مسؤولون عن ذلك أمام الله وأمام الناس، ولا نحصر هنا تسمية العلماء على الفقهاءكما تعودنا،لكنهم العلماء في كل مجال٠

أشعر أنكم ستعطون هاتين القضيتين اهتمامكم.

عاد الكاف إلى مكانه، محفوفًا بنظرات مبعثها، الإعجاب، والشفقة، وتأنيب الضمير.

حرف اللام

تربية..وتعليم.. وثقافة:

ما إن نهض الحرف البهلواني اللعوب، بعد ذكر اسمه في قائمة المتحدثين، حتى نهض واقفًا، وسار يمضي في رشاقة، وانقلب بحركة مطاطية رأسًا على عقب وكأنه عصًا مقلوبة، وتقافز يتمطى ويتدحرج في أرض القاعة خطوة على يديه، وخطوة على قدميه، حتى وصل إلى المنبر، ولم يكن ذلك إلا شكلًا من أشكال الاستعراض الذي سُمِحَ به في هذا المهرجان الكبير.

بعد أن وقف في مواجهة الجمهور، أسفر عن قامة جذابة، وقدٍّ يدل على الثقة والإعتزاز بالنفس، طلعته تنبؤ عن استقامة في الظهر، وارتفاع في الجبين الذي بدا عريضًا ومنحدرًّا، ويدانٍ طويلتان واسعتا الفروج بين الأصابع، هذا بالإضافة إلى لون بشرته الأبيض المشرب بالحمرة.

كل تلك الصفات الجسدية جعلت الحاضرين جميعًا ينظرون إليه بإمعان وبدهشة واضحة حيث إنهم كعرب يعرفون من علم القيافة

والفراسة ما درجوا عليه قديمًا لاختبار سادتهم، وكبرائهم، اذا ما احتاجوا إلى ذلك.

فالصفات المشار إليها، تدل على المجد والرئاسة في القوم، وهذاكان بالطبع قبل اختلاط الجنس العربي بغيره من الأجناس بعد الفتوحات الإسلامية.

تلك الملا حظة التي وجدناها في نظرات الجمهور، لم نجعلها تمر مرور الكرام بل أجرينا حوارًا مع بعض الحاضرين عقب ذلك للتعرف على سرها والتعرف إلى ما خلف ذلك من معنى قد تحمله، فسمعنا أفكارًا، لعله من المفيد بأن نذكرها هنا وقبل مواصلة تسجيل ما طرحه اللام المتحدث.

منها أولًا ما أوردنا عن سمات الرئاسة، ومنها الصوت الأجش وطول الرقبة وبروز تفاحة آدم كدليل على الشجاعة، أما الشعرانية الكثيفة على الجسم فقد تدل على الكرم، واستقامة الظهر تشير إلى طيبة القلب، وخلو الشخص من اللؤم الذي يرافقه تحدب الظهر وارتفاع المنكبين وكثافة الحاجبين وقصر الرقبة.

أما العينان، فتباعد مسافة ما بين البؤبئين تدل على رجاحة العقل وسعة الإدراك والعكس، وكذلك الجبهة العريضة أما حركة العينين بخفة، وسرعتهما الخاطفة فقد تدل على الحيلة والذكاء والألمعية، ولكن ليس عل شكل الرأرأة، التي هي مَرَضِيَّة بالطبع، أما بروز الجبين الواسع فقد تدل على الحكمة والدهاء وسلامة الرأي.

وقد سمعنا أبياتًا تتحدث عن ذلك، منها ما أوصى بها ذلك الفارس زوجه عندما ذهب للقتال حين قال:

آ ثار اقدامه فهو معروف، هل هو ذكر أم انثى وهل هي حامل أم لا وهل هذه مشية سارق أو لص أو محارب ومن أي قبيلة؟

كما وجدنا دراسة حديثة عن الظفر العربي الأصيل المتمييز بخطوطه الطويلة البيضاء وقاعدتها الوردية، وطوله النسبي، وعددًا من الطرائف، لا يتسع المقام لذكرها.

عودة إلى موضوعنا، وهو حديث اللام الذي جاء بتلك الملامح والصفات، والتي نعتقد أن اجتماعها كلها في شخص واحد قد تكون ضربًا من المستحيل.

رقصت لسان اللام عندما بدأ الحديث، وكأنها تزغرد،ثم أردف قائلًا:

اسمحوا لي، أن أتطرق مستطردًا إلى تلك الإشكالية والتي سبق وأشار إليها بعض الزملاء لما لها من أهمية وهي إشكالية التربية والتعليم، هذه الإشكالية التي أخفقنا فيها إخفاقًا كاملًا، لا يتناسب مع العصر الذي نعيش فيه ولا يتواكب معه، بل إلى الحد الذي أتى اخيرًا الرجل الغربي راعي البقر ليعلمنا كيف نعد البرامج التعليمية ونعيد النظر في مناهجنا الدراسية التي تنتج المزيد والمزيد من الأجيال غير الناضجة والتي تولِّد في مجتمعاتها وخارج مجتمعاتها من المشاكل ما يفوق تحصيلها العلمي، وليست المسؤولة هنا على إدارة المناهج وحدها بل هي أيضًا على عاتق الأسرة القليلة الحظ في الثقافة والتي تتناسل جيلًا بعد جيل.

ولنبدأ أولًا بذلك النوع من التأديب بالضرب والقمع الذي يمارسه الآباء أوالأمهات على الطفل دون سن السادسة بالذات، الذي يسفر عن عاهات نفسيه تظل مصاحبة للشخص طيلة حياته ويكررها بلاوعي على أبنائه وخصوصًا الابن الأرشد. هذا فيما يخص مرحلة ما قبل تكون الادراك الكامل أي قبل السادسة، أما المرحلة التي لا تقل خطورة فهي مرحلة المراهقة، حيث تنشأ عن هذا الأسلوب القهري ردود أفعال قد لا

يكون الأبوان قادران على التعامل معها. لأنها مرحلة تشكيل الشخصية والإطلالة على العالم بكافة متناقضاته. والدراسات العلمية والنفسية تؤكد ذلك، وتلك القوانين الصارمة التي تصل إلى حد حرمان الأبوين من الحضانة في بعض الدول لم تأت إلا عن نتائج علمية مدروسة ذات علاقة بثقافة المجتمع وليس من الضروري تطبيقها بحذافيرها في مجتمع له خصوصيته الثقافية،، وتماسكه الأسري أقل أوأكثر ثباتًا.

الأثر عن المصطفى(ص)، أنه قال (واضربوهم لعشر)، لكننا لم نسمع مطلقًا بأنه عليه السلام قد ضرب طفلًا أو زجره أو حبسهُ، وهذه هي سُنَّة، والسُنة ليست فقط مجرد أقوال، بل أنّ السُنّة الفعلية قد تكون مقدّمة، فلكي نربي أطفالًا أسوياء يجب أن نقتدي بذلك السلوك العظيم وسيثمر التأديب بطريقة غير مباشرة على الأبناء وتأثيره يكون عظيمًا وبلا شك.

والملاحظة الأهم في حالة التأديب بالضرب دون جعل الطفل يعرف لماذا، فهذه من المنكرات العظيمة تخلق العديد من الرواسب في نفس الطفل، وفي مستقبل حياته المهنية وعلا قته كمرؤوس ستتشكل وفقا لتلك العلاقة التي كانت مع أبيه،كما سيتكرر ذلك حتى في تعامله مع أبنائه. فالمهابة التي يزرعها المربي بهذه الطريقة قد تتحول إلى رهبة وانتقام

مستبطن أو تمرد مستبطن، وقدتقتل الطموح وروح المنافسة، وإلى رهبةالسلطان، والانقياد للطغيان.

لذا فتربية الابن على الشجاعة الأدبية والتعبير عن الرأي والتجاوز عن الخطأ وتصحيحه في حينه بلغة مناسبة قد يخلق رجلًا أو امرأة سوية خالية من العقد، ينشأ مجتمع صالح قوي الشكيمة محب لوطنه وفخور بانتمائه. كماأنه من الضروري اشتراك الجميع في أسلوب تربيةواحد، تشرف عليه الهيئات المعنية،لأن تميز أسر عن غيرها قد يخلق شرخًا في بناء الجيل وتحصيل التأثير والتأثر والإغواء وتضيع الفائدة عندئذ.

أن التربية القسرية التي تكون نوعًا من التنفيس من الكبار وتفريغًا للطاقة المشحونة الناجمة عن الإحباط اليومي وضغط الحياة، أكثر منها رغبة حقيقية في هدي الطفل،هي صورة أخرى لحصول التردي الوخيم في طرق التربية، و جلوس الآباء الوقت الكافي مع أطفالهم والحديث معهم في مواضيع شتى بما في ذلك التسلية والمرح وصقل المواهب قد يعود بفائدة أكثر بكثير مما يترك الوعظ والتعنيف، والقهر.، إنّ أعظم المربين،هم أولئك الذين غرسوا في أذهان أبنائهم أهمية الوقت في حياة الناس.

إن الخطأ في الطفولة يجب أن لا يترك بغير عقاب، بعد سن السادسة، أما قبلها فلا مبرر له وهناك العديد من العقوبات تؤدي الغرض المطلوب كالحرمان من برامج ترفيهيه معينة وغيرها.

لعله لايجدر بي الإسترسال في موضوع أنتم تعرفونه، وتحسونه، وما تطرقت لهذ إلا لإقراره، بما له من أهمية في هذا المؤتمر، واعتباره وثيقة من الوثائق التي تؤدي إلى تبؤ المكانة التي ننشدهالأوطاننا،

ونحن نشاهدأمام أعيننا اليوم شعوبًا ناهضة قوية خلاقة مقدامة وذات كفاءة بنيوية خلاقة ماكانت لتكون كذلك لو لا اهتما مها بتربية النشء.

حرف الميم

نودي على الميم ليقوم خطيبًا، ويدلي بدلوه في الحديث، أو يقدم مناظرته التي أعدها، ويتطرق إلى الموضوع الذي يريد، منطلقًا من وضعه بين الحروف العربية ومقامه وهيئته الفريدة، شريطة الحفاظ على البروتوكول المقر في أول فعاليات هذا المهرجان العربي الكبير.

وقف الميم متطاولًا من مكانه، كما يتطاول الإعصار في الأفق البعيد وما أن انتصبت قامته، حتى أسفر عن طلعة بهيّة وقوام فارع. فأزاح تلك العِمَّة الأنيقة التي يعتمرها على رأسه بشكل مائل قاب قوسين أو أدنى من جفن العين اليسرى، ودلف يخطو شامخًا نحو المنصة بوشاح طويل، يجر بعده ذيلًا طويلًا من الحرير المهفهف، كان يتراقص خلفه كذيل الفرس العربي الأصيل.

كانت وسامته مدعاةً للفت الأنظار، ذلك أن وجهه البدري وفمه المضموم المكتنـز الشفتين قد بدا وكأنه مزيجٌ من الشفاه الطائية العربية الأصيلة (ساميّة الأصيل) والشفاه الزنجية الحامية الأصل، مع فارق كبير

في لونها الوردي المقلم بخطوط حمراء ناعمة طولية، فكان ذلك المزيج يبعث على الفتنة.

همس أحد الحاضرين في أذن صاحبه قائلًا: ما هذا الشلال البديع الذي يتدفق خلف الميم، فأجاب صاحبه مازحًا، هذا هو نهر النيل العظيم قد قام من موضعه في الخريطة، وحضر بيننا وأطرافه تلك هما النبع الذي يتدفق منه هذا النهر من جبل القمر.

عندما دار الميم ليواجه الجمهور بدا رأسه كرأس أخناتون الفرعون وعلى رأسه ذلك التاج الذهبي الأسطوري الذي يبرز من ناصيته كثعبان الكوبرى الذهبي الجميل، سوى فارق بسيط أنه لم يكن يحمل صوجان الملك في يده.

زمّ شفتيه هنيهة، وأخرج صوته من الأنف وشفتاه منطبقتان وانطلق بصوت يشبه الأَنَّة الصاعدة في جوف المغارة وقال منشدًا:

لهفةٌ تطفُو...

ويهوِي الحُزنُ شلالًا،

ونهرًا... من عــلوٍّ في فراغٍ يرتمي.

وتــرٌ يرتجُّ في الأعماقِ،

صوتٌ مُبهمٌ،

في غُنَّةٍ مكظومةٍ بالألمِ.

أنــَّةٌ.. تعــبرُ جدرانَ مغاراتٍ،

دويٌّ صاعدٌ يسألُ فجر القِدَمِ.

ما لعــيني غرقت في الندمِ ؟

أرسلَتْ خيطًا جريحًا من دمي،

ودَّعت آمال صُبحٍ ومضتْ،

تتوارى في سراب العــدمِ،

ما تريد النفسُ مني.. ويحها،

هل ترى واقعها في الحلمِ ؟

تستقي من دمها أم أنها،

تتمطَّي في هموم العالم ؟

لكِ يا نفسُ متاهاتي، صراعاتي فذوقي،

غربةً تعكسُ زحف الأممِ.

ما علَى نفسي يكونُ الوجـدُ،

بل وجدي على قومٍ تخلّو...

أذعنوا للألمِ

كيف تبني ثقةً في بلدٍ،

يلتحف الظلم، ويقتاتُ نفاقًا،

ما عساه الصدقَ يُجدي،

ذلكَ المنهزم ؟

كيف يأتي منهمُ الإنسانُ ؟

بالتلقـيمِ.. ؟ بالتعـليمِ.. ؟

ماذا تتوخَّى من صُراخِ القلمِ ؟

كيف تسترجعُ ماضٍ،

وضع القيد على أفواهنا،

أرهبنا، حرَّك فينا، شهوةالمنتقمِ.

أنتَ واليومَ الذي تطلبهُ، يا تُربَةَ الصَّبرِ،

بوارٌ.. ويبابٌ،

حجرٌ يرقبُ نجمَ الحُلُمِ.

صادحًا تحـُدو..

بصوتٍ غير مرغوبٍ، ولحنٍ غير مسكوبٍ،

وحرفٍ مُبهمِ.

فانتفضْ... واستبق الوعد،

وقل هيا معي، سيري، اتبعيني.. قدمي.

واستقيمي يا فروع الهدف الشائك،

يا كلَّ جذور النفس،

سيري حزمةً،

تُرسلُ إشعاعَ الهُدَى كالحِمَمِ.

واستقم يا أيها الجارُ، إلى جنْبِي تقاربْ،

نبتني قاعدةً للهرمِ.

فإذا ما اقترب القلبُ من القلبِ،

التقَى ساقٌ بساقٍ... نغمٌ في نغمِ.

أخرِجِ الفرحةَ من أوكارها،

تكشفُ كُنةَ الأمل الغائبِ،

سِرَّ الوطنِ المبتسمِ.

إنما تنفكُّ من كلِّ عُرَى الموتِ انتظارًا،

بين جدران الأسى والسَّأمِ.

كُن قويًّا مثل جُنح الريح... يأتي غضبةً،

تنفض وجه السَّقَمِ.

وتكَّثفْ في سحاب الوطن الواعد،

وارسلْ قطرةً في كف أخرى،

نحو سيلِ العـرم.

كن جريئًا مثل موج البحرِ،

يهوي، فوق خدِّ الرَّملِ، يَفْنَى،

في بلوغ الحلمِ.

وتسلَّق نحو ذاك المقعد الأرفع في سُنبُلةٍ،

تحمل زاد الوهج المزدحمِ.

وتشكَّل بذرةً تحمل سِرًّا،

لغدٍ يولدُ حُرًّا، هادِمًّا للصَّنمِ.

وإذا كنتَ تُربِّي شتلات المجدِ،

فاطلع وردةً فوق جبينِ البُرعُم الملتزمِ.

أنت لا شَيء، سوى حريةٍ

تسكنُ فيها، تســتقيها،

وبــها تستقِمِ.

لا تُباركها...

سوى في نجمةِ الصبحِ، التي تقـدْحُ نورًا،

فوقَ صدرِ العَـلَمِ.

انتهى من قصيدته التي كسرت رتابة الخطب المتلاحقة، وقدنالت الاستحسان، فعاد إلى مجلسه مكتفيًا بذلك، تاركًا للجميع فرصة التأمل في ما طرحه من مواجيد وما ختم به من دعوى إلى الحرية والعزة والكرامة.

وعندما أراد أحد الحاضرين أن يعلق على القصيدة بمداخلة، لم يوافق الرئيس، متعللًا بضيق الوقت وإتاحة الفرصة للجميع، ونادى مباشرة على الحرف الذي يليه.. وهو النون.

حرف النون

ابتسم رئيس المجلس،قبل أن يهم بالنداء على حرف النون، ابتسامة رضى وتقدير قبل أن يقول:

حان دور واسطة عقدنا الأبجدي، وزينة الحروف العربية جميعًا.. النون فليتفضل، فصرخ المبلّغ بأعلى صوته:فليتفضل حرف النون.

لم يسمع أحدٌ وقع أقدام النون وهو يتجه إلى منبر الخطابة، فقد تحرك بسلاسة ونعومة تشبه إلى حد كبير سريان الهلال في السماء الصافية الأديم، وتسري معه نجمةٌ خماسية لامعة تتراقص فوق جبينه وتسير معه كظله أينما سار واتّجه، وقد قيل إنها نجمة الشعري اليمانية بل ولقد سمعنا أحد الحاضرين وهو يرمقه ويتمتم بذلك البيت الشعري الذي قيل إنه أشعر ماقالت العرب وهو لحسان بن ثابت في وصف الرسول الاعظم:

سريت من حرمٍ ليلًا إلى حرمٍ		كما سرى البدر في داجٍ من الظُّلَمِ

كان يحمل في يده مجموعة أوراق، تدل على أنه حضر للموضوع تحضيرًا جيّدًا، لكنه فاجأ الجميع عندما نطق بنغمته النرجسية الجميلة قائلًا:

لن أتحدث عن نفسي وهيئتي والمكان الذي جئت منه، فلو أردتم ذلك فاسألوا عني العالم الفيلسوف محي الدين ابن عربي في كتاباته عن الرؤيا والمنامات.

ولن أعقد المقارنة بين شكلي وشكل الكون أو قبة السماء كما صورني فلاسفة الخيال، أو غير ذلك، ذلك لأني لا أريد الدخول في جدلٍ حول أصلي وأصل الحروف العربية جميعًا التي أراها متجسدة أمامي على هذا النحو الذي يبعث على الفخر، وليس هناك من داع في أيام كهذه أن نثير موضوع الحروف العربية هل هي محدثه مخلوقة أم أنها أزلية قديمة لا نفع من ذلك الآن؟

أنا لا أتهربُ، من الخطأ اللغوي، والمزالق المنطقية الكلامية التي يحرص البعض على تصيدها أثناء الحوار والتحليل، لكني أميلُ إلى شعر، وقد أعددت للمناسبة هذه النونيات التي آمل أن تنال استحسانكم ورضاكم:

نون الحاجب:

قيلَ نون الحاجبِ،

يتدلى مثلُ قـُرطٍ،

من سماء الراهبِ،

ربما كان شعارًا، لصلاة الغائبِ.

نظرتي تقـرأُ في التاريخ،

أخبارَ نعـيم كاذبِ.

رحلتي تكشفُ أضواءَ صداقاتٍ،

نَمتْ في جانبي.

قد تفيّأتُ رموشًا،

تحت عين الواجب.

وسكنتُ الظِّلَّ نونًا،

تحت نهدٍ كاعبِ.

علمتني ورشة الأيام،

أن اقتنص الرغبةَ دومًا،

من عيون الراغبِ.

وبأن ألتقط َالصِّدقَ،

وإن كان ضئيلًا،

من لسانِ الكاذبِ.

وبأن لا أنظرَ الناسَ، بلونٍ فاقعٍ،

أو أجمع الكلّ بنفس القالبِ.

وبأن لا أُرهفَ السمعَ، لنفسي دائمًا،

أو أجعل الغثَّ من القولِ ،

كرأيٍ صائبِ.

وبأن أعرفَ، من دُوني،

لأسمو، نحو من جاوزني قدرًا،

بعزمٍ واثبِ.

وبأن لا أصطفِي، من ظـلٍّ يطريني،

ولا أسمعُ إلا من يجاريني،

ويعطي رأيهُ في جانبي.

لا أبالي ما يقولون،

ولا أسعى لذكرٍ يتلاشىَ،

أو دويٍّ صاخبِ.

هدفي، أن أنشرَ الضوءَ،

وأن أدفعَ بالنفسِ، إلى منـزلة الروحِ ،

لأغفو، ناعمَ البالِ،قريرَ الجانب.

نون الذكرى:

نمنماتٍ... يرتدي طاووس أحلامي،

وترصيعات نونٍ،

وابتهاجٌ سوسني.

واختيالٌ باسمٌ، يورقُ في القلبِ،

وهمسٌ، ينتشي فوق شفاهِ الوسنِ.

يوشكُ النجمُ اقترانًا بهلالي،

يا لَمَلْقاهُ،

ويا شوقًا.. لطيب السكنِ.

ها أنا سُكَّرةٌ تهوي،

بفنجانِ هوىً يشربُني.

ليتني أقدرُ أن ألوي جناحي،

عائدًا في رحلةَ الأيامِ،

آهٍ... ليـتني.

كوكبٌ، كنتُ أنـا، قَصَّ تَـمامي،

في انتصافِ الشهرِ،

سـيفُ الزمنِ.

فسلامًا أيها الوجـهُ الذي غابَ، سلامًا،

يا ورُودًا... طَبَعَـتْ حُمرتها في الوجـنِ.

نون المهجر:

أيها الحرفُ الذي يفتحُ أشواقي،

وأحزاني... ويا ثغـرًا

لإقـلاع الجَوى المختزنِ.

أيها القطرةُ، ذوبي في فـؤادي،

واسكني قلبي، اغمِسيني، في مِدادي،

واكتبي الحرف الذي يشغـلني.

ما يمّمتُ الخطوة الأولى، إلى أرض الهوى،

إلا لأني معـدنُ الحبِّ، القويِّ المَرِنِ.

ما بدأتُ الأحرفَ الأولى، وردّدتُ الصدى،

إلا لأن الحرفَ، قد يفهمُني.

ما دخلتُ الشِّعر من باب التأسِّي، والضَّنى،

إلا لأني، حسرةٌ، ترسُم وجهَ اليمنِ.

يا تباريح الهوى مُرِّي بأجفاني... سَلِيها،

شفَّها، الوجـدُ، ؟

أم الأحـزان زادت وطـأةً ... با لغَـبنِ.

نَضَبَ الكأس أَمامي، ونديمي ينطوي مقعـدهُ،

يا أيـها الجذْبُ... ألا تمنحني ؟

بكَ صـبرًا أيها الحرفُ الذي،

يقطع أنفاس الهوى،

يرجع نحوي قاصدًا يقتـلني.

ما أنا إلا فـؤادٌ... ومـدادٌ،

يتلظّى بالذي كان،

ويومي إصبعًا، نحو الذي لم يكنِ.

وأداوي جُرحَ أيامٍ عجافٍ، عشتُها،

عاش بها صَحْبِي، جزافًا،

قبلَ أن تبزُغ سِنُّ اللبنِ.

أقضمُ الحاضرَ من علاّتِهِ،

أبحثُ عن عرقِ ضيائي،

في ترابِ المنْجَمِ المندفنِ.

راكضًا خلفَ جداري،

باحثًا بين حطامي، عن تقاطيعي،

وعن بعـض جـذور الحَزنِ.

ها أنا أمرُقُ، من خلفِ ضباب المهجر الغائمِ،

أصغي لرفيقي،

وهو يبكي من بكاء السُفن.

صوتهُ المكظومُ في سمعي يدوِّي:

هانتِ الأحـزانُ...

ما دامت طريقًا لعبور اليمنِ.

ذلك الوجه الترابيُّ تلوَّى،

شاردًا في الأرضِ، عصفورًا حزينًا،

باحثًا عن فنَن ِ.

هُدهـدٌ، يرحلُ في سرب صقورٍ،

يقطفُ الجرحَ،

ويأوي في شقوق المحنِ.

ويخبيِّ سُـرَّةً عالقةً في بطن جـوعٍ،

قعـرُها للمؤمن الممتحنِ.

لم يزل يملأ قعْـبَ الميتةِ الأولى،

ويسقيها لباقي الدِّمنِ.

ويخـبِّي قلقًا من يومهِ الآتي،

ويخشى سطوة المؤتمنِ.

هذه النعْـمةُ أضغـاثٌ، فُتـاتٌ،

مـدّهَ نحـويَ، غـولٌ، طـامعٌ بالثمن ِ.

هذه الوقفـةُ تطوي،

أذرُعَ الصّمتِ الـذي،

يَسْـبِقُ ريـح الفِـتَن.

قَـلَم الصِّـدْقُ ينادي،

والدمُ المجهولُ يُومي بالأيادي،

أيها القادمُ... هل تسمعُـني ؟

خيمتي، ينكفئُ المصباحُ فيها،

وصُفوفي دخلتْ في بعـضِها،

ضمنَ صِراعِ السُّـننِ .

لو تصدَّرْتُ،لكنتُ الغـزْوَ في الأعماقِ،

والنَّبعَ الذي يروي عِطاشَ الفِطَنِ.

لو تكاملتُ لأخرجتُ الرُّحى،

تطحَنُ مركُومَ الصراعات – المَدامِى،

كُلّها، بالمطحنِ.

في كياني، يستشيطُ الغـضبُ الهادرُ،

موجًا طالعًا،

يقلبُ جُنحَ الزمنِ.

نجمتي تُرسلُ إشعاعًا قويًّا،

وهي تدنو قابَ قوسينِ،

لتعـلوُ من خليجِ العـدنِ.

عـلّهُ ينتفضُ الجـرحُ،

ويعـلو الطائرُ المغبـون خفَّاقًا،

لكي يـتبعـني.

قالت الشمسُ التي تسْحَبُ ذيـلًا

فوق أرضي:

كنتُ يومًا، طِفـلةً،

في كفِّ من كان اسمهُ، ذو يـزن.

مرت فترةٌ لا بأس بها بعد ان أكمل النون مقطوعاته الشعرية، ساد فيها صمت وتأمل، واندفع بعض الحضور إلى النون قبل أن يعود إلى مجلسه طالبًا منه نسخةً من بعض قصائده، والبعض الآخر يريد منه كتابة بيت أو بيتين من القصيدة فلبّى طلبهم جميعًا، وعاد إلى مجلسة مغتبطًا.

حرف الواو

فلسطين..الجرح

عندما حان دور الواو، ليتخذ موقعه في زاوية المسرح، خلف منصة الخطابة، للمشاركة في فعاليات المهرجان العربي الكرنفالي الأول، كان قد علم بذلك فاتّخذ وضعية الاستعداد، فوق الكرسي الذي يحمله، فزاد انعطافًا على نفسه، فوق الانعطاف الذي هو عليه خلقيًّا وارتفعت دقات قلبه، كالذي ينتظر سماع إطلاق عيار ناري من مسدس الحَكَم.

لكنه تأرجح وأوشك على الانقلاب كالحلزون. الأمر الذي جعل من الصعب عليه العودة إلى وضعه الأصلي، ذلك بسبب ثقل رأسه الذي لا يتناسب مع ضآلة جذعه.

بعد أن تماسك، واعتدل بدأ يمشي وئيدًا وكأنه يجر نفسه بنفسه، وهو منعطف القامة، والذي لا يعرفه يظن أن به مغصًا كلويًّا أو التهابًا في الزائدة الدودية.

كانت جميع الحروف السابقة تعرفه تعرفه قبلًا معرفة جيدة، تعرفه شكلًا ومضمونًا، وتعرف تردده المستتر على مجالس الحروف، والتي إمَّا أن يعطفها أو هي تعطفهُ في نهاية الحديث.

إلا أن البعض بقصدٍ أو عن غير قصد، همس في أذن صاحبه: هل صاحبنا بخير يا ترى، أم أنه بحاجة إلى مساعدة ؟ فردّ عليه جاره.. عجبًا ألا تعرف الواو، هو هكذا دائمًا بسبب شكله الذي ولد عليه، ولو أن هذه المرة قد بالغ في انعطافه ليُظهر التميُّز،، أو أن العمامة هذه التي لا يعتمرهاإلاّ في المناسبات على ذلك الرأس الأشيب قد فاقمت ذلك.

وأضاف، أما هذه البزة الهلامية اللدنة التي يرتديها، فهي لعمري أشد غرابة ونكرانًا، لكنها مع ذلك تتناسب مع حجمه وطوله الملتوي.

لم يكن الواو قد بلغ من الكبر عتيًّا، فلا زال شابًّا، لكن ابيضاض شعر رأسه البارز من حواف عمامته السفلية، قد يشير إلى أنه قد ولد في زمن القهر والاذلال، وقد تشير إلى أنه تعرض لمحنة أكثر من غيره في المنفى، والأقرب إلى الذهن أنه يسرف في التدخين مما يعيق الدورة الدموية في شعر الفروة.

ما لفت الأنظار أن الواو قد حضر بمفرده ولم يكن لديه وفدٌ مرافق خلفه في القاعة، فقد جاء وحيدًا، ولا ندري كيف،هل بوسيلة نقل، أو ربما سيرًا على الأقدام التي لا توجد لديه.

كان أحد الحاضرين قدعقد الشبه بينه وبين الرئيس الفلسطيني أبو عمار، وقد صار حدسهُ في محله،كما سيأتي.

ما إن وصل إلى مكانه، حتى ضمّ فمه ضمةً شديدة حتى جعله دائريًّا وفتحه بعد ذلك فجأة لينطلق الهواء حاملًا صوته مولولًا بشدة، وكأنه يريد أن يقطع ما يدور من همس في القاعة،

و أردف يقول: الأشقاء الكرام، حفدة الفاتحين.. أتحدث إليكم باسم كل المناضلين في كل مكان على أرضنا العربية وأخص بالذكر المرابطين على كل شبر في فلسطين، شعب الجبارين المدافعين باسمكم جميعًا عن القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الأعظم خاتم النبيين.

ثم ذكر الحديث الشريف عن المرابطين إلى يوم القيامة، بنفس الحماس الذي يردده دائمًا وكأنه يقوله لأول مرة.

لقد أفنيت معظم ساعات عمري في الهواء، في رحلات مكوكية،كما تعرفون، وفي التنقل بينكم وبين الدبلوماسية العالمية، وقد حققت الرقم القياسي في الخطابة أمامكم وأمام الجماهيرالعربية وأود أن أُؤكد لكم، أننا سنواصل كفاحنا المتواصل حتى تحرير آخر شبر من أرضنا العربية المغتصبة، شاء من شاء وأبى من أبى.

واستمر بالتسويف مردِّدًا كلمة، سوف.. وسوف.

حتى بدأ الهمس يعود إلى القاعة مما جعله يفزع بشدة بصوته قائلًا:

إنّ أطروحات الزملاء الذين سبقوني، قد وضعت النقاط على الحروف، وكل ما طُرح إلى الآن إنما يصب في خانة واحدة وهدف واحد ويخدم قضيتنا الأولى، قضية فلسطين التي هي الآن أمام أعينكم قضية العالم بكامله، يشرفني التحدث إليكم هذه المرة على وجه الخصوص ولا أنكر أنني أتشبع بالأمل اليوم أكثر من أي وقت مضى، وأنا أكثرتفاؤلًا، حيث إنّ هذه الأحداث الأخيرة إنما تبشر بمستقبلٍ مجيد وتلاحم أقوى لشعوب هذه المنطقة،لابحكم الرغبة الصريحة لحكام هذه الدول في التكامل والتوحد، بقدر ما هو بفعل الضرورة.

إننا أيها الأشقاءالآن في مرحلة إعادة اكتشاف أنفسنا، أوبالأحرى هويتنا العربية، التي هي الآن،كما هي من قبل، حقيقة اجتماعية وثقافية وسياسية.فإذاكانت الحركات التحررية،،قدأصيبت بخيبة الأمل، فإن انفراد المعسكر الغربي(أمريكا)بالهيمنة، باعتبارها القطب الأوحد، ورغبتها العدوانيةفي إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط، وتفانيها في دعم الكيان الصهيوني الغاصب، قد ازداد عتوًّا،لكنه في نفس الوقت قدأفرز وجهة نظرمعاكسة للاستراتيجية الأمريكية إضافة إلى أنه عجّل بظهور حركات المقاومةو التطرف المختلفة.كل هذه الأمورتصوغ منا كيانا مشتركًا،يجب أن يحافظ على وجوده.

إننا الآن نشهد عصر النكتلات الكبيرة،على مستوى العالم، ولعل أهمها هوالتكتل الأوروبي رغم ما فيه من قوميات متنافرة، أضف إلى أنهالا تزال قريبة العهد من الحربين العالميتين،لكن مستجدات العصر المدروسة دفعتها لضرورة التقارب والاندماج، بشكل معه تستطيع أن تقف في وجه الطوفان.

إن ثورة الاتصالات، هي من ضمن المستجدات الهامة التي قربت المسافات، وعززت الأواصر الثقافية، والإعلامية، وأثرت حتى على

المفهوم القومي الإسلامي الذي لم يعد يمثل إشكالية، كما كان عليه في السابق، فقد نما إلى وعي الجميع أن الإسلام دين وحضارة، والعروبة ثقافة وهوية،مما يجعل من إعادة صياغة الفكر القومي كركيزة قوية موضوعًا مصيريًّا. يحتاج إلى شجاعةمن جميع الأطراف، وكما بدأت أول مرة في صدر الإسلام، حيث توسعوا شرقا وغربا حتى شكلوا إطار الاسلام الواسع، الذي يظهر الآن كفكر مقاوم نظرًا لاستهداف المنطقة العربية خصوصًا والعالم الإسلامي على وجه العموم.

آمل أن الفكرة قد وصلت، وإنْ هيَ إلا تعزيزٌ لما سبق وطرح من الإخوة المشاركين.

حرف الهاء

المكيفات

كانت أغرب عِمَّة في القاعة، هي عمامة الهاء.

لا لكبر حجمها وكثرة طياتها ولفائفها، وإنما لمظهرها المميز الذي يكاد يخفي وجه الهاء تمامًا، فيبدو أنه وكأنها عمّةٌ تلبس جسدًا، وليس العكس، أو أنها عمة متحركه تمشي على الأرض أما بالنسبه للحاضرين فهي معروفة ربما للجميع، لوجود شبه بينها وبين العمة السودانيه رغم أنها في الواقع بقيافة تشبه المشدّة التي يلبسها الهنود في حفلات أعراسهم ،والدليل على ذلك أنه يتدلى من مؤخرتها ذيل طويل، قيل إنّه جاء هكذا حتى يتمكن من الارتباط بحرف آخر، يأتي بعده ،أو بعبارة أخرى يأخذ بيده، أما حين ياتي هو آخر المجموعة فهو بلا شك يدع تلك العمة تمامًا ويتجرد منها، وكأنه يحتج لوقوفه في آخر الصفوف، ولعل لتلك الفرحة التي يبديها الهاء عندما يأتي بمفرده أو يكون في أول الكلام ما يبررها ويجعله مبالغ في قيافة عمامته عندما يكون في الصدارة،لا لشيءٍ إلا لأنه في الترتيب الأبجدي في أسفل القائمة. أي أنه من حيث التصنيف العالمي، في خانة الدول الأقل نموًّا والأكثر فقرًا.

ولكن ذلك لم يكن يمت لواقع المهرجان بصلة قوية، فقد بدا على وجهه من التواضع والحياء ما أثار الفضول والاستفزاز، حيث وجهه لم يكن ممتلئًا بشكل يتناسب مع العِمّة وحسب، بل كان ضامئًا وهزيلًا وقميئًا تكاد عظام وجهه أن تكون بارزة، لكن ومع ذلك فهو وجهٌ لا تمل من التطلع إليه لسبب لا يعرفه أحد. خصوصًا عندما بدأ يتكلم.

ولولا هذا المكان البعيد الذي يعقد فيه المهرجان لقلنا إنّه وجهٌ خرج للتو من اليمن، وبالذات من مجلس القات، في تلك البلد التي يفني الناس حياتهم فيها في تناول القات وتدخين النرجيلة أو السجائر، وتكون ملامحهم بعد هذا المقيل مشحونةً بالقتامة، تبعث على النفور.

تلك السحنة على ملامح الكاف، والتي جعلت أذناه تبدوان وكأنهما أكبر من المعدل، لم تكن إلاّ ظاهرية على ما يبدو، فقد كانت تخفي تحتها ابتسامة غير معلنة على ذلك الوجه المعيّن الشكل، تجعل الرأي له يألفه بسرعة، ويجزم بطيبة قلبه، وصراحته الفطرية، غير الجارحة، وذلك ما تأكدنا منه بعد إجراء حديث معه بعد الاجتماع، إن خفة الطبع هذه والوعي بالذات والاقتصاد في الكلام، الذي كان يجيء غالبًا عبارة عن

تعليق ساخر يحتوي على عدد قليل من قاموس الألفاظ تسمعها منه عدة مرات ولا تملها، ومهما كان الموقف حرجًا،

كل ذلك جعل الناس معظمهم يرغبون في ممازحته وهو لا يبدي أي تذمر أو انزعاج. إنه أنموذج فريد، له رؤية فلسفية خاصة للناس والحياة، عنوانها الوفاء، وعدم التكلف،ليس شخصًا كاملًا بالطبع لكنه يذكرنا بقول السمؤل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداءٍ يرتديه جميلُ

وبقدر ما كان يمزح معه حتى الشخصيات المتهجمة وتُدِلُّ عليه، بقدر ما كان هو نفسه يرغب في ذلك، لا ليجعل من نفسه أضحوكة وإنما قد يهجو نفسه ساخرًا في أول الكلام ليتمكن من الدخول إلى قلب المتلقي فيطرح عليه ما يريد.

وتحقيقًا لذلك، فما إن وصل إلى المنصة ليتحدث حتى بدأ ينطق بالهاء، وقد بدا وكأنه لم يبذل أي مجهود في نطقه، لأنه كان يخرج بزفير عادي وفمه مفتوح ولا يحتاج حتى إلى شفتين ولسان وشفتين لنطقه .

كور الهاء جسمه الملفوف، وانفجر (وكأنه يعترض على ما سبق طرحه

من زملائه الحروف)قائلًا:

نصفُ قرنٍ،

ودمانا مُرْسَلاتٌ،

ومراعينا، صراعاتٌ، وقمْعٌ،

وقيودٌ في الشفاه.

وقبورٌ جامعاتٌ، في ضواحينا،

وأطفالٌ يتامَى، وثكَالَى، وطغاه.

نصفُ قرنٍ،

ومآقينا جفونٌ مثقلاتٌ،

ومقاهِي وتكايا،

وحديثٌ ليس يبدو، منتهاه.

فِكرنا، أقدرانا، أعمارنا، طَقْسٌ تَوالى،

وتفاهاتٌ نسمِّيها حياه.

شِعرنا، مدحٌ، وتقديسٌ،

أغانينا شجونٌ،

ومواويلٌ، وأنَّـاةٌ، وآه.

رَكْبُنا يمضِي، ولا يمضي،

ونخطو ثم لا نخطو،

نربِّي ضعفنا،

نسبحُ في الأوهامِ، حتى في الصَّلاة.

نبتني جيشًا من الاعداءِ،

نُذكي نخوة الشرقِ،

ونُجْري غارةً،نحوَ عدوٍّ لا نراه.

نتغنىّ بالبطولات،

نربِّي عِصمةَ الوالي،

ونتلو قولهُ وحْيًا،

و ظلًا للإلهْ.

يومُنا، خمرٌ، وقاتٌ، وحشيشٌ،

وغدٌ، للغيبِ، أن حاقَ بِنا أمرٌ،

سنُبدي ما نراه.

ليْلُنا وحشٌ،غريزيٌّ، بهِيمٌ،

لا يرى في الليل إلا شوقَهُ، أو مُبتغاه.

دَرْبُنا دربُ الأيامَى، وسبيلُ القانعينَ،

المُدْرِكينَ الموتَ، في كلِّ اتجاه.

جَارُنا، نكلؤه بالحقد،

نُؤذِي غيرنا، نحتالُ، نرْشُو،

ثم ندعو.. يا إلهي، لم يَعُد فينا تُقاه.

يدخلُ الغَزو، إلى مَخدعِنا،

والبعض فينا يألفُ الموتَ،

ويأوي في جدار الصَّمتِ،

ينسَى محِنة الأوطان، يرمِيها قفاه.

إخوتي، لا تنبُشوا الماضي،

فللماضِي، رجوعٌ،

ولأرواحِ الذينَ استُشهِدوا فينا،

حُضورٌ وانتباه.

هل تُرَى.. نبدأُ بالفعلِ ؟

إن ثار اختلافٌ،

فكلامُ اللهِ باقٍ،

وحديثُ المصطفى، حيٌّ،

بإجماعِ الرُّواه.

أخذ الهاء شهيقًا عميقًا، بعدأن فرغ من مقطوعته، وهو يحاول أن يعود إلى هدوئه، وبعد أن تطرق بإيجاز إلى بعض القضايا والهموم التي تُطرح في مثل هذه اللقاءات ركز على موضوع بعينه ومما ذكره:

لن أتشعب بالحديث فقاموسي اللغوي محدود بطبعي، كما أنني لست خطيبًا مفوهًا أو مفكرًا معتدًا بفكرة ما يقاتل من أجلها، فأنا أقبل الأمور على علاتها واقف من جميع الأمور، والتي لا أتجاهلها، موقفًا أقرب إلى الحياد محتفظًا لنفسي بحق رد الفعل منها متى ما أشاء وحيث أشاء.

ولعلي أريد التطرق إلى ما ألمحت إليه في القصيدة، عن شجرة القات، ونظائره،كالحشيش والأفيون وغيرها، والتي تغزوالعديد من بلدان العالم، لكني أخصص ملاحظتي عن القات، تلك الشجرة التي استحوذت على شعبنا العربي في اليمن كما يستحوذ الشيطان على الرجل الغِرّ الجاهل حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياة الناس هناك، وهذه قضية لم تطرح بعد كمشكلة لا رسميًا ولا شعبيًا حتى الآن.

كما أن المحافل العلمية والطبية (المتواضعة جدًّا في بلداننا العربية) قد عجزت عن تصنيفها من المخدرات من جهة ومن المنبهات من جهة أخرى رغم أن هذا التصنيف لم يأت إلا من دول خارجية لا تمارس مضغهُ وربما لم تكن قد رأت شكله.

والحقيقة أنّ القات نفسه بشكله وتأثيره المتميز، المرتبط ارتباطًا وثيقًا بتركيز مواده الفعالة وبحسب الأرض التي ينبت فيها،يظهر تأثيره متعدِّدًا بتعددتلك الأماكن التي يزرع فيها، وإن تأثيره الحقيقي لا يعرفه إلا من تعاطاه لأعوامٍ طويلة وتحت ظروف نفسيه واجتماعية متعددة، فالقات ليس في نظري مشكله حضارية فحسب، يمارسها شعبٌ بكامله بكل طبقاته وفئاته، مدّعيًا بأنها خصوصية وانها أهون الشرّين اذا ما قورن بالمخدرات، لكنها مشكلة اجتماعية واقتصادية تدخل في صميم الحياة اليمنية وتطبعها بطابعها المشحون بالكدر وردود الأفعال الخاطئة.

ساعة أوساعتين في المقيل على الأكثر يدبُّ فيها نشاطٌ ذهني، وفي مواقف أخرى عضلي، تتوارد فيها الأفكار التي يقبلها، حتى الذين لا يمضغوه،رغم أنها غير متسلسلة منطقيًّا، تحدث بعدها فترة انسحابية

تختلف باختلاف نوعية القات، والتي غالبا لاتكون معروفة قبل تناوله، وباختلاف الشخص نفسهِ، والهمّ أو الموضوع المطروح في الجلسة.

أما التعلّق به، إن لم نقل إدمانهِ، أو تعودهِ جسديًّا، ونفسيًّا، فهي متعدده تبعًا لاختلاف الظروف المحيطة واختلاف نوعية الشجرة التي تبدو أنها أكثر من أن تحصى، وحيث إن إدمانها لا يتعدى حدود الأربع وعشرين ساعة، إلا أن تناولها يوميًّا وبنفس الوقت المعلوم يبدو وكأنه إدمان اجتماعي شامل مدى الحياة.

وتلخيصًا، لقد فعلت هذه الشجرة التي لم تدخل اليمن قبل أكثر من نحو ثلاثة قرون، فعلت بشجرة البن الشهيرة عالي الجودة ما فعله الأمريكان بالهنود الحمر، وسكوت الدولة المستفيدة من ضرائبه، لا يبرر ذلك مطلقًا، بَلْ وقد يخدمها، خلود الناس نصف يومهم أو أكثر قابعين يفضفضون بكلام لا يتعدى الجدران في أماكنهم المغلقة، يوفر على السلطة الكثير من وجع الرأس، حيث لا تظاهر ولا اعتصام ولاحياة في الشوارع، والمنشآت الاجتماعية، التي هي بدورهامعدومة وفقا لذلك.

تجدر الإشارة هنا،إلى أن أثمن سلعةفي العالم اليوم بالدرجة الثانية بعد النفط، هي البن حيث أصبحت تقوم عليها صناعات متعددة،

وبهذاالتوسع في زراعة القات، الذي لوكان لصا لح شجرة البن لكانت اليمن أغنى من الدول النفطية، وقس على ذلك مختلف المحاصيل التي تتميز بها كل منطقة على حدة.

من المردودات السيئة لهذه الظاهرة:

التقوقع الاجتماعي المنغلق، واجترار الإحباط اليومي بتأثيرات الانسحاب، والتعامل الفظ صبيحة اليوم التالي والخالي تقريبًا من كل عبارات التهذيب والمجاملة والمائل إلى العدائية والتهكم ،كل هذا يؤثر على السلوك الاجتماعي العام على مستوى البلد، فتنكمش السياحة الداخلية، وتنعدم المؤتمرات الوطنيه وتقل حدود التعارف الاجتماعي، وتنحصر ثقافة الجلساء على ثقافة خلطائهم، وينعدم الفرح الجماعي، والشعور الانتمائي العام للقضايا الوطنيةالعامة.

أما الوضع الاجتماعي الأُسري، فهو يؤكد حجم الكارثة، فالغالبية العظمى من معيلي الأُسر، ينفقون على القات ما يزيد على نفقاتهم على طعام أسرهم وتربية أطفالهم وتعليمهم، ويبددون نصف نهارهم ومعظم ليلهم في فراغ غير منتج، ما عدا استثناءات حِرَفية محدودة. أما روح المرح

وحسن العشرة في الأسرة، فقد تكاد تخلو من اللطف والدعابة وروح المجاملة، وما لذلك من تأثير على نوعية الحياة، وتربية الأبناء.

خلاصة القول إن هذه الشجرة قد صَبغت الحياة في اليمن بكاملها بلون أخضر داكن لا يستطيعون الفكاك منه مطلقًا ولا التخلي، وأكثرهم قد يرغب في صدور قرار قاطع مانع لذلك، لكنه يأمل أن يكون قرارًا فوقيًّا قسريًّا ملزمًّا للجميع.

إن الحياة في اليمن قد وهبت نفسها للقات بدءًا من تصميم بيوتها المناسبة لذلك والتي هي أكثر أسباب مخالفات تخطيط المدن إلى علاقات النساء والرجال، إلى جعل كل النشاط الاجتماعي والتبادل التجاري والحياتي، من أفراح، وأحزان، وعقد شراء وبيع وزواج، وقضايا شرعية ،كلها لا تتم إلا تحت مظلة القات، كما أنّ تفشي الرشوة والفساد المالي والإداري معظمه باسم حق القات الطبيعي والشرعي، شكرًا لاستماعكم.

ء الهمزة

نصف المجتمع

بدا رئيس المهرجان كمن يتحفز لإعلان انتهاء الفعاليات، بعد انتهاء الهاء من أطروحته، وكأن النشاط قد دب في جسده من جديد بعد عناء الاستماع وإدارة المشاركات السابقة، فبدت يداه مرتكزتان بكوعهما على حرف الطاولة التي أمامه، وكأنه على وشك النطق، تجلّى ذلك من أساريره المنبسطه.

أهم من لاحظ ذلك في القاعة هي الهمزة، التي قفزت إلى حافة الكرسي وصفقت بجناحيها الصغيرين الجميلين صارخةً:

وماذا عني أيها الرئيس ؟ أليس لي دور في هذه المناسبة ؟ إنني هنا أمثل المرأة، وأنا الوحيدة في هذا التجمع التاريخي المشهود وقد أشرتم إليَّ في كلمة الافتتاح. أليس كذلك ؟

عاد الرئيس أدراجه واستند إلى ظهر الكرسي، واعتذر بتلعثم واضح ثم أردف:

تفضلي يا أختنا الهمزة، كنا سنقع في خطأ تاريخي هذه المرة.

طارت الهمزة على الفور، وفي منقارها المخضوب بلون العندم أو الحناء ورقة، ما إن وصلت حتى وضعتها على الطاولة، وأسفرت عن وجهها وبدأت قولها بصوت مرهف بمزج بين الحياء والشجاعة الأدبية والفصاحة:

إخواني الأشقاء السلام عليكم ورحمة الله

فرد الحاضرون جميعًا هذه المرة كلهم وبصوت مسموع وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

في هذه المناسبة الغالية وهذا المشهد التاريخي الحاشد، يسعدني أن أقف أمامكم متحدثة بالأصالة عن نفسي ونيابة عن كل امرأة عربية وأضم رأيي إلى جانب أرائكم القيمة، ليس هذا وحدهُ، بل ولأن هذا المهرجان هو أبجدي الطابع فلعلي أتشرفُ أن أكون مساهمة كهمزة وصل بين مختلف الآراء البناءة، معتمدة بذلك على شقيقاتي النساء في كافة المجتمع العربي واللاتي ستصلهن، عن طريقي، صورة مفصلة عما أسفر من اجتماعنا المبارك هذا.

لاغرو إن تجاهلتني الأبجدية العربية، فأنا فعلًا رديفة الحرف الأول فيه وهو الألف، آدم الحروف إن صح التعبير، ولعلي فد خلقت من ضلعه الأعوج.

ابتسمت ثم أردفت مازحةً. وطبعًا كل أضلاع الرجال عوجاء، لذا فأنا رفيقة دربكم عبر التاريخ الإنساني كله وشريكة حياتكم الفعلية.

إنني هنا أمثل نصف مجتمعنا العربي، إن لم يكن أثر من النصف، ولستُ أتحدث اليوم، كما جرت العادة لمجرد إثبات وجود رسمي، إنما أقف كرفيقة وأخت وأم وإبنة، عليها من الواجب الوطني والمشاركة والتفاعل ما عليكم جميعًا فالمستقبل الذي نخطط له والواقع الذي نعمل على إصلاحه هو ما أتينا من أجله جميعًا إلى هذا المكان النائي.

وتعلمون بادئ ذي بدء أن واجبات المرأة في أغلب الظروف قد تفوق واجبات الرجل. مهما قللت من ذلك الأوساط الرسمية المذكّرة الطابع والهوية، وإذا كان التاريخ الإنساني بمجملهِ، قد أهمل قدر المرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية، فهو بذلك يهمل الاعتراف فقط بهذه المشاركة لإشباع نزعته الرجولية الغريزية، التي لا تنكرها المرأة الصالحة الواثقة.

فوقوف المرأة إلى جانب الرجل عبر مختلف مراحل التاريخ أمرٌ لا ينكره أحد.

لذلك فأول ما أنزل الوحي من الخالق على قلب خاتم المرسلين، أول من تلقاه من فمه الشريف هي أم المؤمنين خديجة. والإسلام هو أول من كرم المرأة ورفع من شأنها وجعل لها من الحقوق بقدر ما فرض عليها من الواجبات، الأمر الذي لم يرد في كل الشرائع القديمة.

بل أنه كلفها بما كلف الرجل سواءً بسواء من رعاية الأسرة إلى طلب العلم حتى فرض عليها الجهاد كما فرض على الرجل.

الحضور الكرام، دعوني أطرح عليكم وجهة نظري بصراحة ووضوح، ولن أستمر بامتداح وضع النساء في الإسلام بكلام إنشائي لا يتناول الإنجاز الفعلي.

إن واقعنا المعاش يعطي المرأةمساحة صغيرة جدًا في القانوني الوضعي المستنبط على أيدي الساسة، وليس على أيدي الفقهاء المجتهدين، وقد ثارخلاف في العصر الراهن وصل إلى حدّ هل يسمح للمرأة بقيادة السيارة أم لا؟ لأسبابٍ قد لا تبدو فقهية. إن علماءنا الأفاضل من السلف

الذين توصلوا إلى اعتبار بعض قضايا المرأة قضايا خلافية قد بذلوا جهدهم فيما مضى، ولكننا الآن في زمن غير زمنهم، يستدعي المزيد من الاجتهاد لهذه الخلافات، وإلا فمتى سيتم العمل على ذلك ؟

إن الإسلام هو دين الحرية والعقل والمشاركة الجماعية وهو النافذة الاوسع المفتوحة على الاجتهاد، لكن ما حدث من اجتهادات حول وضع المرأة لم يتعدى اجتهادات السلف الصالح الذي عاش ظروفًا اجتماعية غير الظروف التي نحن عليها الآن.

إن ما استجد بعد الإسلام من ثورات فكرية وثقافية على مستوى العالم قد أحدث من التغيرات في المعارف والعلوم والعلاقات الشيء الكثير، فمنه ازدياد عدد سكان المعمورة إلى هذا الحد المضاعف، إلى النهضة الصناعية والتكنلوجية الهائلة والمتسارعة، كل ذلك إنما حدث بروح المشاركة والتعامل بين الرجل والمرأة والمستوحى من روح هذا الدين العظيم. ازاء هذه الحركة الهائلة التي تعم العالم نجد هذا السكون والثبات والجمود في مجتمعاتنا،مما يجعلنا نطرح التساؤلات، ونكثر من طرحها. ووضع المرأة ودورها في خضم هذه التغيرات هو الأهم إذا شئنا المواكبة

والتطلع إلى عالم أفضل لا يتأتى إلا عن طريق نتاج أفضل لكافة أفراد المجتمع.

إننا في المقام الأول لا نشير إلى ضرورة خروج المرأة للعمل ومخالطة الرجال في جميع أماكن وجودهم بل نشير إلى حالات خاصة مدروسة تضطر أو تستدعي الحاجة فيها المرأة للخروج للعمل في وسطٍ يكفل لها عفتها وعدم استغلالها. وقد قيل إنّ المرأة العصرية لم تحرز من النجاح بعد خروجها، في الغرب مثلًا، أكثر مما أحرزته قديمًا في بيتها حين كانت تحكم العالم من فوق سريرها.

لكننا نطالب بوضع المرأة في عين الاعتبار عند حدوث أي نوع من أنواع التغيير في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية.

كما أننا لا نقول باستنساخ العلاقات الغربية، وإنما الإفادة من إنجازاتها في هذا المضمار واستيعاب النتائج الإيجابية لهذه العلاقة، واضعين بعين الاعتبار خصوصيتنا الثقافية والدينية.

أما اعتبار جسد المرأة مسألة استثمارية في برامج الدعاية والإعلان، والأغاني الهابطة، والأفلام الخليعة، فهذا لا يمتُّ إلى الحضارة والتحضُّر

بشيء، بقدر ما يقلل من شأن المرأة ووضعها سلعة وإنزالها من مقامها الرفيع إلى الحضيض ولايختلف عن استعمالها كسلعة أوجارية، تباع وتشرى بالمال كما كان قديمًا.

من هنا نشدد على ضرورة وضع الضوابط الاجتماعية قبل تعزيز أوضاع المرأة في المؤسسات المعنية بذلك والأكثر من ذلك نطالب المجتمع ككل، رجالًا ونساءً للتصدي لموجات الإباحية والفتنه عن طريق وسائل الإعلام كما ذكرنا، لما في ذلك من تأثير وخيم على النشء والأطفال وحتى على بعض الكبار للأسف الشديد.

إننا كمجتمع عربي مسلم، نلاحظ أنه قد اختلط علينا التشريع السماوي مع الأعراف والتقاليد البالية التي لا تزال راسخة في جذور مجتمعاتنا القبلية الطابع والهوية حتى اليوم أو تلك التي عادت بعد الاسلام وبعثت بعد الإسلام من جديد، عن طريق الأفكار والثقافات الشعوبية المغرضة.

ولعله من الجدير أن نذكر هنا أن بعض النماذج التي تقدمها بعض الدول الإسلامية الصغيرة في جنوب شرق آسيا المتعددة الأعراق في تنظيم علاقات الرجل والمرأة في المنزل وفي العمل ما يستحق الدراسة والتقييم.

ولنكن إخوتي الأعزاء صادقين في طرحنا، عند الحديث عن المرأة، إن ما نلاحظهُ من نقاش وجدال حول المرأة لا يتجاوز موضوع النقاب والحجاب، ولاتكاد تذكر المرأة هنا أو هناك إلا وظهرت مسألة النقاب والحجاب والجنس ويثور الجدل ويتوقف عند حدود هذه الدائرة ولم نجد طرحًا وافيًا يتناول أولًا بأول إنسانية المرأة وقدراتها ومدى استغلال طاقتها ومواهبها أو وقتها الفائض توظيفًا حسنًا.

أما النقاب على غرار النموذج الطالباني، فهو أمرٌ مبالغ فيه ولا تحتملُه ظروف العصر الحياتية وقد جلب على أمة الإسلام من العداء ما تعرفونه جيّدًا، أضف إلى هذا أنه يسلب المرأة حضورها، ويرميها في الاتكالية النفسية والعقلية على الرجل، حتى تتلاشى شخصيتها فتكون بذلك عبأً مضاعفًا على الرجل، في حلِّها وترحالها ومرضها وعافيتها، فتعجز عن معالجة الأمور البسيطة قبل الكبيرة حتى في داخل الأسرة، والتشبع بالحياء الناجم عن تربيه قمعية فقد يتدرج حتى الخوف ويوقع المرأة في الخطأ وكتمانه رغمًا عنها، وأحيانًا قد يجلب العناد والتمرد، ولا أحب أن يُفهم أني أخالف هنا مبدأ الحياء والذي هو شعبةٌ من شعب الإيمان ومطلوب من الجنسين، سواءً بسواء. إنني ومن خلال تجربتي الشخصية وفي زحمة المدن

هذه، التي تتفاقم باستمرار، أستطيع أن أؤكد لكم، أن المرأة السافرة الوجه والكفين، هي أقل عرضةً للتحرش، وموضع احترام من الجميع خصوصًا إذا التزمت بعدم التبرج، وآداب المشي والحديث في طريقها، كما إنكم لا تغفلون عما أحدثته تكنولجيا الاتصالات من أثر على هتك الحجب بين الجنسين الأمر الذي يستدعي التوقف عنده ووضع الضوابط والتقييم والدراسة.

لا أطيل عليكم ويكفي ما أوضحته من رؤوس مواضيع ولا أطرح على حضراتكم هنا فتاوى فللفتوى رجالها الذين يجب ان يؤازرونا ويضعوا لنا الحلول المناسبة ويتفهموا ما نرمي إليه ويوجهوننا للطريقة الأمثل لنخدم وطننا بشكل أفضل فننال جزاء الدنيا والآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صفق أكثر الحاضرين للسيدة الهمزة بما في ذلك رئيس الحفل الذي تهيأ للكلام الختامي وأعقب ذلك مباشرة قائلًا:

حرف الياء

إختتام المداولات

آخر العنقود هو أنا طبعًا وكم كنت أود أن أطرح بين أيديكم رؤيتي الخاصة والتي كنت قد أعددت جزءًا منها، لكني فوجئت بترشيحكم لي لرئاسة المهرجان، ولذا اسمحوا لي باختتام هذا الحفل البهيج، وأنا إذْ أنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن مدى سعادتي بكم وبانضباطكم الرائع، وما قدمتموه من مساهمات جليلةنومن وعي يفوق التوقعات، راجيًا لكم السداد والثبات، وأشكركم من كل قلبي وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله.

أضاف قائلًا:

بعدهذا سنختتم فعاليات هذا اليوم ونستأنف الجلسة الختامية بعد يومين لإعداد البيان الختامي الذي يجب أن نعدّه اعدادًا جيدًا من خلال ما طرح لأنه قد انتهى عصر إعداد البيانات المسبقة المعدّة سلفًا وشكرًا:

عقب الانتهاء من مشاركة الأعضاء جميعًا، والتي اختتمها رئيس المهرجان، بعد أن عاد إلى موقعه، فتح باب النقاش والمداخلات، التي لم

يسمح بها أثناء المشاركات، فرفعت العديد من الأيدي بإلحاح، وتم تدوينها من قبل أحد الياءت المساعدة بجوار الرئيس، والتي سبق وأن اختيرت بالتزكية من الحضور.

أسفرت النتيجة عن الآتي:

١-حوالي نصف المداخلات، كانت تأييدًا لطرح هذا الزميل أوذاك، ومحا ولة لإثراء الموضوع نفسه والاختلاف الناشىء كان على ترتيب الأولويات.

٢- نسبة لا بأس بها من الباقين أخذت شكل اختلاف وجهات نظر سياسية، فكرية، دينية، أو بالأحرى شكل جدل علماني إزاء فكر ديني أصولي.

٣-نسبة قليلة كان سفسطائيًّا، لمجرد إثبات الوجود.

٤-النسبة الأقل، أخذت شكل تراشق لفظي بين بعض أنظمة الحكم،ملكي/ رئاسي، وخلافه. إلا أن الرئيس تنبه لذلك، وأمر بإحالة ذلك إلى عقد لقاءات جانبية، ومشاورات جانبية على هامش

الفعاليات،لتقريب وجهات النظر، وتنقية الأجواء، وتعزيز الثقة، وتبديد واجتياز حواجز الوهم والمكاشفة الصريحة والواعية.

٥-كان هنا ك بعض تعليقات انفرادية، ركزت على بعض الألفاظ، وأكدت عدم التجانس في الطرح النثري والشعري، وإفراد لقاء أدبي خاص للشعر؛يكون برعاية الشؤون الثقافية، يحضره النقاد والمهتمون بهذا الجانب.وقدحصل تأييد لهذا الطرح، والتجاوز عن ذلك،هذه المرة، وبصورة استثنائية،لما لذلك من أثر في التنفيس عن الكرب الذي لازم الأعضاء عقب الأحداث غير العادية الأخيرة، وعدم التقليل من أهمية الشعر في التعبير عما هوأعمق في الأحاسيس والوجدان، ولا تتسع له العبارة النثرية.

الفصل الثالث

الجلسة الختامية

لم تكن تلك المدة القصيرة وهي يومان وليلتان فقط حُددت للجنة الصياغة التي تم انتخابها من الحاضرين، لم تكن سهلة، أولًا لأن الجميع كان يرغب في المشاركة، لكن ذلك لم يحدث، وتم اختيار خمسة أعضاء، قضوا فترة حامية الوطيس في المناقشات وعمل المسودات وانتقاء العبارات المناسبة، لم يذوقوا فيها طعمًا للنوم والراحة٠

افتتحت الجلسة عند التاسعة صباحًا، وبحضور الجميع دون أن يسافر أحد منهم قبل الجلسة الختامية مدعيًا بانشغاله أو تاركًا المسئولية لوزير خارجيته، كما كنا نعهد.

بدأ الرئيس الجلسة الختامية قائلًا:

ما توصلنا إليه أيها الإخوة الحضور، لا يشمل كلما طرح من أفكار في اجتماعاتنا السابقة، كما أنه لا يمثل حلولًا فورية لكل القضايا العربية المطروحة، فهي كومٌ هائل من السلبيات التي أشرتم إليها باقتضاب، بل وأوسع مما طرح فعلًا في هذه الفترة القصيرة نسبيًّا ونحن خصوصًا بصدد معالجة تاريخ بكامله أو عصرٍ، بجميع تناقضاته.

وما توصلت إليه اللجنة (لجنة الصياغة) عبارة عن رؤوس أقلام وأفكار عامة يسهُل علينا تحليلها بعد تشكيل اللجان التي ستنعقد بعد هذا اللقاء، لنجعل منها إطارًا عامًا ومرجعيةً لعمل الدراسات والبحوث والاقتراحات التي ستتواصل بإذن الله بنفس الهمة والعزيمة، وقد بـذلنا ما في وسعنا للبناء على قرار القمم العربية السابقة التي كانت تعقد قبل الأحداث ويؤسفناأن معظمها مفقود، والبقية الباقية لم نجد فيها خططًا محسوبة ومنهجية علمية متواترة، أودراسة إحصائية، ويبدو أنها لم تكن إلا حالات تسكين موضعي لأحداث خلت للحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من توازن في معظمه سياسي وخالية من أي تخطيط حضري نهضوي أو مشروع حضاري جديد.

ولذا نحن إزاء هذا نبدأ من جديد، ونجُبّ ما قبلنا، كالعادة، وللأسف، ونبدأ تاريخنا جديدًا من أول صفحاته التي سنحرص أن تبدأ من الواحد ليتواصل العدد دون عودة من جديد إلى نقطة الصفر، كما كان قدرنا فيما مضى.

هذا تقريرنا بصورة عامة، وإذا كان لأحدكم اقتراح فليتفضل به الآن قبل ان نبدأ بقراءة البيان.. وصمت برهه، لكنها لم ترتفع الأيدي.

فواصل حديثه قائلًا:

ملحوظة أخيرة، استبعدنا من القرارات والتوصيات كلمات: نشجب، ونندد، ونعرب عن، ونهيب، ونطلب، ونرجو،.... إلخ المفردات التي درج عليها أسلافنا، وآثرنا فصل الخطاب، والكلمة السواء بما يضمن لنا البدء الصحيح وعدم استعداء الغير تحاشيًا لفتح عراقيل جديدة تحيد بنا عن الخط المرسوم.

البيان

في المهرجان الكبير الذي عقد بتاريخ: ١/ ١/ سنة دون ومكان(.......) والذي جمع أعضاء الحروف العربية بكاملها، عقب الأحداث الجسيمة التي شهدتها المنطقة العربية أبان الغزو الأجنبي والتحالفات المتواصلة، وما تعرضت له أُمتنا بكاملها من شتات وإهانةٍ لكرامتها ومقدراتها وثقافتها وحريتها توصل الحاضرون إلى ما يلي:

أولًا: ١ـ طالما الوضع العربي العام لا يزال غير آمن وغير مستقر، كما أنه لم يتم بعد تشكيل الحكومات لإدارة الوضع الانتقالي الذي سيعقبه الاستفتاء العام ثم الانتخابات الديمقراطية النـزيهة، الخالية من أي تدخل خارجي تقرر تأجيل صياغة الأنظمة، والقوانين والبرامج والخطط على حين تشكيل الحكومات وصياغة الدستو رالدائم والموحـــــد.

٢ـ وحيث إنّ المجتمعين لا يمثلون حكومات قطرية عربية شرعية، وإنما زعماء العشيرة الابجدية العربية الواحدة، والذي مثل كل فرد منهم شكل حكومةٍ قُطرية محدودة ونظام حكم محدد، ليعكس دور تلك

الحكومات التي تهاوت على أثر الانفلات الأمني والسياسي الذي حل بالمنطقة العربية.

لذا قرر المجتمعون حصر البيان الختامي على إشكالية اللغة العربية الفصحى التي هي أساس الفكر وموضوع المهرجان وحديث الساعة والإطار العام لهذا المهرجان التاريخي الهام.، جنبًا إلى جنب مع ما طرح في المهرجان من أفكار نعتبرها أوراق عمل يكون الرجوع إليها مستقبلًا

والخلوص من ذلك إلى افكار عامة وتوصيات تكون اطارًا عامًّا وورقة عمل عربية موحدة للحكومات القادمة التي سيكون على عاتقها تنفيذ رأي الشارع العربي وتلبية طموحاته المنشودة.

٣ـ تأجيل المواقف السياسية، والدولية إلى أن تعود المياه إلى مجاريها وحتى تشكيل موقف سياسي عربي موحد، أو صيغة ما، من صيغ التكتل.

ثانيًا: بالنسبة لقضايانا العربية الداخلية، نشيد ونثمن، هذا التكتل المعنوي العام غير المسبوق الذي شحن جميع أعضاء الأسرة العربية الواحدة في إطار أبجدي واحد، ونقدر بصورة خاصة ثنائية التكتلات التي أعلنتها بعض الحروف العربية مثل الدال والطاء والظاء والعين

والغين، ونعتبرها اللبنة الأولى والخطوة الرائدة في الاتجاه الصحيح ونهيب بالمؤتمرين جميعًا السعي الحثيث للمزيد من التكتّل، ولو على غرار الحروف السابقة الذكر والمتشابهه أيضًا في تحاورها وبنيتها، والأكثر اتصالًا في النسب والأراض والجغرافيا مثل ج، ح، س ش، ص ض وغيرها سعيًا وانتقالًا لتحقيق التكتل العربي الكامل.

ثالثًا: الحرف العربي: لغةً واصطلاحًا، وسيلة وغاية، نصًّا وروحًا، شكلًا ومضمونًا، هويةً وانتماءً، قضية وحلًا، ضابطًا وإطارًا للجميع حاضرًا، ومستقبلًا.

١ـ الحرف العربي:

إن الحرف العربي، والذي يعد الإطار العام لهذا المهرجان الثقافي التاريخي الكبير، بشكله الحالي يعتبر مصدر فخر واعتزاز لنا جميعًا، وهو الواجهة الفنية والقالب الإبداعي لجميع تراثنا العربي الإسلامي الفريد.

وإن أبجديتنا الرائدة لهيَ الأتم والأكمل من جميع أبجديات العالم كافة، بل وهي بحق أم الأبجديات الإنسانية المعروفة، والأكثر مرونه، واختزالًا، والأغنى رمزًا والأجمل شكلًا بين لغات العالم.

إن هندسة الحرف العربي وخطوطه التي ابتكرت منها قواعد وخطوط اللغات الأخرى الرئيسية والفرعية ستظل مصدر إلهام لنا جميعًا.

وإن اختراع الرقم العربي والصفر العربي بجانب الحرف، وما عُرف حينها بالحروف الغبارية والمعمول بها في العالم الآن فهو لا يزال أهم الاختراعات الإنسانية التي مثّلت حجر الأساس للنهضة العالمية الحديثة.

إن حروفنا العربية، برؤيتنا الجديدة، التي انبثقت من هذه التظاهرة الثقافية الهامة من حيث شكلها الحالي، تعتبر انعكاسًا مرآويًا حقيقيًا لواقعنا الذي نجاهد لإعادة النظر فيه والحفاظ على كنوزه وإسقاط ما اعتراه من سلبيات وعثرات.

وعند إمعان النظر في كل حرف على حدة نجد أنها جميعًا أو غالبيتها على الأقل، لا تحمل نقط ارتكاز أو مراكز ثقل من حيث الشكل، وهي تقف بمفردها على أرضية صلبة ومستوية، وإن كل حرف لا يستطيع التماسك، إلا إذا رُبط بزميله الآخر أو رفيقه المجاور ليكونا معًا، أو ليكونوا كلمة عربية واحدة قابلة للفهم، وقابلة للثبات والاستقرار، والفهم المتبادل، وهي أي الحروف بصدد ذلك ورغبة منها في التجاورِ والتصاهر، لا بد وأن تتنازل عن شيء ما في شكلها وقيافتها مما يحتم علينا

إقرار وتطبيق ذلك في حياتنا العملية كبشر وكأمة واحدة ولأن اللغة العربية هي مرآة الفكر العربي ودعامته فقد خلقت هكذا بشكلها الانسيابي المطواع المنحني والمقوس، لكي يلتوي كل حرف في بطن حرف آخر، ليشكلا أو ليشكلوا نغمًا لغويًا هرمونيًّا يعطي المفهوم والدلالة والجزالة والتأثير ويرسم وحدة فنية رائعة الجمال تجريدية الإبداع، الأمر الذي يضاعف من قدرات الحروف وهي متشابكة على قوة الاختزال وإثراء الرمز اللغوي وسهولة الرسم وحفظ الصورة وانطباعها في الذهن.

خصوصًا لو وضعنا في الاعتبار ملحقات الحروف جميعًا والتي هي القاسم المشترك الأعظم من نقاط ونصب وضم وجر وتنوين وسكون.

وقد يتبادر إلى الذهن أن أبجديتنا الفعلية ليست هي الثمانية وعشرون،عند حسبان تلك الملحقات، وإنما هي في الواقع ٢١٤ حرفًا منطوقًا، لكن الواقع غير ذلك، فهذه الملحقات إنما تمثل جهودًا تاريخيةً طويلةً لتصل إلى شكل لا نظير له في الاختزال، فلو كتب الحرف الأجنبي مثلًا بالفتح لاحتاج إلى حرفين اثنين بينما هو لدينا واحد.... وهكذا، ولولا نكوص الحضارة الإسلامية كما طرح سابقًا، وتأخرها ثقافيًّا لما تسنى لغيرنا اختراع الحاسوب، وتطويعنا للغته، وبرامجه ولكن ومع ذلك

فهذه إشكالية بسيطة يسهل إيجاد الحلول لها، لو أخلص الجميع وتفانوا في خدمة لغتهم كما فعلوا في السابق وسيخدمنا حرفنا العربي في ذلك بشكل غير مشكوك فيه.

ونحن بهذه المناسبة نحث ونشجع العمل المتواصل لتطوير لغتنا من حيث الرسم والشكل وتعديل ما يمكن تعديله لما يخدم اللغة ويجعلها أكثر سهوله ويسرًا واستخدامها مع الحفاظ على جوهرها العام وقالبها الأولي، ويصاحب ذلك اختراع الأدوات والأجهزة التي تحقق الغرض المطلوب.

ولذا نهيب بمبدعينا أن يواصلوا جهودهم التي بدأت منذُ القِدم في تطوير ورسم الحرف العربي لأن الثبات وتوقف الحركة يعني جمود الفكر والطموح الإنساني.

إن المناهج التعليمية في تدريس كتابة ونطق الحرف العربي المستورد من الخارج وهي ما تسمى بالطريقة الإجمالية في القراءة، قد أثبتت فشلها،من حيث السرعة والقدرةعلى تعليم لغتنا العربية فيجب العودة إلى تلك الطرق التي كانت متبعة ولا بأس من العمل على تجديدها وتطويرها على تلك الجذور المتبقية والمجربة، كما أن طريقة التحفيظ عن ظهر قلب قد أثبتت علميًّا أنها (في مراحل الصغر) تنمي الخيال وتوقظه، وتوسع

المدارك، وهي بسبب رسم الحرف العربي هذا كما قلنا تنطبع في الذهن الأمر الذي لا يحدث مطلقًا في لغة أخرى إضافة إلى ذلك يدرِّب الذاكرة ويجعلها غنية متماسكه ويسهل عملية استحضار الفكرة وربطها، لذا وكما سلف يجب إعادة النظر في واقعنا من جهة وفيما يصل إلينا من العوالم الأخرى.

٢ـ النطق العربي:

فيما يخص نطق الحروف الفصيحة، التي شهدناها جليةً واضحة في هذه الفعاليات وما حاول الجميع إبرازه من مخارج جزلية واضحة وجرس موسيقي سليم لكل كلمة من الكلمات شعرًا كان ذالك أو نثرًا يؤكد لنا جميعًا، ويؤكد لغيرنا من غير الناطقين بالعربية، أن لغتنا هي الأكمل والأجمل والوسطى في نغماتها والأسهل والألطف ايقاعًا على المسامع، وسهولة ما يرافقها عند الحديث من تعابير سلسة على الوجه والفم أو الشفاه، حيث لا يوجد غريب لفظ، ونغمة نشاز على المسامع، كما أنه لا يوجد فيها تكثيف لحروف دون غيرها في مجمل الكلام كما في بعض اللغات التي تكثر فيها الشنشنة والتأتأة وغيرها، فالعبارة العربية مجملًا هي

حرف إيقاعي متجانس لا يسبب الضيق والضجر ولا يبعث على الازدراء والسخرية والملل، ويكفيها فخرًا انها لغة القرآن الكريم كلام الله تعالى.

إضافة إلى هذا أن الوسطية والاعتدال الصوتي العربي، هو ما مكن العرب من إتقان أي لغة اخرى، شرقية كانت أو غربية، على عكس باقي اللغات التي لا تستطيع نطق الهاء مثلًا فتجعله خاءً أو الأخرى التي تكون عكس ذلك.

والمهم هنا أن نحافظ على تجويد لغتنا ونطقها الصحيح دون تحريف لهجوي والنظر بجدية إلى ما يسمى الآن باللهجة البيضاء، والتركيز على التحريف اللهجوي الذي تشنه بعض القنوات بلسان المذيعات الجميلات المغنجات كاللبنانيات التي تكسر القواعد وتحمل نفحة التأثر الثقافي الفرنسي، إلى الحد الذي جعلها تقدم الصفة على الموصوف وتحذف المثنى والمفعول المطلق والمفعول لأجله وألف الاثنين، ونون النسوة، وغيرها على سبيل المثال لا الحصر وتطعم نصف الكلام بالمصطلحات الأجنبية التي تدريجيًّا ربما تحل محل المفردات العربية وهنا تتحول لغتنا إلى مسخ كلامي غير واضح وما ينجم عن ذلك مِن تشويه للفكر ومسخ للشخصية العربية.

٣ـ اللغة العربية الفصحى إجمالًا بين الماضي والحاضر:

إن علم اللغة، أو الفلسفة اللغوية، وهو علم حديث، ظهر في مطلع القرن التاسع عشر على شكل تاريخ مقارن، وقد اختلفت الآراء في حينها خصوصًا حول أول من وضعه، وحول موضوع تغير اللغات عمومًا وتطورها هل هي بفعل قوانين عمياء. أم أنها جزء من الظواهر الحياتية العامة كظواهر الفلك والطبيعة هكذا كله نشأ خارج منطقتنا العربية ولم يكن لنا من رأي حول ذلك، رغم أننا نملك لغة تامة من أقدم اللغات الإنسانية وهذا أ مر بادئ ذي بدء يجب أن نجعله في الحسبان ونؤصل للغتنا تأصيلًا كاملًا يدرس ويدرج ضمن مناهجنا التربوية، ونحن من حيث المبدأ لا نتعارض مع أي بحث علمي نزيه يكون في منطقتنا أو في خارجها، لكنه قد لا يكون من المستحسن جعل الآخرين يحققون لنا تاريخنا ولغتنا ونظل نحن في موقع المتلقي على الدوام.

عمومًا فقد خلص البعض إلى أن معنى أي صورة من الصور اللغوية، هو الحالة التي ينطق بها المتكلم بهذه الصورة أو تلك، والأثر الذي يحدثه في السامع.

أي أن اللغة ليست مجرد مفردات ينطقها شخص ما ليعبر عما يريد فقط، فهناك ما يسمى بالوعي اللغوي.

والنظام اللغوي هو تعبير عن طريقة جماعية من الجماعات في إدراك نفسها وما يحيط بها، ولا يمكن أن ندرس إنسانًا، ما لم ندرس كيفية تعبيره قبل أن ندرس مفردات اللغة التي يتحدث بها ونوعية هذه اللغة، ولذا فعلينا التفريق بين ما يسمى فقه اللغة أي دراسة الوثائق المكتوبة وعلم اللغة الذي يبحث في دراسة اللغة من حيث هي لغة خصوصًا إن كانت مكتوبة .

إن البحث لدينا وفيما يخص اللغة العربية فلا يزال في المهد ويحتاج إلى جهود متظافرة وتمحيص وانتقاء ليتسنى لنا فهم لغتنا فهمًا صحيحًا، وبالتالي فهم أنفسنا وطريقة تفكيرنا، وإجراء المقارنة بين لغتنا ولغات العالم المتحضر حاليًّا ونمط التفكير المتبع والأسئلة المطروحة أمامنا وهي كثيرة ومنها:

هل يفترض التغير التام للحالة الاجتماعية، تغيرًا في بناء اللغة ؟ وهل اللغة في جملتها يمكن اعتبارها بناءً ظاهريًّا يحدده الأساس الاقتصادي

والاجتماعي والثقافي؟ وهل اللغة أساسًا هي اكتسابية تخضع لناموس الارتقاء العام ؟

إن الدعوى في بلداننا لهذه المواضيع لم تبدأ إلا في بداية القرن العشرين ولكنه لم يُعط هذاالموضوع الاهتمام الذي يستحق.

إن اللغة العربية هي أحد لغات الطائفة السامية التي ترجع الى أصول هي: الآراميّة، والعبرانية والعربية.

وهناك الطائفة الآرية، والتي ترجع إلى ٣ أصول أيضًا هي: اللاتينية واليونانية والسنسكرتيـة (الهندية القديمة).

ومن هاتين الطائفتين تفرعت باقي اللغات.

وما يميز اللغات السامية أنها مؤلفة من أصول ثلاثية الأحرف ثابتة في الاشتقاق.

فاللغات إذًا هي باختصار مرتقية وغير مرتقية، وهذه الأخيرة تنقسم إلى متصرفة، وغير متصرفة والطائفتان المذكورتان آنفًا هما من اللغات

المتصرفة، وهي الحافظة لأقدم التواريخ وتعتبر أرقى اللغات بيانًا وأوسعها نطاقًا وأغناها ألفاظًا وأدقها تعبيرًا.

وهناك ابحاث عديدة تبين صلة اللغات ببعضها بعضًا، وتبين قواسم مشتركة فيها تشمل المقاطع والحروف والأدوات التعبيرية الأخرى وتشير إلى أن اللغات جميعًا ظهرت وانبثقت من أصل واحد وتحركت بتحرك الإنسان أينما سار، حيث خضعت لقوانين الانعزال وكونت لغات مستقلة والذي نعرفه أن الإنسان الأول، ولكن ليس يقينًا، قد نشأ على ضفاف دجلة والفرات وأرمينيا أو في جنوب الجزيرة العربية فنما وتكاثر، ما نعرفه فقط أن هناك أممًا تشعبت وتكاثرت من نسل نوح عليه السلام فقط بعد حدوث الطوفان.

وخلاصة القول إن اللغات السامية الرئيسية الحية وهي السريانية والعبرانية والعربية، لم يعثر على دليل لاشتقاق احدهما من الأخرى وربما تكون فرعًا لأصلٍ قد طوته الأيام.

لقد حظيت اللغة العربية باهتمام العرب الأوائل، فخدموها حينذاك، كما لم يحدث في أي لغة من اللغات خصوصًا في العصر الجاهلي وما قبله، حيث كان يعقد التنافس بين القبائل المجاورة بمكة المكرمة باعتبارها

سوقًا دوليًّا آن ذاك وتجمعًا ثقافيًا أكاديميًا يتم فيه انتقاء وصقل المفردات واعتمادها طيلة قرن وأثروها بالشعر العربي، الذي أصبح بحق ديوان العرب ولسان حالهم حيث وضعت له الضوابط والبحور الدقيقة، التي كان تركيزها في المقام الأول على السماع والتطريب، والبيان والإيجاز والبلاغة في المقام الأول، باعتبار القبائل العربية كانت في مجملها أمةً أمية.

هذا ما جعل القبيلة تحتفل بميلاد شاعرها، وترسله سفيرًا لها إلى ذلك المهرجان الكبير في عكاظ بأحلى زينة ومصحوبًا بوفدٍ رفيع المستوى يعود ليشرح للقبيلة ما كان من شأن هذا الشاعر وردود أفعال المستمعين والمحكّمين.

كل هذا الاهتمام بالأدب والشعر، قد أتى على حساب الجانب الدلالي العقلاني، ولهذا نلاحظ كثرة المفردات الشاعرية والخيالية والمجازية، وترادفاتها، وقلة المفردات العلمية والاستنباطية الدقيقة الدلالة.

تجلى ذلك فيما كان يسمى بأساطير الأولين التي جاء ذكرها في القرآن الكريم والتي كانت امتدادًا للمدارس الفيثاغورثية الأفلاطونية المثالية كما يرجح البعض والتي كانت قد نشأت بجانبها منذ ذلك الحين المدرسة الارسطية العقلانية الصرفة، هذه محاولة تصنيف ليس إلا، وإلا فإن اللغة

العربية هي أقدم بكثير من عصر أفلاطون وأرسطو، والفلسفة اليونانية بكاملها .

من هنا وبعد الفتح الإسلامي والاتصال بالحضارات المجاورة، حصل الصدام المنطقي والفلسفي ولم تكن قد وجدت مدارس علمية الطابع حينها عدا بعض علوم متداخلة من فارس والهند هي أقرب إلى اللاهوت منها إلى المنطق العلمي الاستقرائي والتجْريبي. هذا بدروه أدى إلى نشوء علم المنطق والفلسفة الاسلامية التي شحذت طاقاتها الفكرية واللغوية لا حُبًّا في الفلسفة والمنطق في الأساس، ولكن رغبة في التصدي والدفاع عن الدين بتلك الوسائل الحديثة العهد تمخض عن ذلك تلك المدارس المتنوعة وعلوم الكلام، وبالتالي تلافت اللغة ما كان ينقصها من أدبيات لخوض غمار تلكم المناظرات والجدل الكلامي المؤدي للإقناع.

خلاصة القول إن اللغة العربية شهدت ثورة تثقيفية هائلة بعد الإسلام وحركة تدوين وتأليف وترجمة لم يشهد التاريخ برمته لها مثيلًا، وتم في ذلك العهد تأصيل علوم اللغة المتعددة خدمة للدين والقرآن الكريم من جهة وخدمة للغة ذاتها والخشية عليها من اللغات الشعوبية، من جهة أخرى، وأسفر ذلك كله عن حركة صيانة كبرى للغة، وابتداع نهج علمي

استقرائي لأول مرة في التاريخ الإنساني بمفرداته الغزيرة التي أسست لنهضة علمية كبرى فتحت العقل البشري بكامله على الكون، وباشرت بدراسة كل الظواهر المادية والفلكية فيه ووضعت قواعد المدارس العلمية العليا التي لا تزال حتى الآن.

لم يكن ذلك التوجه العلمي فقط، هو السائد وحده، فقد رافق ظهور المدارس الفقهية الكبرى وبروز المذاهب الدينية كما أسلفنا المتعددة دخلت بعد ذلك في صراع فكري وسياسي، لم يكن ليحدث لولا ديناميكية اللغة وحركتها وتجددها وإثرائها المتواصل الذي عكس كل ذلك نستنتج من ذلك أنه اذا حدث كساد وانحطاط في أي أمةٍ من الأمم، يجب أن نفتش عن لغتها هل هي بخير أم أنها تتعرض لمحنة ما؟

تَلا بروز تلك القمم من المدارس الفقهية قمم أقل ارتفاعًا، واقلّ زادًا لغويًّا مما أدى إلى عدم ظهور مدارس على نفس المستوى، وأسفر بعد ذلك إلى صدام فقهي هائل مثير يمتد حتى يومنا استنفد طاقات الامة وأدى بها إلى النكوص والتقوقع وانشغالها بأمورها الداخلية أكثر من انشغالها بأمر الفكر والرسالة المرسلة للعالمين.

وهذا كله ما أدى إلى الضعف والوهن، والاستهداف من الأعداء المتربصين أو لنقل المنافسين لكي لا نتهم بالعدائية والكراهية للغير.

في تلك الفترة، فترة الانحطاط الثقافي، تلك التي امتدت قرونًا، كان المنافسون في الدول المحيطة خصوصًا في الغرب والشمال يلتقطون رحيق ذلك الفكر، وكل ما أنتجه الفكر العربي والإسلامي في شتى العلوم، والتي بنى عليها، ثورته الثقافية الكبرى ثم الصناعية والعلمية والصدارة بعد ذلك في شتى نواحي الحياة.

كانت العودة إلى مركز الصدارة هذا، صعب المنال، وبدأت محاولات النهوض ارتجالًا وبشكل عشوائي، لم يعتمد حتى على نقطة البدء التي بدأ منها الجميع، الأمر الذي أدى إلى فِصام ثقافي خطير، واقع بين نجد مجدٍ تليد، الرجوع إليه، مع تشبث شديد بتعاليم الدين، وبين نهضة علمية حققت لشعوبها نهضة وسؤددًا لا يمكن إنكاره.

ومصطلح الفصام هنا ليس من قبيل المبالغة، فعلم النفس يؤكد أنه يحدث الفصام الفعلي في معظم أسبابه عند وجود رغبتين متضادتين لا يمكن التخلي والإفساح لأحدهما.

إن حقيقة هذا الصراع لم يأت من تنافر روح الدين الإسلامي والتحضُّر بل أن التحضر الذي حدث فعلًا إنما ارتكز على روح الدين الإسلامي وآيات القرآن التي تزيد على الألف آية في الدعوى لذلك بينما آيات العبادات هي (١١٠) آية، أي تمثل ٣٪ من جوهر الدين أضف إلى هذا أن جوهر الدين هو التوازن بين العقل والفطرة من جهة والعاطفة من جهة أخرى وبهذا فلا يوجد فصام فكري في داخل العقيدة الإسلامية، تؤكد ذلك شخصية الرسول الأكمل صلى الله عليه وسلم، والذي توحي لنا سيرته العطرة أنه كان الأمثل على هذا الصعيد، وعلى سبيل التدليل على ذلك فعلوم الطب مثلًا تقول بأن فص المخ الأيمن توجد فيه مراكز الخيال والعاطفة وما شابه، بينما الفص الايسر هو فص الحركة والمهارة والمحاكمة الرياضية، ولا يوجد فيمن نعرف من البشر من استعمل فصي مُخِّهِ استعمالًا متوازنًا واستثمرهما خير استثمار سوى النبي الأعظم، فقد كان أكثر الناس عطفًا ورحمة وكان أعلم الناس وأعقلهم، ولو بحثنا عن سر هذا التوازن، بغض النظر عن الاصطفاء له من الخالق، لوجدنا أن ذلك ارتكز على لغته السليمة حيث كان أفصح من نطق بالضاد، ويكفي هذا مؤشرًا على أهمية اللغة والفكر السليم.

ان ذلك الصراع الذي ذكرنا لم يأت إلا من حصيلة ذلك الفهم المبتور لمقاصد الشريعة والتوغل في متاهات المسنون والمندوب والمكروه وجعلها وحدها تمثل أيديولوجية الدين وجوهره، وهنا ضاعت لغة العقل، والبرهان والاجتهاد، وعجزت لأنها أصبحت تفتقدُ إلى المفردات الحية التي أسسها الدين، ولم يغب في الحقيقة الاجتهاد غيابًا مطلقًا، فقد برز عدد من الأئمة الأعلام والأئمة الحفاظ المجتهدين، لكن ظهورهم كان في الوقت الذي أصبحت السلطة المتوارثة في أيدي الذي أفرزهم ذلك الصراع الفقهي المذهبي الأول والذي استخدموه واجهة للوصول إلى مآربهم وأطماعهم الشخصية التي تشبعت بالأنانية الفردية حتى صهرت شخصيات الشعوب التي تحكمها في شخصها وجعلتها تذوب في تلك الشخصية، حتى ظهر القول بأن الناس على دين ملوكها، وهو قول باطل لغةً واصطلاحًا.

في صفحة ذلك المسلسل الدرامي للسلطات المتعاقبة والتي في غالبيتها تكرار لما سبقتها مع اختلاف بسيط في مسألة القمع، تم الخروج الفعلي من دائرة النص الاسلامي الصحيح وتفتيت وصال الأمة، على أيدي الاستعمار، وانظروا إلى كلمة استعمار هنا من أين جاءت وكيف

نستخدمها، أدى ذلك إلى نبش التقاليد والأعراف البالية والجاهلية المنشأ، بل وتأصيلها على أنها من روح الدين وهي ليس كذلك وتغليب علوم الحديث على علوم القرآن وهكذا حصل التردي الذي أدى بنا جميعًا إلى ما نحن عليه اليوم.

أما استفحال وهيمنة الفكر الليبـرالي الحديث، وكلمة الليبـرالي تعني التحرر من كل القيود باختصار، فقد زاد الطين بِلة وأدى بنا إلى ما نحن عليه الآن من حالة اللاقيم واللاتدين واللاتحضر واللاتمدن واللامنجهيّة فكرية على وجه العموم.

والآن ما نحن بصدده في الواقع ليس غزوًا فكريًّا كما يظن البعض، فالفكر يواجه بالفكر وليس غزوًا ثقافيًّا عشوائيًّا وعولمة يصعب على الجميع تفحص ملامحها، وإنما هو محق لغوي تأتي بعده تلك المنجزات.

وهذا المحق اللغوي / الفكري الذي ذكرنا بدايته ينتهي بنا الآن، لا عند الاستعمال الخاطئ للمفردة اللغوية وإبدالها وبترها فحسب، بل يدخل في صميم الدلالة الفعلية للكلمة، والأخطر أن هذا السم الزعاف الذي يسري في جسد اللغة دون أن نشعر قد وصل بفضل وسائل الإعلان المبرمجة والصحف وغيرها إلى إسقاط العديد من عناصر الإرتكاز للغة

العربية حتى تصبح بعد حين مسخًا لا يستفاد منه ولا يمكن التفكير به أو تبنِّي مشروع حضاري على أساسه. من الأمثلة على ذلك إسقاط المفعول المطلق، المفعول لأجله، ألف الاثنين إلا لمامًا، ن النسوة، التمييز، محق المذكر السالم، ونضع خطًّا تحت كلمة السالم، وشقلبة الصفة والموصوف، وغير ذلك من الامثلة، أي أن الهدم يدخل في بنية اللغة وقوامها التي ترتكز عليها وهكذا، ولذا يصح القول في هذا الصدد أن اللغة والفكر سارتا جنبًّا إلى جنب على مر التاريخ بانتصاراته وإحباطاته، والرجوع إلى اللغة هو الرجوع إلى الفكر والرجوع إلى الحضارة.

القرارات والتوصيات:

وبناءً على ما سبق نوصي بالآتي:

١ـ تبويب وتصنيف وفرز الأطروحات المقدمة إلى فقهية وسياسية واجتماعية وفكرية وغيرها وتشكيل لجان من الخبراء والعلماء كل في مجاله وتقديم بحوث كاملة، والاستعانة بكل ما أنتجه العقل الإبداعي العربي المتوفر الواعي والمستنير الذي نعتبره رصيدًا ثقافيًّا هامًّا واستخلاص القواسم المشتركة بينها جميعًا في حالة وجود إختلافات كبيرة أيدولوجية عربية واسعة وشاملة

٢ـ تدشين حركة ثقافية كبرى بعبارة أخرى ثورة ثقافية على كافة الأصعدة وبصورة جماعية انطلاقًا من التأثير الأقوى للأغلبية، وتفعيل برامج محو الأمية. وتدريس اللغة العربية حسب قواعدها وأصولها كتابة وقراءة ونحوًا وتجويدًا ونطقًا.

٣ـ محاربة الجهل بشتى صوره واعتباره هو السبب الرئيس لما يسمى بثالوث الجهل والفقر والمرض باعتبار الآخرين ناتجين عنه، وكذلك محاربة التجهيل الذي تمارسه بعض الأنظمة ومراكز النفوذ القبلي وغيرها.

٤ـ جعل الاهتمام الأول في التعليم لتعليم القرآن الكريم وعلومه باعتبار لغة القرآن هي المرجعية الأعلى للغة والدين جميعًا، وهذا بالطبع ليس على حساب علوم الحديث والسنه النبوية المطهرة وانما تغليب لغة القرآن كما كان ذلك في فجر الإسلام قبل وجود الحاجة إلى تدوين الحديث إيمانًا منا أن ما استجد بعد مرحلة الراشدين قد صار ضرورة قصوى لفهمٍ أوسع لما جاء به الدين.

٥ـ محاربة الإسقاط اللغوي والحذف وسوء الاستخدام والاختزال غير المدروس والقلب والإبدال. كما ورد سابقًا، باعتبار كل ذلك يؤدي إلى تشويه اللغة وبالتالي تشويش التفكير بتلك اللغة مع الحرص على عدم تعليم الأطفال أي لغة أجنبية قبل الإلمام باللغة الأم لغة الفكر والمحاكمة العقلية والمنطقية.

٦ـ تسخير وتوظيف الإعلام وأجهزته المختلفة بهدف التثقيف والحماية وتصدير الفكر العربي وترجماتة بصورة منقحة تصدر عن هيئة عليا تؤسس لهذا الغرض، ويكون على عاتقها تنقيح ما يستورد من ثقافات، ليس بهدف (مقص الرقيب) وإنما العناية بترجمته ترجمةً صحيحة على يد الخبراء والمتخصصين.

٧ـ عقد المؤتمرات الوطنية الجامعة فكرية كانت أو لغوية لإقرار نهج واستعمال محدد، لموضوع محدد، وإجراء دراسة مقارنة للمصطلح والمفهوم والدلالة والنطق سابقًا ولاحقًا، حتى يتبين نقاط الضعف والقوة في مسيرة لغتنا وفكرنا بشكل عام.

٨ـ التأصيل لحركة فكرية ثقافية جديدة، وتغيير المناهج البالية والعقيمة على مستوى الأقطار العربية تزامنًا، لتجنب حدوث الاختلال وإرساء قواعد استراتيجية عربية تتميز بنظرة بعيدة للمستقبل خالية من الحلول الآنية وأنصاف الحلول مع إقرار حلول خاصة للمشاكل الحالية عن طريق الهيئات الرسمية المعنية بذلك.

٩ـ إجراء المزيد من الدراسات الهادفة إلى فهم تاريخ اللغة وفلسفتها من جهة ومراحل تطورها ونموها من جهة ثانية والاعتناء بما يسمى فقه اللغة وعلوم اللغة من جهة ثالثة، وإجراء المزيد من الأبحاث والدراسات المقارنة مع اللغات الحية في جميع أنحاء العالم وتصنيف عناصر التقارب والتباعد والمفارقة بينها جميعًا لفهم آلية التفكير عند كل أمة من الأمم، حتى نكون شهداء على الناس بما تحمل الآية من معنى.

١٠ ـ الإقرار من حيث المبدأ، مبدأ الحرية الفكرية السياسية، بعد وضع ثوابت دقيقة تتحرك داخلها جميع الأنظمة الحزبية وإقرار مبدأ التعددية والتبادل السلمي للسلطة، ولكن في إطار منهجية شاملة تبنى على مواصفات اعتبارية تكُونُ الهوية العربية الإسلامية محورها وإطارها العام باعتبار أنها تمثل الذات للمجتمع العربي بأسره.

١١ـ إعطاء المزيد من الحقوق الشرعية للمرأة العربية والطفل العربي واستثمار المفيد الذي أُنجز على مستوى دولي وعالمي في هذا باعتبار أن الحكمة ضالة المؤمن، متى ما وجدها التقطها

١٢ـ تهذيب وتشذيب النـزعة الإستعلائية والأنانية العربية، ووضع أصول ومقومات وتصنيف لارتقاء الشخصية العربية في شتى المجالات والأصعدة، سـياسـية كانت أو علمية أو أكاديمية أو حتى عشائرية.

١٣ـ وأخيرًا وليس آخرًا الاهتمام بالتعريب والترجمة والانفتاح على ثقافات العالم قاطبةً وإقرار المفيد منها واعتبار التجارب والانجازات الإنسانية كلها ملك الجميع، ووضع الحلول المناسبة لما يسمى الحقوق الفكرية والإنتاجية، ومحاربة أي شكل من أشكال الاحتكار والهيمنة

والتسلط، وصولًا إلى تبني حلول لمعالجة المشاكل العامة، الفقر والبؤس والانغلاق والجهل.

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

فهرس الأبجديات والمواضيع

المقدمة ٧

الفصل الأول

حيثيات انعقاد المهرجان: ٢٣

الجلسات التشاروية والتحضيرية: ٣١

الفعاليات: ٣٩

الفصل الثاني

المـداولات ٥١

حرف الألف ٥٣

إعداد العُدَّة: ٥٣

أرى خلل الرماد وميض نارٍ ٥٨

حرف الباء... ٦٠

الفقر ـ التخمة: ٦٠

حرف التاء...٦٥

التثنية ـ التشطير: ٦٥

الثاء ٧٠

الثالوث ـ والوسطية: ٧٠

ثلاثية... ٧٩

الجيم... ٨١

جمال ... الرؤية ٨١

عنصر الترفيه ٨٦
الحاء ٨٩
المناخ.... البيئة : ٨٩
الخاء ٩٨
الأنا.... العربية : ٩٨
الدال ـ وشقيقه... ١٠٥
الوزن.. الايقاع.. الموسيقى : ١٠٥
أ ـ اللغة والإيقاع: ١٠٨
ب ـ إطلالة على الأغنية اليمنية : ١١١
الراء... ١٢٠
الطفولة والشباب: ١٢٠
ز ١٢٩
السين ١٣١
عوامل الاحباط والنكوص : ١٣١
الشين ١٤١
المكاشفة : ١٤١
الصاد.. ١٤٨
كيف يفكرون : ١٤٨
الضاد.. ١٥٤
ضمير العروبة ١٥٤
الطاء ورفيقه ١٦٠
الطاغية : ١٦٠

العين وتوأمه ١٦٧
المصطلح والمفهوم : ١٦٧
الفـاء ١٧٦
السلف..والخلف ١٧٦
القاف ١٨٦
الفارس الفقيه :، ١٨٦
حرف الكاف ٢٠١
الفقر ـ الغنى : ٢٠١
حرف اللام ٢١٠
تربية..وتعليم.. وثقافة : ٢١٠
حرف الميم ٢١٧
حرف النون ٢٢٦
نون الحاجب : ٢٢٨
نون الذكرى : ٢٣١
نون المهجر : ٢٣٢
حرف الواو ٢٤٠
فلسطين..الجرح ٢٤٠
حرف الهاء ٢٤٦
المكيفات ٢٤٦
ء الهمزة ٢٥٨
نصف المجتمع ٢٥٨
حرف الياء ٢٦٧

إختتام المداولات ٢٦٧

الفصل الثالث

الجلسة الختامية ٢٧١
البيان ٢٧٦
القرارات والتوصيات: ٢٩٦